

الدكتورة / عفاف على النجار
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
بجامعة الأزهر - القاهرة

التفسير التحليلي لسورة يوسف

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

الناشر

مكتبة ومطبعة الغد

للطبع والنشر والتوزيع

التفسير التحليلي لسورة يوسف

إعداد

الدكتورة / عفاف على النجار
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
بجامعة الأزهر - القاهرة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

الناشر

مكتبة ومطبعة الغد

للطبع والنشر والتوزيع

الإهداء

إلى الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً .

إلى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

إلى جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها
أهدى هذا العمل وأحتسب أجرى عند الله ،،،

عفاف النجار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل الكتاب قيما ليكون للناس بشيرا
ونذيرا ، وصلى الله على من بعثه الله ليبين للناس ما نزل
إليهم وسراجا منيرا . وعلى أله الأطهار ، وصحبه الأبرار ،
ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ،،،

فهذا تفسير لسورة كريمة هى " سورة يوسف " استقيته
من أمهات كتب التفسير ، ومما فتح الله علىّ به .
وسورة يوسف رصينة الألفاظ ، عظيمة الآيات ، بدیعة
المباني ، آياتها متناسقة متشابكة ، وهى تمتاز برفقتها
وسلاستها .

وهى وإن كانت من السور المكية التى تحمل - فى الغالب -
طابع الإنذار والتهديد ، إلا أنها اختلفت عنها فى هذا الميدان ،
فجاءت فى أسلوب سلس ممتع ، لطيف رقيق ، يحمل جو الأنس
والرحمة ، والرأفة والحنان ، ولهذا قال خالد ابن معدان : " سورة
يوسف ومريم مما يتفكه بهما أهل الجنة فى الجنة " وقال عطاء :
" لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها " .

نزلت هذه السورة الكريمة على رسول الله ﷺ في فترة حرجة عصبية . . حيث توالى الشدائد والنكبات ، على الرسول وعلى المؤمنين ، واشتد عليه أذى المشركين ، وبوجه خاص عندما فقد عليه الصلاة والسلام نصيرية : زوجه الطاهرة الحنون " السيدة خديجة " التي كانت كثيراً ما تخفف عنه الآلام والأحزان ، وفقد فيه عمه " أبا طالب " الذي كان يناصره ويدافع عنه ، وكان له خير معين ، وخير نصير مع أنه لم يدخل في الإسلام - وبموتها اشتد الأذى والبلاء على رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك العام عام الحزن .

في تلك الفترة العصبية من حياة الرسول الكريم ، وفي ذلك الوقت الذي كان يعاني فيه - عليه السلام - الوحشة ، والغربة ، والانقطاع من جاهلية قريش ، وتعانى معه الجماعة المسلمة هذه الشدة ، كان الله سبحانه ينزل على نبيه الكريم هذه السورة الكريمة ، تسلياً له ، وتخفيفاً لآلامه بذكر قصص المرسلين ، وماتحملوه في سبيل تبليغ دعوة الله ، حتى يصبر كما صبروا . قال تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أولى العزم من الرسل ﴾ (١) .

وكان الله سبحانه يقول لنبيه الكريم : لا تحزن يا محمد لتكذيب قومك وإيذاتهم لك ، فإن بعد الشدة فرجاً ، وإن بعد الضيق مخرجاً ، بدءاً أن يأتي اليسر بعد العسر والفرج بعد تلك

(١) الأحقاف من الآية ٣٥ .

الشذائد والأهوال . . . ولهذا لا يسمع سورة يوسف محزون
إلا استراح إليها .

هذه السمات والأوصاف شأن كل سورة من سور القرآن
العظيم ، فهو يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ويحذر
من الشر ومن إتباع خطوات الشيطان الرجيم ، وكله حقائق
ووقائع ، وإعجاز فى إيجاز . وسيظل العلماء إلى أن تقوم
الساعة يغوصون فى بحاره ، ويستخرجون بين الحين
والحين بعض لآلئته التى يرزقهم الله بها ويفتح عليهم بفهمها ،
ولكن فى النهاية لا يحيط بأسراره ومعانيه إلا الله سبحانه .

قال تعالى : ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾ (١)

وقال جل ذكره : ﴿ ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام
والبحر يمدده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز
حكيم ﴾ (٢)

ولهذا : أقرر أنه مهما قلت أنا وغيرى عن هذه السورة ،
فلن نوفيها حقها ، ولن نحيط بأسرارها ، وهو شأن كل
سورة من سور القرآن العظيم .

(١) سورة الكهف الآية ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان الآية ٢٧ .

والله أسأل أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، وشفاء
صدورنا وجلاء همنا وحجة وشفيعا لنا يوم لقاءه وأن يجعل
هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يحظى بالقبول لدى
أهل العلم خاصة والمسلمين عامة ، وأن ينتفع به الجميع
كما أسأله سبحانه أن يبارك جهدا ، ويضيئ طريقنا إنه
سميع الدعاء . وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين .

د / عفاف النجار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ تَقْسًا إِلَّا وَسُغَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
اِكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا
مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا
فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

صدق الله العظيم

(١٣) سُورَةُ يُوسُفَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا إِخْدَى عَشْرَةٌ وَمِائَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّتِّكَ ءَايَاتِ الْكِتَابِ لِلَّذِينَ ① إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فُورًا نَاعَرَبْنَا بِهَا لَكُمْ
تَعَلُّونَ ② نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ③ إِذْ قَالَ يُوسُفُ
لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ④ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ
فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ⑤ وَكَذَلِكَ
يُحْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ يُلَخِّصْ

وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ
لِّلسَّاعِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ
عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَطْرَحُوهُ
أَرْضًا يَخْلِ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾
قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَقْوَاهُ فِي غَيْبِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ
بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا
عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنُصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ
وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفُظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَخَشِيبٌ أَنْ ذَهَبُوا بِهِ وَلَخَافُ أَنْ
يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ
وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَشِيرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا
أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَآبَاءَهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا
يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعٍ فَأَكَلَهُ
الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَىٰ قَمِيصِهِ

بِدِيمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ
 عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى
 دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَعَّةٍ وَاللَّهُ عَلَيْكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ
 ﴿١٩﴾ وَشَرُّهُ بِمَنْ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِتْنَةً مِنَ الَّذِينَ
 ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَأَمُرَّ بِهِ أَكْرَمَى مَثْوًى عَسَى أَنْ
 يَتَفَعَّلَ أَوْ يَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَانَ الْيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنَعْلَمَ
 مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَءَاهُ آيَةً حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجَّيْ
 الْحُسَيْنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ
 الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوًى
 إِنَّهُ لَا يُفْعِلُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ
 رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
 الْمُخْلِصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا
 سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ
 أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَأَوْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا

إِنْ كَانَ قَيْصُهُ وَقَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ كَانَ
 قَيْصُهُ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَيْصُهُ
 قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ يَوْسُفُ أَعْرَضَ
 عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿١٩﴾ • وَقَالَ
 نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنَّا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا
 إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ
 وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مَتَكِّئًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ
 عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا
 هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي
 فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدتُّهُ عَنِ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمُ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ أَسَدٍ مُّرٍ
 لَيْسَ جَنًّا وَلَئِن كَوَّنَا مِنْ الصَّغِيرِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا
 يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ
 مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ بَدَأْهُمُ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجْنَ رَبَّهُمْ
 حِينَ ﴿٢٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا

وَقَالَ الْآخِرُ إِنِّي أَرَيْتِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا نَأْكُلُ الطَّيْرَ مِنْهُ نَبَاتًا
 بِنَاءٍ وَيَلْبَسُهُ إِنَّا نَرُكُّكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمْ طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا
 نَبَاتًا لَكُمْ بِنَاءً وَيَلْبَسُهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ ذَٰلِكُمْ مَا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي
 تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿١٧﴾ وَاتَّبَعْتُ
 مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ
 بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٨﴾ يَصْحَجِي السَّجْنَءَ أَبَا بَابٍ مُنْفَرِقُونَ خَيْرٌ
 أَمِ اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴿١٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ
 سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ
 إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْآيَاتُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ يَصْحَجِي السَّجْنَءَ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَاسْتَقَى رَبَّهُ رُحْمًا وَأَمَّا
 الْآخَرُ فَيَضَلُّكَ فَتَأْكُلُ الطَّيْرَ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ
 تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٢١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أذْكَرُنِي إِعْدَابَكَ
 فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذُكِّرَ بِهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بضعَ سِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ
 الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ

سُنِبِلَتِ خُضْرٍ وَأُخْرِيَابِسْتِ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْئُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ
كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَضَعَتْ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ
الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ
أَنَا أَنْتُمْ كُمْرَتَاؤِيلِيهِ فَأَرْسَلُونِ ﴿٤٨﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْنِنَا
فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَا كُلهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُنْبُلَاتٍ
خُضْرٍ وَأُخْرِيَابِسْتٍ لَعَلَّ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾
قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا أَحْصَيْتُمْ فَذُرُّوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا
قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَا كُنْ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
عَامٌ فِيهِ يُبْعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِينِي بِهِ
فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ الَّتِي
قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ
إِذْ رَأَوْتِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ
سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْصًا لِحُوتِي أَنَا رَأَوْتُهُ عَنِ
نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصِّدِّيقِينَ ﴿٥٤﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ

وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ إِنْ النَّفْسَ
 لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحِمُ رَبِّيْ إِنْ رَغَبُوا رَّجِيْمٌ ﴿٥٧﴾ وَقَالَ
 الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِبِيِّ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِيْ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا
 مَبْكِيْنٌ أَمِيْنٌ ﴿٥٨﴾ قَالَ أَجْعَلْنِيْ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّيْ حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٩﴾
 وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوهُمُ إِذْ يَخْرُجُونَ ﴿٦٠﴾
 بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿٦١﴾ وَلَا جُرْأُولَ الْأُخْرَى
 خَيْرٌ لِلَّذِيْنَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٢﴾ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ
 فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَلَمَّا جَمَعْتَهُمْ
 بِجَهَارِهِمْ قَالَ أَتُؤْمِنُ بِأَخِيْكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ إِلَّا تُرْوَنُ أَنِّيْ فِي الْكَيْلِ
 وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِيْنَ ﴿٦٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِيْ بِبَيِّنَةٍ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِيْ
 وَلَا تَقْرَبُونِيْ ﴿٦٥﴾ قَالُوا سَرُدُّعِنَا أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦٦﴾
 وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ أَجْعَلُوا بِضْعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا
 إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ
 قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ
 لَحَفِيظُونَ ﴿٦٨﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ

مِنْ قَبْلِ قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَحْسَنُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٦﴾ وَلَمَّا فَخَرُوا مَنَعَهُمْ
 وَجَدُوا بِضَعْفِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُغِي هَذَا بِمِضْعِنَا
 رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرَأَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدُكَ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ
 كَيْلٌ يُسِيرٌ ﴿١٧﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ
 اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى
 مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٨﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَحِدٍ وَأَدْخُلُوا
 مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أُلْحِمْتُكُمْ إِلَّا
 اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٩﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا
 مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
 حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوْعٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ
 قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ فَلَمَّا جَهَنَّمُ
 بِجَهَائِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا
 الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسُرِقُونَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٢٣﴾
 قَالُوا تَفْقَدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٢٤﴾

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا بِالنَّفْسِ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سُرِقِينَ ﴿٧٦﴾
 قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي
 رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيْنِهِمْ
 قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهُمَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ
 مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ
 مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ ﴿٧٩﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ
 سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ
 قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا أَبَتِ
 إِنَّ لَكَ أبا سَيْحَانَ كَيْدٍ لَخِذْ أَحَدًا نَامَكَ نَمْرُؤًا نَارَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨١﴾
 قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعِنَا عِنْدَهُ وَإِنَّا إِذَا
 لظَالِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ
 تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلَ مَا قَرَأْتُمْ
 فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي
 وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٣﴾ أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ
 سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨٤﴾

وَسَعَلَ الْقَرِيبَةَ أَنِّي كَمَا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾
 قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ
 جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ
 يُوسُفَ وَأَبِصَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَاطِمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَأَلَّى اللَّهُ
 تَفْتَوًا نَذَكَرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾
 قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِيِّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾
 يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا يَأْتِسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ
 إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا
 عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مُسِّنَا وَأَهْلِنَا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ
 مُرْجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ
 ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ
 ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَءِذَا نَكَرْنَاكَ يَا يُوْسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدِمْنَا اللَّهُ
 عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا
 تَأَلَّى لَقَدْءَا شَرَكُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَشْرِبَ
 عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٩٢﴾

أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقَوَّةُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرًا وَأَتُونِي
 بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ
 يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُقِنْدُونِ ﴿١٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ
 ﴿١٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ
 إِنِّي أَخْلَعُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا بَنَا آدَمَ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
 إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ
 الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوْىٰ إِلَيْهِ أَبُويْهِ وَقَالَ
 ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ ﴿١٩﴾ وَرَفَعَ أَبُويْهِ عَلَى الْعَرْشِ
 وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
 رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ
 مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا
 يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي
 تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ
 نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿٢٢﴾

وَمَا كَثُرَ النَّاسُ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَاتَسَلَّهُمْ عَلَيْهِ
 مِنْ آجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ
 بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
 أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي
 أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ
 الْقُرْبَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا
 اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرٌ نَافِجِيٍّ مِنْ شَاءِ
 وَلَا يَرُدُّ بِاسْتِنَاعِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ
 لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ
 يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

بين يدي السورة الكريمة

معنى السورة

السورة هي طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع ، وهي مأخوذة من سور المدينة ، لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة وآية بجانب آية كالسور توضع كل لبنة فيه بجانب لبنة ، ويقام كل صف فيه على صف . وأيضاً : لإرتفاع رتبها ومنزلتها كارتفاعه . وهي مكية كلها ، وهو القول الصحيح ، ولا إنتفات إلى قول من قال : " بأن فيها آيات مدنية " (١) .

قال الأوسى (٢) : سورة يوسف كلها مكية على المعتمد ، وروى عن ابن عباس . وقتادة أنهما قالوا : إلا ثلاث من أولها ، واستثنى بعضهم رابعة ، وهي قوله سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي يُوسُفَ وَأَخُوته آياتٍ لِلسَّائِلِينَ ﴾ وكل ذلك واه جداً لا يلتفت إليه ، وما اعتمدناه كغيرنا هو الثابت عن الحبر - أى عن ابن عباس - من حديث طويل يحكى فيه قدوم رافع مكة وإسلامه وتعليم رسول الله ﷺ إياه هذه السورة . أ . هـ . وقال الشيخ سيد قطب (٣) : والسورة مكية بجملتها ، على خلاف ما ورد فى المصحف الأمريرى من أن الآيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٧) منها مدنية . ذلك أن الآيات الثلاث الأولى هذا نصها ﴿ الر تِلْكَ آياتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

(١) انظر تفسير القرطبي ٩ / ٧٩ .

(٢) روح المعانى مجلد ١٢ / ١٧٠ .

(٣) فى ظلال القرآن ٤ / ١٩٤٩ - ١٩٥٠ .

أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ
الْغَافِلِينَ (٣) ﴿

وهذه الآيات هي مقدمة طبيعية لما جاء بعدها مباشرة من البدء
في سورة يوسف - عليه السلام - ونص الآية التالية في السياق هو :
﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) ﴾ ثم تمضى القصة بعد ذلك فى طريقها
إلى النهاية .

فالتقديم لهذه القصة بقول الله تعالى ﴿ نحن نقص عليك أحسن
القصص ٠٠٠ ﴾ هو التقديم الطبيعى المصاحب لهذه القصة .

وكذلك هذه الأحرف المقطعة (الر) وتقرير أنها آيات الكتاب المبين . ثم
تقرير أن الله أنزل هذا قرآنا عربيا ٠٠ هو كذلك من جو القرآن المكى ،
ومواجهة المشركين فى مكة بعربية القرآن الذى كانوا يدعون أن
أعجميا يعلمه لرسول الله ﷺ ، وتقرير أنه وحى من الله كان النبى ﷺ
من الغافلين عن اتجاهه وموضوعاته .

ثم إن هذا التقديم يتناسق مع التعقيب على القصة فى نهايتها وهو
قول الله تعالى : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ
أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾

فهنالك حبكة بين التقدمة للقصة والتعقيب عليها ، ظاهر منها نزول
التقدمة مع القصة والتعقيب .

أما الآية السابقة فالسياق لا يستقيم بدونها أصلا ، ولا يتأتى أن
تكون السورة قد نزلت فى مكة وهى ليست من سياقها ثم أضيفت إليها

فى المدينة ! ذلك أن فى الآفة الثامنة ضميراً يعو؁ على يوسف وإخوته فى هذف الآفة السابقة ، بحيث لا يستقيم نزول الآفة الثامنة ؁ون أن يكون معها الآفة السابقة وهذا نصها : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَّالِفِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨) ﴾ مما يقطع بأن الآيتين نزلتا معا فى سياق السورة الموصول " أ . هـ . بهذا يتبين لنا أن السورة كلها مكفة .

وعدد آفات السورة إحدى عشرة ومائة آفة ، وعدد كلماتها ١٧٤٦ وحروفها ٧١٦٦ .

ووجه تسميتها بهذا الإسم :

لأنها مشتملة على قصة يوسف — عليه السلام — مع إخوته ، ومع إمراة العزيز ، ومع ملك مصر فى ذلك الوقت . ولم يذكر اسم يوسف — عليه السلام — فى غير هذه السورة سوى مرتين :

إحداهما : فى سورة الأنعام فى قوله تعالى ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) ﴾ (١) .

(١) سورة الأنعام ٨٤ .

والثانية : فى سورة غافر فى قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات . . ﴾ (١)

تسمية السور توقيفية :

- وتسمية هذه السورة باسم " يوسف " تسمية توقيفية أى تتوقف على نقلها عن النبي ﷺ وكذلك كل أسماء السور التى اشتهرت بها توقيفية ، لأن الذى سماها هو الله تعالى .

وللسور القرآنية اسم واحد توقيفى ، وقد يكون لها اسمان أو أكثر كسورة الفاتحة ، وسورة البقرة ، وقد يسمى بعض الصحابة ﷺ - وبعض التابعين - رحمهم الله - سورا باجتهادهم ، وتكون تلك التسمية بمثابة الأوصاف لتلك السورة ، وكما سُمى سفيان بن عيينة - رحمه الله - سورة الفاتحة بالوافية - وهكذا نجد سورا فى القرآن الكريم وصفها بعض السلف الصالح بأوصاف باجتهادهم . ولكن العبرة باسم السورة التوقيفية المنزل من عند الله تعالى .

تقسيم القرآن إلى سور وآيات توقيفى :

أيضا تقسيم القرآن الكريم إلى سور ، وتقسيم السور إلى آيات ، أمر توقيفى . روى عن ابن عباس - رضى الله عنه - أنه قل : " كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب ، فقال : ضعوا هذه السورة فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا (٢)

(١) سورة غافر من الآية ٣٤ .

(٢) مناهل العرفان للشيخ الزرقانى ١ / ٢٤٠ .

وكان هذا التأليف عبارة عن ترتيب الآيات حسب إرشاد النبي ﷺ ،
كان هذا الترتيب بتوقيف من جبريل — عليه السلام — فقد ورد أن
جبريل — عليه السلام — كان يقول : ضعوا كذا فى موضع كذا " ولا
ريب أن جبريل كان لا يصدر فى ذلك إلا عن أمر الله عز وجل (١)

ترتيب السور حسب النزول :

سورة يوسف — عليه السلام — هى السورة الثانية عشرة فى
ترتيب المصحف فقد سبقها فى الترتيب سور : الفاتحة ، والبقرة ،
وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ،
والتوبة ، ويونس ، وهود .
أما ترتيبها فى النزول ، فكانت السورة الثالثة والخمسين ،
وكان نزولها بعد سورة هود — عليه السلام — (٢) .

علاقة فاتحة سورة يوسف بسورة هود التى قبلها :

إن علاقة فاتحة هذه بخاتمة سورة هود فى غاية الترابط
والتناسق . ذلك أنه تعالى لما قال فى خاتمة سورة هود ﴿ وكلا
نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك . . . ﴾ (٣) وكان
فى تلك الأنباء المقصودة فيها ما لاقى الأنبياء من قومهم ، فأتبع

(١) المرجع السابق .

(٢) التفسير الوسيط . للأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى . شيخ الأزهر
المجلد السابع ص ٢٩٩ .

(٣) سورة هود الآية ١٢٠ .

ذلك بقصة يوسف ، وما لاقاه من إخوته ، وما آلت إليه حاله من حسن العاقبة ، ليحصل للرسول التسليية الجامعة لما يلاقيه من أذى البعيد والقريب (١) ، فجاءت هذه القصة مستوفاة من قوله تعالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن . . . ﴾ الآيات .

وأيضاً قد وقع فيما قبل — سورة هود — ﴿ فبشرناه بإسحاق ومن بعد إسحاق يعقوب ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ ووقع هنا حال يعقوب مع أولاده ، وما صارت إليه عاقبة أمرهم مما هو أقوى شاهد على الرحمة ، وقد جاء عن ابن عباس وجابر بن زيد أن يونس نزلت . ثم هود . ثم يوسف ، وعد هذا وجهاً آخر من وجوه المناسبة (٢) .

علاقة خاتمة سورة يوسف بسورة الرعد التي بعدها :

قال البقاعي : " لما ختم — سبحانه — سورة يوسف بالدليل على حقيقة القرآن ، وأنه هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٣) ، بعد أن أشار إلى كثرة ما

(١) راجع البحر المحيط لأبي حيان ٦ / ٢٣٤ ، وأسرار ترتيب القرآن للسيوطي ص ١٠٩ .

(٢) روح المعاني للكلاسي ١٢ / ١٧٠ .

(٣) وذلك في قوله تعالى ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه كل شيء هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ سورة يوسف الآية ١١١ .

يحسونه من آياته في السموات والأرض مع الإعراض^(١) ، ابتداء هذه
بذلك عن طريق اللف والنشر المشوش^(٢) ، لأنه أفصح في نشره
بالأقرب فالأقرب " ٣ .

وقال نقلا عن الإمام أبي جعفر بن الزبير في برهانه : " هذه
السورة - أي سورة الرعد - تفصيل لمجمل قوله سبحانه في
خاتمة سورة يوسف - عليه السلام - ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (١٠٥) وَمَا
يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ

(١) وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ

عنها معرضون ﴾ سورة يوسف الآية ١٠٥

(٢) اللف والنشر : أن يذكر متعدد ثم يذكر ما لكل من أفرادها شائعا من غير تعيين ،
اعتمادا على تصرف السامع في تمييز ما لكل واحد منها ، ورده إلى ما هو له .

وهو نوعان : (أ) إما أن يكون النشر فيه على ترتيب الطى ، نحو قوله
تعالى : ﴿ وَمَنْ رَحِمْتَهُ أَنْ جَعَلْ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ

فَضْلِهِ ﴾ ، فقد جمع بين الليل والنهار ، ثم ذكر السكون لليل وابتغاء الرزق
للنهار على الترتيب . (ب) وإما أن يكون النشر على خلاف ترتيب الطى

- نحو : ﴿ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ

رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ . ذكر ابتغاء الفضل للثاني ، وعلم
الحساب للأول على خلاف الترتيب . انظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان

البديع للسيد أحمد الهاشمي . ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠ / ٢٦٢ - ٢٦٣

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠ / ٢٦٢ - ٢٦٣ .

غَاشِيَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيهِمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧) قُلْ
هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴿ (١) .

فبيان آى السموات فى قوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ
تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُسَمًّى ﴾ (٢) ، وبيان آى الأرض فى قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ
فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ (٣) .

فهذه آى السموات والأرض ، وقد زيدت بيانا فى مواضع .
وفى قوله تعالى : ﴿ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ ما يصدر من الآيات
عن السموات والأرض ، لأن الظلمة التى لليل صادرة عن حرم
الأرض ، وضياء النهار يكون من نور الشمس ، وهى سماوية . ثم
زاد تعالى آيات الأرض بيانا وتفصيلا فى قوله : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قُطُوعٌ
مَتَجَاوِرَاتٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٤) .

أيضا فقد قال مثل ما سبق السيوطى (٥) والألوسى (٦) . وأرى أنهما قد
تأثرا برأى أبى جعفر بن الزبير ، إلا أن السيوطى أضاف قائلا : " هذا مع

(١) سورة يوسف الآيات من ١٠٥ - ١٠٨ .

(٢) سورة الرعد الآية ٢ .

(٣) سورة الرعد الآية ٣ .

(٤) الآية سورة الرعد : ٤ ، والنص انظر : نظم الدرر ١٠ / ٢٦٤ - ٢٦٥ بتصرف .

(٥) فى أسرار ترتيب القرآن ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٦) فى روح المعانى ١٣ / ٨٤ .

اختتام سورة يوسف بوصف الكتاب بالحق ، وافتتاح هذه أى — سورة الرعد — بمثل ذلك . وهو من تشابه الأطراف " (١) .

وبهذا يتضح لنا أن هاتين السورتين مترابطتان تمام الترابط ، وتظهر الوحدة الموضوعية بين سور القرآن الكريم وكأنه عقد منظوم منتهى التناسق والتماثل بين حباته ، أو حلقة مفرغة لا يعرف بدايتها من نهايتها ، وهذا يدل على أن القرآن الكريم معجز ليس فى تشريعاته وأحكامه وأسلوبه ٠٠٠ فحسب بل أيضا فى ترتيب آياته وسوره . فكل سورة تمهد للسورة اللاحقة فى تسلسل فكرى متصل أتم الإتصال ، وأن خاتمة كل سورة متناسبة تمام المناسبة لمفتتح السورة اللاحقة .

سبب نزول سورة يوسف :

وقد ورد فى سبب نزولها روايات متعددة منها :

روى عن سعد بن أبى وقاص أنه أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه على أصحابه زمانا فقالوا : يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت (٢) .
وقيل هو تسلية للرسول ﷺ عما كان يفعل به قومه بما فعل إخوة يوسف به (٣) .

وقيل إن اليهود سألوا الرسول ﷺ أن يحدثهم بأمر يعقوب وولده ، وشأن يوسف فنزلت (٤) .

(١) أسرار ترتيب القرآن ص ١١٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٩ / ٩ .

(٣) البحر المحيط لأبى حيان ٢٣٤ / ٦ .

(٤) المرجع السابق .

وقيل إن كفار مكة أمرتهم اليهود أن يسألوا رسول الله ﷺ
عن السبب الذي أحل بني إسرائيل بمصر فسألوه فنزلت (١) .

ويستشهد للقولين الأخيرين ما أخرجه البيهقي في الدلائل
عن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ؓ ، أن حبرا
من اليهود دخل على رسول الله ﷺ ، فوافقوه وهو يقرأ سورة
يوسف ، فقال يا محمد ، من علمكها ؟ قال : " الله علمنيها "
فعجب الحبر لما سمع منه ، فرجع إلى اليهود ، فقال لهم : والله
أن محمدا ليقرأ القرآن كما أنزل في التوراة ، فانطلق بنفر منهم
حتى دخلوا عليه ، فعرفوه بالصفة ، ونظروا إلى خاتم النبوة بين
كتفيه ، فجعلوا يستمعون إلى قراءته بسورة يوسف فتعجبوا منه
وأسلموا عند ذلك (٢) .

وقد عقب الأكوسي على الرواية السابقة فقال : " وفي القلب من
صحة الخبر ما فيه " (٣) .

الوحدة الموضوعية لسورة يوسف :

تعتبر سورة يوسف من أعظم المسليات التي وصى الله - تعالى -
بها نبيه ﷺ فقد أخبره عما دار بين يوسف وإخوته ، وعما تعرض له
هذا النبي الكريم من مصائب الدنيا .

(١) روح المعاني للأكوسي ١٢ / ١٧٠ .

(٢) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٤ / ٣ .

(٣) روح المعاني للأكوسي ١٢ / ١٧٠ .

ولا شك أن في قصة يوسف وما يشبهها ، تسلية للرسول ﷺ عما أصابه من قومه .

والذى يطالع هذه السورة الكريمة بتدبر وتركيز يجدها قد تناولت حكم وأحكام ، وعبر وعظات بأسلوب مشوق حكيم ، تهدى النفوس ، وتشرح الصدور ، وتكشف عن الخفايا التى لا يعلمها أحد إلا الله تعالى ، وتصور أحوال النفس الإنسانية تصويرا بديعا معجزا . وتهون على أصحاب البلوى والمحن بأن النقم والمحن قد تكون ذريعة لكثير من النعم لمن اتقى ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ .

وقد هدتنى قراءة لسورة يوسف قراءة مطمئنة ، ودراسة فاحصة لطالبات الدراسات العليا بالكلية إلى تقسيمها إلى هذه الموضوعات ، وكلها تدل على الوحدة الموضوعية للسورة .

الموضوع الأول^(١) : قصص يوسف عليه السلام أحسن القصص .

إن الذى يقرأ السورة بإمعان وتدبر يجد فاتحتها تدل فى براعة الإستهلال على هدفها . قال جل ذكره ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) ﴾ .

(١) الآيات من ١ - ٣ .

هذه الآيات هي فاتحة السورة ، وتعتبر مقدمة طبيعية لما جاء بعدها مباشرة من البدء في قصة يوسف - عليه السلام - وهذا ما يسميه علماء البلاغة ب (براعة الإستهلال) .

قال السيوطي : " ومن الإبتداء الحسن نوع أخص منه يسمى براعة الإستهلال ، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله " (١)

فلما كان جسم هذه السورة قصة ، فقد أبرز ذكر القصص من مادة هذا الكتاب على وجه التخصيص ، وهو جزء من القرآن الموحى به .

الموضوع الثاني (٢) : يوسف في دور الطفولة مع أبيه وقد رأى رؤيا ونصح أبيه له :

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَخَفْتُكُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) ﴾

الموضوع الثالث (٣) : يوسف وإخوته وما كان منهم :

تناولت السورة في هذا الموضوع مكر أخوة يوسف به ، وحسدهم له ، وتآمرهم على الإنتقام منه وإجماعهم على أن يلقوا به في الجب ، وتنفيذهم لذلك بعد خداعهم لأبيهم ، وزعمهم له بأنهم سيحافظون على أخيه يوسف .

(١) الإقتان في علوم القرآن للسيوطي ٣ / ٣١٨ . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٢) الآيات من ٤ - ٦ .

(٣) الآيات من ٧ - ١٨ .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَتَخُنَ عَصِيَّةٌ إِنَّ أَبَاتَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) فَاتَّكَلُوا بِيُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمَ الْعِجْنِيِّينَ ۖ ﴾ الآيات الموضوع الرابع (١) : يوسف مع السيارة :

فقد حدثتنا السورة عن انتشال السيارة ليوسف من الجيب ، وعن بيعهم له بثمن بخس دراهم معدودة . قال تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَتَبُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِيينَ (٢٠) ﴾ .

الموضوع الخامس (٢) : يوسف في بيت عزيز مصر :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَانْعَلَمْنَا مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۖ ﴾

الموضوع السادس (٣) : يوسف مع امرأة العزيز وكيف كانت

محنته ؟

في هذا الموضوع تحدثت الآيات عن محنة يوسف عليه السلام في دار العزيز ومرادة امرأته ليوسف لأجل أن يريد منها ما تريد هي ،

(١) الآيتان ١٩ - ٢٠ .

(٢) الآيتان ٢١ - ٢٢ .

(٣) الآيات من ٢٣ - ٢٩ .

وإعدادها الوسائل لذلك . ثم تحدثت عن تمنعه من ذلك وردّها معترًا بالإيمان بالله وبالأمانة لسيده وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ وَرَأَوْدَتُهُ لَتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

ثم تحدثت عن إجلاء الحقيقة بشهادة شاهد من أهلها وافتضاح أمرها فيقول : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنْ كَيْدُكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) ﴾ .

الموضوع السابع (١) : شيوع الخبر في المدينة وما ترتب على ذلك

تحدثت السورة في هذا الموضوع عن شيوع خبر امرأة العزيز مع فتاها ، و عما فعلته تلك المرأة مع النسوة الاتى أشعن الخبر ، وعن لجوء يوسف - عليه السلام - إلى ربه يستجير به من كيد هؤلاء النسوة ، و حبه لدخول السجن مما يدعونه إليه من ارتكاب الفاحشة .

قال تعالى حاكيا هذا المشهد بأسلوب معجز : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

(١) الآيات من ٣٠ - ٣٤ .

(٢) الآيات من ٣٥ : ٤٠ .

الموضوع الثامن (١) : يوسف فى السجن :

تحدثت السورة الكريمة فى هذا الموضوع عن يوسف السجين المظلوم ، وكيف أنه لم يمنع السجن من دعوة رفاقه فيه إلى وحدانية الله ، وإلى إخلاص العبادة له سبحانه .

﴿ يَصَاحِبِي السَّجْنَ الرِّبَابِ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرًا أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤٠) .

الموضوع التاسع (٢) : تأويل يوسف لرؤيا صاحبيه :

قال سبحانه : ﴿ يَصَاحِبِي السَّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْتَفِى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَنَّبُ فَمَا أَكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ . ﴾ .

الموضوع العاشر (٣) : تأويل يوسف لرؤيا ملك مصر ودعوته

للإلتقاء به :

تحدثت السورة فى هذا الموضوع عن الرؤيا المفزعة التى رآها ملك مصر فى ذلك الوقت ، وكيف أن حاشيته عجزت عن تفسيرها ، ولكن يوسف الصديق فسرها تفسيراً صحيحاً أعجب الملك ، وحمله على دعوته للإلتقاء به .

(١) الآيات من ٣٥ : ٤٠ .

(٢) الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

(٣) الآيات ٤٣ - ٥٢ .

قال تعالى ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) ﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِي (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) ﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ الآيات .

الموضوع الحادى عشر (١) : النفس أمارة بالسوء :

لما اعترفت امرأة العزيز فى الآيات السابقة بصدق يوسف عليه السلام وقالت ﴿ الآن حصح الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين . . ﴾ ثم قالت هنا ﴿ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، وهذا اعتراف بالحق ، والإعتراف بالحق فضيلة .

الموضوع الثانى عشر (٢) : تولية يوسف رئيسا لحكومة مصر ومهيما على ماليتها :

فى هذا المشهد بيان سنة من سنن الله تعالى التى لا تتخلف ، والتى تتمثل فى حسن عاقبة المؤمنين حيث يقول سبحانه

(١) الآية ٥٣ .

(٢) الآيات من ٥٤ - ٥٧ .

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾ .

الموضوع الثالث عشر^(١): اللقاء الأول الذي تم بين يوسف وإخوته ، وطلبه أن يحضروا أبيهم من أبيهم :

يحكى هذا المشهد كيف تم اللقاء بين يوسف وإخوته حين جاءوا من بلادهم بفلسطين إلى مصر يلتمسون الزاد، وأنه عرفهم دون أن يعرفوه ، وطلب منهم أن يحضروا إليه من بلادهم ومعهم أخوهم من أبيهم – وهو شقيقه بنيامين – وكيف أن أباهم وافق على إرسال "بنيامين" معهم بعد أن أخذ عليهم العهود والمواثيق لكي يحافظوا عليه .

قال تعالى : ﴿ وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون . . . ﴾ الآيات .

(١) الآيات من ٥٨ – ٦٦ .

الموضوع الرابع عشر (١) : يعقوب يوصى أبنائه الذاهبين إلى

مصر:

تحدثنا الآيات عن وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه ألا يدخلوا مصر من باب واحد ولكن يدخلوها من أبواب متفرقة حتى لا يحسدكم حاسد أو يكيد لهم كائد فيحل بهم مكروه .

قال جل ذكره ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ۖ ﴾ .

الموضوع الخامس عشر (٢) : اللقاء الثاني بين يوسف وإخوته ، وتدبير حيلة لإبقاء أخيه بنيامين عنده :

تحدثنا الآيات عن حضور إخوة يوسف للمرة الثانية ومعهم " بنيامين " شقيق يوسف ، وكيف تعرف يوسف عليه ثم تدبير حيلة ليحتجزه عنده .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفَقِدُ

(١) الآيتان ٦٧ ، ٦٨ .

(١) الآيات من ٦٩ - ٨٧ .

صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا
جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ
جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ
اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ
ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ . ﴿

وينتهي هذا الموضوع بقول يعقوب — عليه السلام — لأبنائه
بعد أن عادوا إليه وليس معهم أخوهم " بنيامين : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّيْتُمْ
لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْزًا فَصَبْرًا جَمِيلًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ
هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . ﴿ إلى قوله تعالى ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا
مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْسَبُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْتَسُّ مِنْ رُوحِ
اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

الموضوع السادس عشر (١) : اللقاء الثالث بين يوسف وإخوته
وتعرفهم عليه .

تتحدث السورة في هذا الموضوع عن اللقاء الأخير بين يوسف
وإخوته ، وكشفه عن نفسه في هذا اللقاء ، وأمرهم أن يعودوا إلى أبيهم
ويلقوا بقميصه على وجه أبيه .

(١) الآيات من ٨٨ — ٩٣

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا
الضُرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ
يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ
جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَأَنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ
اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)
..... ﴾ الآيات .

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْتَقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرًا وَأَتُونِي
بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) ﴾

الموضوع السابع عشر (١) : يعقوب وقد جاء البشير :

لقد شم يعقوب - عليه السلام - رائحة قميص ابنه منذ فصلت
الغير من مصر وهنا لا ننكر أن خارقة من الخوارق يمكن أن تقع للنبي
كيعقوب من ناحية نبي كيوسف وهذا مسطور في النص القرآني قال
تعالى ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ
تُقَنِّدُونِي ۖ ۞ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ
هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

الموضوع الثامن عشر (٢) : تأويل رؤيا يوسف من قبل .

في النهاية يجئ ذلك الموقف الجليل الرائع . موقف اللقاء الجامع
ويوسف في أوج سلطانه وأوج تأويل رؤياه وتحقق احلامه . وإذا به
ينسلخ من هذا كله وينتحي جانبا مناجيا ربه .

(١) الآيات من ٩٤ - ٩٨ .

(٢) الآيات من ٩٩ - ١٠١ .

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ .

الموضوع التاسع عشر^(١) : القصة وما تشير إليه من أهداف :

هذا هو الموضوع الأخير من السورة ، وهو تعقيب على ما جاء في تلك القصة من حكم وأحكام ، ومن عبر وعظات ، ومن آداب وهدايات .

وهذا التعقيب يترابط مع التقديم للقصة ، حيث قال

سبحانه ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .

ومن ثم يعقب ذلك، التسرية عن قلب الرسول ﷺ وتوهين أمر المكذبين على نفسه وبيان مدى عنادهم وإصرارهم وعماهم عن الآيات المبنوثة في كتاب الكون ، وهي حسب الفطرة السليمة في التنبيه إلى دلائل الإيمان . ثم تهديدهم بعذاب الله الذي قد يفاجئهم وهم غافلون قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ عَرَّصْتِ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾ .

(١) الآيات من ١٠٢ - ١١١ .

ولما كان الغرض من القصص القرآني العبرة والعظة بمن تقدم من الأمم فضلا عن أنها دليل النبوة لما فيها من الأخبار التي لا تعرف إلا بالوحي للرسول ، لهذا ختم سبحانه السورة بقوله ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

هذا عرض مجمل لأهم الموضوعات التي اشتملت عليها سورة يوسف - عليه السلام - ومن هذا العرض نرى الوحدة الموضوعية في السورة الكريمة .

يقول الشيخ السيد قطب (١) : " والسورة كلها لحمة واحدة عليها الطابع المكي واضحا في موضوعها وفي جوها وفي ظلالها وفي إحياءاتها . بل إن عليها طابع هذه الفترة الحرجة الموحشة بصفة خاصة . . . ففي الوقت الذي كان رسول الله ﷺ يعاني من الوحشة والغربة والإنقطاع في جاهلية قريش - منذ عام الجزن - وتعاني منه الجماعة المسلمة هذه الشدة كان الله - سبحانه - يقص على نبيه الكريم قصة أخ له كريم - يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم - عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين - وهو يعاني صنوفا من المحن والابتلاءات : محنة كيد الإخوة . ومحنة الجب والخوف والترويع فيه . ومحنة الرق وهو ينتقل كالسلعة من يد إلى يد على غير إرادة منه . ولا حماية ولا رعاية من أبويه ولا من أهله . ومحنة كيد امرأة العزيز والنسوة ، وقبلها ابتلاء الإغراء والشهوة والفتنة ! ومحنة السجن بعد رغد العيش

(١) في ظلال القرآن ٤ / ١٩٥٠ بتصرف .

وطراوته فى قصر العزيز ، ثم محنة الرخاء والسلطان المطلق فى يديه ، وهو يتحكم فى أقوات الناس ٠٠٠ ومحنة المشاعر البشرية وهو يلقى بعد ذلك إخوته الذين ألقوه فى الجب وكانوا السبب الظاهر لهذه المحن والإبتلاءات كلها ٠٠ هذه المحن والإبتلاءات التى صبر عليها يوسف — عليه السلام — وزوال دعوته إلى الإسلام من خلالها ، وخرج منها كلها متجردا خالصا ، منيبا إلى ربه ٠٠٠

فلا عجب أن تكون هذه السورة بما احتوته من قصة ذلك النبى الكريم تسلية للرسول ﷺ ولأصحابه عما أصابهم من أعدائهم ، وتسرية لقلوبهم وتطمينا لنفوسهم .

وكان هذه السورة إحياء من الله لنبية ﷺ بإخراج من مكة إلى دار أخرى يكون فيها النصر والتمكين ! كما أخرج يوسف من حضن أبيه ، ليواجه هذه الإبتلاءات كلها ، ثم لينتهى بعد ذلك بالنصر والتمكين " .

وبعد :

فهذه مقدمة لسورة يوسف — عليه السلام — رأيت أن أسوقها قبل البدء فى تفسيرها ، لعلها تعين القارئ على فهم ما اشتملت عليه من حكم وأحكام . ومن عبر وعظات ٠٠ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عفاف النيار

قصة يوسف - عليه السلام - أحسن القصص

قال الله تبارك وتعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) ﴾ .

افتتحت سورة يوسف - عليه السلام - ببعض حروف التهجي .

وقد وردت هذه الفواتح تارة مفردة بحرف واحد ، وتارة مركبة من حرفين ، أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة .

فالسور التي افتتحت بحرف واحد ثلاثة وهى سورة : ص ، ق ، ن .

والسور التي افتتحت بحرفين تسعة ، وهى : طه ، طس ، يس ، حم

فى ست سور ، وهى : غافر ، فصلت ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف

والسور التي بدئت بثلاثة أحرف ، ثلاثة عشرة سورة وهى ألم فى ست

سور ، وهى : البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ،

والر فى خمس سور هى : يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، وطم فى

سورتين هما : الشعراء ، القصص .

وهناك سورتان بدئتا بأربعة أحرف وهما : الأعراف ، الرعد .

وسورتان بدئتا بخمسة أحرف وهما : مريم ، والشورى .

فيكون مجموع السور التي افتتحت بالحروف المقطعة تسعا

وعشرين سورة .

هذا ، وقد وقع خلاف بين العلماء فى المعنى المقصود بتلك الحروف المقطعة التى افتتحت بها بعض السور القرآنية ، ويمكن إجمال خلافهم فى رأيين رئيسيين :

الرأى الأول : يرى أصحابه أن المعنى المقصود منها غير معروف ، فهى من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه .

وروى فى ذلك عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : " لكل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور " (١) .

وعن على - رضى الله عنه - : " أن لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى " (٢) .

كما روى عن الشعبي أنه سئل عن هذه الحروف فقال : " سر الله فلا تطلبوه " (٣) .

وأورد القرطبى عن الربيع بن خثيم (٤) قال : " إن الله تعالى أنزل هذا القرآن فاستأثر منه بعلم ما شاء ، وأطلعكم على ما شاء . فأما ما استأثر به لنفسه ، فليستم بنائليه فلا تسألوا عنه . وأما الذى أطلعكم عليه ،

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازى ٢ / ٣ ، وروح المعانى للكوسى ١ / ١٠٠ .

(٢) مفاتيح الغيب ٢ / ٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١ / ١٥٤ .

(٤) هو الربيع بن خثيم بن عاتد بن عبد الله أبو يزيد الكوفى . وهو تابعى .

روى عن النبى ﷺ مرسلًا ، وعن ابن مسعود وغيره . قال عنه الشعبي : كان

من معادن الصدق . مات بعد قتل الحسين - رضى الله عنه - سنة ٦٣ هـ .

انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٣ / ٢٤٢ .

فهو الذى تسألون عنه وتخبرون به ، وما بكل القرآن تعلمون ، ولا بكل ما تعلمون تعملون . " (١)

ونهج السوطى هذا المنهج فقال : " والمختار فيها أنها من الأسرار التى لا يعلمها إلا الله تعالى (٢) وذهب إليه أبوحيان (٣)

ومن الإعتراضات التى وجهت إلى هذا رأى ، أنه إذا كان الخطاب بهذه الفواتح غير مفهوم للناس ، لأنه من المتشابه ، فإنه يترتب على ذلك أنه كالخطاب بالمهمل ، أو مثل ذلك كمثل المتكلم بلغة أعجمية مع أن أناس عرب لا يفهمونها .

وقال الفخر الرازى : " واعلم أن المتكلمين أنكروا هذا القول . وقالوا : لايجوز أن يرد فى كتاب الله تعالى ما لا يكون مفهوما للخلق " (٤) .

وقد احتجوا عليه بآيات كثيرة نحو قوله تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ (٥) ، وأنه ﴿ بلسان عربى مبين ﴾ (٦) ، وأنه جاء : ﴿ تبيان لكل شئ ﴾ (٧) ،

(١) الجامع لأحكام القرآن ١ / ١٥٤ .

(٢) الاتقان فى علوم القرآن ٢ / ١١ .

(٣) فى البحر المحيط ١ / ٣٥ .

(٤) مفاتيح الغيب ٢ / ٣ .

(٥) سورة النساء الآية ٨٢ .

(٦) سورة الشعراء الآية ١٩٥ .

(٧) سورة النحل الآية ٨٩ .

ونحو ذلك من الاستلال بالآيات والأخبار والمعقول . وكل هذه الصفات لا تحصل فى غير معلوم .

وقد أجب عن ذلك ، بأن هذه الألفاظ لم ينتف الإفهام عنها عند كل الناس ، فالرسول ﷺ كان يفهم المراد منها ، وكذلك بعض أصحابه المقربين ، ولكن الذى ننفيه أن يكون الناس جميعا فاهمين لمعنى هذه الحروف المقطعة فى أوائل السور .

أما الرأى الثانى فى رأى أصحابه : أن هذه الفواتح مما يدرك بالعقول وتصل إليه الأفهام ، وأنه لا حرج من البحث فيها .

ولذا فقد خاض العلماء فى بيان معناها ، وتعددت أقوالهم ، لأنه لم يثبت فيها عن الرسول ﷺ شئ ، ولو ثبت عنه شئ فيها ، لما كان لغيره مجال لرأى أو اجتهاد .

قال الشوكانى : " لا نعلم أن رسول الله ﷺ تكلم فى شئ من معانيها ، بل غاية ما ثبت عنه هو مجرد عد حروفها " (١) .

والدليل على قوله هذا ما ورد عن ابن مسعود قال : " قال رسول الله ﷺ : " من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف " (٢) .

(١) فتح القدير ١ / ٣١ - ٣٢ .

(٢) أخرجه الترمذى . كتاب فضائل القرآن . باب ما جاء فىمن قرأ حرفا من القرآن ٥ / ١٧٥ قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

فما روى فى بيان معناها عن بعض الصحابة فهو من اجتهاداتهم واستباطاتهم ، لهذا تعددت أقوالهم أهمها ما يأتى :

١ - أنها أسماء الله تعالى .

٢ - أنها رموز لبعض أسماء الله تعالى أو صفاته أو أفعاله . وكل

حرف منها لمعنى غير معنى الحرف الآخر . فقد روى عن ابن

عباس أنه قال فى (الم) : الألف إشارة إلى أنه أحد ، أول ، آخر ،

أزلى ، أبدى . واللام إشارة إلى أنه ملك ، مجيد . منان " (١)

٣ - ومنها أنها أسماء للسور . واستدلوا على هذا برواية أبى هريرة

أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة (الم

السجدة) و (هل أتى على الإنسان) (٢) .

٤ - ومنها أنها أقسام أقسم الله بها .

٥ - وقيل : إنها للإلتباه والإستماع ، إذ أعرض المشركون عند سماع

القرآن الكريم ، وصموا آذانهم عنه . فأراد سبحانه أن ينبههم بتلك

الحروف ليستمعوا لما سيتلى عليهم بعدها .

فقد روى أن الكفار لما قالوا : ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا

فيه لعلكم تغلبون ﴾ (٣) وتواصوا بالإعراض عنه ، أراد الله تعالى لما

(١) مفاتيح الغيب ٢ / ٦ ، والإتقان فى علوم القرآن ٢ / ١١ - ١٢ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب الجمعة . باب ما يقرأ فى صلاة فجر

يوم الجمعة ٢ / ٣١٤ من الفتح .

(٣) سورة فصلت الآية ٢٦ .

أحب من صلاحهم ونفعهم أن يورد عليهم ما لا يعرفونه ليكون ذلك سبباً لإسكاتهم واستماعهم لما يرد عليهم من القرآن ؛ فأنزل الله تعالى عليهم هذه الحروف فكانوا إذا سمعوها قالوا كالمتعجبين : اسمعوا إلى ما يجئ به محمد عليه السلام ، فإذا أصغوا هجم عليهم القرآن فكان ذلك سبباً لاستماعهم وطريقاً إلى انتفاعهم . وقد نسب هذا القول لابن روق وقطرب (١) .

٦ - ومنها أنها تدل على انقطاع كلام واستئناف كلام آخر . قال الطبري : " افتتح الله بها ليعلم أن السور التي قبلها قد انقضت ، وأنه قد أخذ في أخرى فجعل هذا على انقطاع ما بينهما (٢) .
٧ - وقيل أنها للتحدى والإعجاز .

نخلص من هذا إلى أن الله تعالى أنزل هذه الحروف في أوائل السور ، وسكت عنها صاحب الشرع ﷺ ، ليطلق الحرية للعقول في فهمها ، ويذر الناس يبحثون فيها ، تنبيهاً على القدرة التامة في جانب الله عز وجل ، والقصور في جانب العباد . وستظل لله فيها أسرار . وبهذا يتضح لى أن كل ما قال برأى ، إنما قاله من وجهة نظره ، ومن خلال فهمه واستنتاجاته ليس أكثر .

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازى ٢ / ٦ ، وجامع البيان في تفسير القرآن

للطبري ١ / ١٥٥ ، والبرهان في علوم القرآن للزركشى ١ / ١٧٥ .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ١ / ٦٩ .

ولعل أقرب الأقوال إلى الصواب أنها للتحدى والإعجاز ، وكان الله سبحانه وتعالى يريد أن يبين لهؤلاء المعاندين المكابرين أن هذا القرآن الذى تحداهم به وعجزوا عن الإتيان بمثله ، أو بعشر سور ، أو بسورة واحدة ، إنما هو مؤلف من جنس هذه الحروف التى ينطقون بها ، ومن اللغة العربية التى ليست دخيلة عليهم ، فى حين أنهم كانوا فى ذلك الوقت علماء الفصاحة والبيان فلما عجزوا ، دل ذلك على أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل ، وليس من عند البشر كما زعموا .

ومما يشهد لصحة هذا الرأى : أن الآيات التى تلى هذه الحروف المقطعة تراها تتحدث صراحة أو ضمنا - عن القرآن الكريم وعن كونه من عند الله تعالى - وعن كونه معجزة للرسول ﷺ فى مطلع سورة البقرة : ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . . . ﴾ وفى مطلع سورة آل عمران : ﴿ ألم الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل . . . ﴾ وفى أول سورة يونس : ﴿ ألى تلك آيات الكتاب الحكيم * أكان الناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم . . . ﴾ .

وهكذا نجد أن معظم الآيات التى تلى الحروف المقطعة ، منها ما يتحدث عن أن هذا الكتاب من عند الله سبحانه ومنها ما يتحدث عن وحدانية الله تعالى . ومنها ما يتحدث عن صدق الرسول ﷺ فى دعوته .

وهذا كله يدل على أن القرآن من عند الله ، وأنه المعجزة الخالدة
للرسول ﷺ .

ولكن مهما قيل من أقوال وآراء ، فما هي إقطرة أو قطرات في
بحر خلق الله الذي لا يعرف مداه سواه سبحانه وتعالى : ﴿ قل لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا
بمثله مددا ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة
أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله
عزيز حكيم ﴾ (٢) .

ثم قال تعالى : ﴿ تلك آيات الكتاب المبين ﴾

﴿ تلك ﴾ اسم إشارة ، والمشار إليه الآيات أى آيات هذه السورة
وأشير إليها مع أنها لم تكن قد نزلت جميعها ، لأن الإشارة إلى بعضها
كالإشارة إلى جميعها (٣) ، وقيل : لأنها مترتبة فأنزلها منزلة المتقدم .
أو لجعل حضورها في الذهن بمنزلة الوجود الخارجى . واستخدم اسم
الإشارة للبعيد ، لأن ما أشير إليه لما لم يكن محسوساً نزل منزلة البعيد
لبعده عن حيز الإشارة أو لعظمته وبعد مرتبته (٤) .

(١) سورة الكهف الآية ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان الآية ٢٧ .

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم . المجلد ٧ / ٣١٥ .

(٤) روح المعانى ١٢ / ١٧٠ بتصرف .

الكتاب : المراد به القرآن الكريم .

المبين : من أبان بمعنى بان أى ظهر . فهو الظاهر أمره فى كونه من عند الله تعالى . والمبين حلاله وحرامه ، وحدوده وأحكامه ، وهُداه وبركته .

والمعنى : تلك الآيات التى نتلوها فى هذه السورة وفى غيرها هى آيات الكتاب الظاهر أمره ، والمظهر لما شاء من حلال وحرام وأحكام وتشريعات ، والمرشد إلى مصالح الدنيا وسبيل الوصول إلى سعادة الآخرة .

ثم بين سبحانه الحكمة من إنزاله بلسان عربى مبين فقال : ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾

﴿ أنزلناه ﴾ : الضمير عائد على القرآن . أى أنزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف . والتأكيد بحرف (إن) ، للرد على المشركين الذين أنكروا أن يكون هذا القرآن من عند الله .

وسمى القرآن قرآنا ، لأنه فى اللغة مصدر مرادف للقراءة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . . . ﴾
ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبى ﷺ ، من باب اطلاق المصدر على مفعوله ، وهذا ما اختاره الشيخ الزرقانى (١) وهو اسم جنس يقع على كله وبعضه ، والقرآن حال من الضمير فى أنزلناه أو بدل منه .

(١) فى مناهل العرفان ١ / ٧ .

قوله: ﴿عربيا﴾ : صفة للقرآن . ومعنى كونه عربيا أى أنه منسوب إلى العرب باعتبار أنه نزل بلغتهم . روى محمد بن على بن الحسين عن آبائه عليهم السلام أجمعين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل — عليه السلام — وهو ابن أربعة عشرة سنة (١) وهذا موافق لما هو مشهور على الألسنة أن إسماعيل — عليه السلام — أبو العرب .

قال ابن كثير (٢) : وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التى تقوم بالنفوس فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة . وكان ذلك فى أشرف بقاع الأرض ، وابتدى فى إنزاله فى أشرف شهور السنة وهو رمضان ، فكمل من كل الوجوه " أ . هـ

وقال الجمل (٣) : " واختلف العلماء هل يمكن أن يقال : فى القرآن شئ

غير عربى .

قال أبو عبيدة : ومن قال بأن فى القرآن شئ غير عربى فقد أعظم على

الله القول . واحتج بهذه الآية ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾

وروى ابن عباس ومجاهد وعكرمة بأن فيه من غير العربى مثل :

سجيل ، والمشكاة ، واليم ، وإستبرق ، ونحو ذلك .

وهذا هو الصحيح المختار ، لأن هؤلاء أعلم من أبى عبيدة بلسان

العرب وكلا القولين صواب إن شاء الله .

(١) روح المعانى ١٢ / ١٧٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٤٤٨ .

(٣) انظر حاشية الجمل على الجلالين ٢ / ٤٣٢ .

ووجه الجمع بينهما أن هذه الألفاظ لما تكلمت بها العرب ،
ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة ، وإن كانت غير
عربية فى الأصل ، لكنهم لما تكلموا بها نسبت إليهم ، وصارت لهم
لغة ، فظهر بهذا البيان صحة القولين ، وأمكن الجمع بينهما . أ .
هـ

وجملة ﴿ لعلمك تعقلون ﴾ بيان لحكمة إنزاله بلغة العرب أى
لكى تعلموا معانيه ، وتفهموا ما فيه . وحذف مفعول " تعقلون "
للإشارة إلى أن نزوله بهذه الطريقة ، يترتب عليه حصول تعقل
أشياء لا حصر لها .

ثم بين سبحانه أن هذا القرآن مشتمل على أحسن القصص فقال :
﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن
وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾

سبب نزول هذه الآية :

ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالوا : يارسول الله لو قصصت
علينا ؟ فنزلت (١)

والقصص : اتباع الخبر بعضه بعضا وأصله فى اللغة من
المتابعة . يقال : قصصت الشئ إذا تتبعت أثره شيئا بعد شئ ، ومنه

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٤٤٨ .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِيهِ ﴾ (١) أى اتبعى أثره (٢) . وقال
تعالى : ﴿ فارتدا على آثارهما قصصا ﴾ (٣) أى : اتبعا .

قال الفخر الرازى : " وإنما سميت الحكاية قصصا لأن الذى يقص
الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا كما يقال : تلا القرآن إذا قرأه لأنه
يتلوا أى يتبع ما حفظ منه آية بعد آية " (٤) .

﴿ أحسن القصص ﴾ أى : أحسن الإقتصاص فنصبه على
المصدرية إما لإضافته إلى المصدر . أو لكونه فى الأصل صفة مصدر
أى : قصصا أحسن القصص . " وفيه مع بيان الواقع إيهام لما فى
اقتصاص أهل الكتاب من القبح والخلل " (٥) . والمفعول محذوف أى
مضمون هذا القرآن ، والمراد به هذه السورة .

قال الألوسى (٦) : " ووجه احسنيتها اشتمالها على حاسد ومحسود ،
ومالك ومملوك ، وشاهد ومشهود ، وعاشق ومعشوق ، وحبس وإطلاق ،
وخصب وجدب ، وذنب وعفو ، وفراق ووصال ، وسقم وصحة ، وحل
وارتحال ، وذل وعز " .

(١) سورة القصص من الآية ١١ .

(٢) لسان العرب ٧ / ٧٤ .

(٣) سورة الكهف من الآية ٦٤ .

(٤) تفسير الفخر الرازى ١٨ / ٨٥ .

(٥) تفسير أبى السعود ٤ / ٢٥١ .

(٦) روح المعانى ١٢ / ٢٧٦ .

وقال الفخر الرازي (١) : " لما فيه من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها فإن إحدى الفوائد التي في هذه القصة : أنه لا دافع لقضاء الله تعالى ولا مانع من قدرة الله تعالى وأنه تعالى إذا قضى للإنسان بخير ومكرمة فلو أن أهل العالم أجمعوا عليه لم يقدروا على دفعه .

الفائدة الثانية : دلالتها على أن الحسد سبب للخذلان والنقصان .
الفائدة الثالثة : أن الصبر مفتاح الفرج كما في حق يعقوب — عليه السلام — لما صبر فاز بمقصوده ، وكذلك في حق يوسف عليه السلام .
قال الجمل (٢) : " والمعنى نحن نبين لك أخبار الأمم السالفة أحسن البيان .

وقيل : المراد خصوص قصة يوسف وإنما كانت أحسن القصص لما فيها من الحكم والنكت وسير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على الأذى والتجاوز عنه أحسن التجاوز وغير ذلك من الفوائد الشريفة .

قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم تتفكه بهما أهل الجنة في الجنة . وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استرح إليها " أ . هـ

(١) تفسير الفخر الرازي ١٨ / ٨٥ :

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ٤٣٣/٢ .

وعن سر تكرار قصص الأنبياء في القرآن وعدم تكرار

قصة يوسف :

قال الألوسى (١) : " وقال الأستاذ أبو اسحاق : إنما كرر الله قصص الأنبياء وساق هذه القصة مساقاً واحداً إشارة إلى عجز العرب ، كأن النبي ﷺ قال لهم : إن كان من تلقاء نفسي فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في سائر القصص وهو وجه حسن "

والباء في قوله ﴿ بما أوحينا إليك هذا القرآن ﴾ للسببية متعلقة

(بنقص) ، و (ما) مصدرية أى : بسبب ايحائنا أى : نقص عليك ونحدثك أحسن ما يُقَصُّ ويُتحدث عنه موضوعاً وفائدة ، لما يتضمنه من العبر والحكم ، بإيحائنا إليك هذه السورة من القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى هو فى النزوة العليا فى بلاغته وتأثيره فى النفوس .

وجملة ﴿ وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ حال من كاف

الخطاب فى (إليك) و " إن " مخفة من الثقيلة وإسمها ضمير الشأن أى " وإنه " والجملة خبر ، والمعنى : وإن الشأن كنت . وقوله ﴿ لمن الغافلين ﴾ أى عن هذه القصة - قصة يوسف - فلم تخطر ببالك ولم تفرح سمعك قط . وهو تعليل لكونه موحى . والتعبير عن عدم العلم بالغفلة ، لإجلال شأن النبي ﷺ وإن غفل عنه بعض الغافلين (٢) .

(١) تفسير الألوسى ١٢ / ١٧٦ .

(٢) تفسير أبى السعود ٤ / ٢٥١ .

وقيل أنه كان من الغافلين عن الدين والشريعة قبل ذلك كما قال
تعالى ﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ (١).
والمعنى : نحن نقص عليك أحسن القصص بسبب ما أوحينا إليك
من هذا القرآن . والحال أنك كنت قبل إيحائنا إليك بهذا القرآن من
الغافلين عن تفاصيل هذا القصص ، وعن دقائق أخباره وأحداثه ، شأنك
فى ذلك شأن قومك الأميين .

(١) سورة الشورى الآية ٥٢ .

يوسف في دور الطفولة مع أبيه وقد رأى رؤيا ونصح أبيه له

قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ﴾

إذ : ظرف متعلق بمحذوف تقديره : أذكر .

ويوسف : علم أعجمي لا عربي مشتق من الأسف وسمى به لأسف

أبيه عليه . أو أسفه على أبيه . أو أسف من يراه على مفارقتة لمزيد

حسنه (١) ، وأبوه : هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام .

روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الكريم بن الكريم بن

الكريم بن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم

السلام " (٢) .

(١) روح المعاني للكلوسي ١٢ / ١٧٧ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب أحاديث الأنبياء باب أم كنتم شهداء إذا

حضر يعقوب الموت ٧ / ٢٢٨ من الفتح .

أيضا روى عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ أى الناس أكرم ؟ قال : " أكرمهم عند الله أتقاهم " قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : " فأكرم الناس يوسف نبى الله بن نبى الله بن نبى الله بن خليل الله " قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال : " فعن معاون العرب تسألوننى ؟ قالوا : نعم قال : " فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا " (١) .

وعاش يوسف — عليه السلام — مائة وعشرين سنة وبينه وبين موسى أربعمائة سنة (٢) .

قوله ﴿ إني رأيت ﴾ نصب مفعولين الأول : أحد عشر ، والثانى : ساجدين . فقد رأى يوسف عليه السلام أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له .

قال الجمل (٣) : والمراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره . وقيل : المراد حقيقة السجود لأنه كان التحية فيما بينهم السجود .

و ﴿ رأيت ﴾ أى : فى المنام . من الرؤيا لا من الرؤية لقوله ﴿ لا تقصص رؤياك ﴾ فإن مصدر رأى المنامية الرؤيا ، ومصدر البصرية الرؤية .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء . ٢٢٥/٧ من الفتح .

(٢) انظر التعبير فى علم التفسير . للسيوطى ص ٣٨١ .

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ٢ / ٤٣٤ .

قال أبو السعود (١) : " ولأن الظاهر أن وقوع مثل هذه الأمور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤية راء دون راء ، فيكون طامة كبرى لا يخفى على أحد من الناس " .

وقال النووي (٢) : " قال الإمام المازري مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا أن الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا يقظة فإذا خلق هذه الإعتقادات فكأنه جعلها علما على أمور أخر يخلقها في ثانی الحال أو كان قد خلقها فإذا خلق في قلب النائم الطيران وليس بطائر فأكثر ما فيه أنه اعتقد أمرا على خلاف ما هو فيكون ذلك الإعتقاد علما على غيره . كما يكون خلق الله سبحانه وتعالى الغيم علما على المطر . والجميع خلق الله تعالى ، ولكن يخلق الرؤيا والإعتقادات التي جعلها علما على ما يُسر بغير حضرة الشيطان ويخلق ما هو علم على ما يُضر بحضرة الشيطان فينسب إلى الشيطان مجازا لحضوره عندها . وإن كان لا فعل له حقيقة ، وهذا معنى قوله ﷺ " الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على أن الشيطان يفعل شيئا " وقوله ﴿ أحد عشر كوكبا ﴾ .

قال ابن كثير (٣) : " وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام أن الأحد عشر كوكبا عبارة عن إخوته وكانوا أحد عشر رجلا سواه ، والشمس والقمر عبارة عن أمه وأبيه . روى هذا عن ابن عباس

(١) تفسير أبي السعود ٤ / ٢٥١ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥ / ١٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ٤٥٠ .

والضحاك وقتادة وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة . وقيل ثمانين سنة وذلك حين رفع أبويه على العرش وهو سريره وإخوته بين يديه ﴿ وخرؤا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا ٠٠ ﴾ أ . هـ
وعن أسماء الكواكب التى رآها يوسف — عليه السلام :

روى عن جابر — رضى الله عنه — قال : أتى النبى ﷺ رجل من يهود يقال له بستانة اليهودى فقال يا محمد أخبرنى عن الكواكب التى رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبه بشئ ونزل عليه جبريل وأخبره بأسمائها قال : فبعث رسول الله ﷺ إليه فقال : " هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها . قال : نعم . فقال : " جربان ، والطارق ، والذئبال ، ونو الكتفين ، وقابس ، ووثاب ، وعمودان ، والفليق ، والمصبح ، والضروح ، ونو الفرع ، والضياء والنور . فقال اليهودى : والله إنها لأسماؤها (١) .

وعن المراد بالشمس والقمر ، وسر ذكرهما بعد الكواكب :
قال أبو السعود : (٢) : " وقيل الشمس والقمر أبواه . وقيل : أبوه وخالته — لأن أمه كانت ماتت — وإنما أخرج الشمس والقمر عن الكواكب لإظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع يعطفهما عليهما كما عطف جبريل وميخائيل على الملائكة عليهم السلام . وقد جوز أن

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ١٢ / ٩٠—٩١ .

(٢) تفسير أبى السعود ٤ / ٢٥٢ .

تكون الواو بمعنى مع أى : رأيت الكواكب مع الشمس والقمر . ولا
يبعد أن يكون ذلك إشارة إلى تأخر ملاقاته عليه السلام لهما عن
ملاقاته لإخوته " أ . هـ

سر تكرر ﴿ رأيتهم ﴾ :

قال الزمخشري ^(١) : " (فإن قلت) ما معنى تكرر رأيت ؟

(قلت) : ليس بتكرار ، وإنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال
وقع جوابا له ، كأن يعقوب — عليه السلام — قال له عند قوله :
إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ، كيف رأيتها سائلا
عن حال رؤيتها ؟ فقال : رأيتهم لى ساجدين " أ . هـ

وإن قيل : إن لفظ ﴿ ساجدين ﴾ لا يليق إلا بالعقلاء ، والكواكب

جمادات فكيف جاز ذلك ؟

أجاب الطبري ^(٢) قائلا : " الكواكب والشمس والقمر إنما يخبر عنها

بفاعلة وفاعلات ، لا بالواو والنون ، إنما هي علاقة جمع أسماء ذكور
بنى آدم والجن والملائكة ، وإنما قيل ذلك . كذلك لأن " السجود " من
أفعال من يُجمع أسماء ذكورهم بالياء والنون أو الواو والنون . فأخرج
جمع أسمائها مخرج جمع أسماء من يفعل ذلك كما قيل ﴿ يا أيها
النمل ادخلوا مساكنكم ﴾ ^(٣) أ . هـ

(١) الكشاف ٢ / ٢٤٢ .

(٢) تفسير الطبري ١٢ / ٩١ .

(٣) سورة النمل من الآية ١٨ .

وقال الفخر الرازى (١) : " إن جماعة من الفلاسفة الذين يزعمون أن الكواكب أحياء ناطقة احتجوا بهذه الآية ، وكذلك احتجوا بقول الله تعالى ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾ (٢) والجمع بالواو والنون مختص بالعلاء . وهذا سائغ ، وهو أن يعطى الشئ حكم الشئ للإشتراك فى وصف ما ، وإن كان ذلك الوصف أصله أن يخص أحدهما . والسجود : سجد كرامة وتواضع ، كما سجدت الملائكة لأدم عليه السلام . وتقديم الجار والمجرور ﴿ لى ساجدين ﴾ ، لإظهار العناية والإهتمام بما هو الأهم ، مع ما فى ضمنه من رعاية الفاصلة .

متى رأى يوسف عليه السلام هذه الرؤيا ؟

لاشك أنه — عليه السلام — رآها حال الصغر ، فأما ذلك الزمان بعينه فلا يعلم إلا بالأخبار :

قال وهب : " رأى يوسف — عليه السلام — وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة فى الأرض كهيئة الدائرة . وإذا عصا صغيرة وثبت عليها حتى ابتلعته فنكر ذلك لأبيه فقال : إياك أن تنكو هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه ، فقال : " لا تذكرها لهم فيكيدوا لك كيدا " (٣) .

(١) تفسير الفخر الرازى ١٨ / ٨٦ .

(٢) سورة يس من الآية ٤٠ .

(٣) راجع هذه الرواية فى تفسير أبى السعود ٤ / ٢٥٢ ، وتفسير الفخر الرازى ١٨ / ٨٧ ، وروح المعانى للأوسى ١٢ / ١٨٠ ، وحاشية الجمل ٢ / ٤٣٤ .

وقيل : كان بين رؤيا يوسف ومسير إخوته إليه أربعون سنة ،
وقيل : ثمانون سنة .

قال علماء التعبير : إن الرؤيا الرديئة يظهر أثرها عن قريب ،
والرؤيا الجيدة إنما يظهر تعبيرها بعد حين . والسبب فى ذلك أن
رحمة الله تقتضى أن لا يحصل الإعلام بوصول الشر إلا عند قرب
وصوله ، حتى يكون الحزن والغم أقل ، وأما الإعلام بالخير فإنه
يحصل متقدما على ظهوره بزمان طويل حتى تكون البهجة الحاصلة
بسبب توقع حصول ذلك الخير أكثر وأتم .

ثم حكى — سبحانه — بعد ذلك ما قاله يعقوب لابنه يوسف بعد أن
قص عليه رؤياه فقال : ﴿ يابنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا
لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾

وقوله ﴿ يابنى ﴾ تصغير ابن ، وصغره للتحبیب له ، والشفقة
عليه ، والتلطيف معه ، ويحتمل أن يكون لذلك ولصغر سنه ، والجملة
استئناف مبنى على سؤال ، كأنه قيل : فماذا قال الأب بعد سماع هذه
الرؤيا العجيبة من ابنه ؟ فقيل : قال : ﴿ يابنى . . ﴾ .

وقوله ﴿ رؤياك ﴾ من الرؤيا التى هى مصدر رأى العلمية الدالة
على ما وقع للإنسان فى نومه ، أما " رأى " البصرية فيقال فى
مصدرها الرؤية .

قال الزمخشري (١) : " أسماء إخوة يوسف يهوذا ، وروبييل ،
وشمعون ، ولاوى ، وربالون ، ويشجر ، ودينه ، ودان ، ونفتالى ،

(١) الكشاف ٢ / ٢٤٣ .

وجاد ، وأشر ، ثم قال : السبعة الأولون من " ليا " بنت خالة يعقوب ، والأربعة الآخرون من سريتين : زلفة وبلهة ، فلما توفيت " ليا " تزوج يعقوب أختها " راحيل " فولدت له بنيامين ويوسف .
وقوله تعالى : ﴿ فيكيدوا لك ٠٠ ﴾ أى فيحتالوا لإهلاكك حيلة عظيمة لا تقدر على مقاومتها ومدافعتها .

والمعنى : قال يعقوب لابنه يوسف — عليهما السلام — بعطف وحنان ، بعد أن سمع منه ما رآه فى منامه : يا بنى لا تخبر إخوتك بما رأيته فى منامك ، لأنك إن أخبرتهم بذلك احتالوا احتيالا خفيا لإهلاكك إهلاكا لا قدرة لك ولا حيلة لمدافعتها ومقاومتها .

وإنما قال يعقوب ذلك ، لأنه فهم من هذه الرؤيا أنه سيكون ليوسف شأن عظيم وسيسود قومه حتى أباه وأمه وإخوته ، وخاف أن يسمع إخوته بها فيحسدوه ويكيدوا له كيدا فنهاه عن أن يقص رؤياه على إخوته .
قال الفخر الرازى ^(١) : " قال أهل التحقيق : وهذا يدل على أنه قد كان لهم علم بتعبير الرؤيا وإلا لم يعلموا من هذه الرؤيا ما يوجب حقا وغضبا " .

والتنوين فى قوله " كيدا " للتعظيم والتهويل ، زيادة فى تحذيره من قص الرؤيا عليهم .

وجملة ﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ واقعة موقع التعليل للنهى عن قص الرؤيا على إخوته . وفيها إشارة على أنهم لو أقدموا

(١) تفسير الفخر الرازى ١٨ / ٨٩ .

على الكيد لكان ذلك مضافا إلى الشيطان . ونظيره قول موسى - عليه السلام - ﴿ هذا من عمل الشيطان ﴾ (١) . وقال يعقوب ذلك ، حتى لا يثير في نفس يوسف كراهية لإخوته ، وهذا شأن الآباء مع أبنائهم يجمعون ولا يفرقون .

والرؤيا حالة شريفة ، ومنزلة رفيعة قال ﷺ : " رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طائر ما لم يحدث بها فإذا حدثت بها وقعت " (٢) .

وأما وجه تحديدها بذلك . لما روى عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : " أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . . . " (٣)

قال بعض أهل العلم (٤) : " إن الله أوحى إلى نبيه في المنام ستة أشهر . ثم أوحى إليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته . ونسبة الوحي في المنام إلى الوحي في اليقظة بقية مدة حياته جزء من ستة وأربعين جزءا ، لأنه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح "

(١) سورة القصص من الآية ١٥ .

(٢) أخرجه الترمذى . كتاب الرؤيا : باب ما جاء في تعبير الرؤيا ٤ / ٥٣٦ قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه . كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١ / ٢٤ - ٣٠ من الفتح .

(٤) انظر فتح البارى ١٦ / ١٧ .

ولم يبق بعد النبوة والرسالة إلا رؤيا المسلم عن انس بن مالك
قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول
بعدي ولا نبي ، قال : فشق ذلك على الناس . فقال : لكن
المبشرات . قالوا : يارسول الله وما المبشرات ؟ قال : رؤيا المسلم
وهي جزء من أجزاء النبوة " (١) .

والرؤيا الصالحة هي بشرى الحياة الدنيا للأولياء قال تعالى:
﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (٢) .
عن عبادة بن الصامت قال : سألت رسول الله ﷺ عن قوله "
لهم البشرى في الحياة الدنيا " ؟ قال : هي الرؤيا الصالحة يراها
المؤمن أو تُرى له . " (٣) .

ومن رأى رؤيا حسنة فليحدث بها من يحب ، ومن رأى
رؤيا سيئة فليتعوذ بالله من شرها . فقد روى عن أبي سلمة قال : لقد
كنت أرى الرؤيا فتمرصني حتى سمعت أبا قتادة يقول : وأنا كنت

(١) أخرجه الترمذى . كتاب الرؤيا . باب : ذهب النبوة وبقيت المبشرات ٤ / ٥٣٣ .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(٢) سورة يونس الآيات ٦٢ - ٦٤ .

(٣) أخرجه الترمذى . كتاب:الرؤيا . باب : لهم البشرى في الحياة الدنيا ٤ / ٥٣٤ -

٥٣٥ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

أرى الرؤيا فتمرصني حتى سمعت النبي ﷺ يقول : " الرؤيا
الحسنة من الله ، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من
يحب ، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ، ومن شر
الشیطان وليتقل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فإنها لن تضره " (١)

وفى رواية للترمذی : " ولا يحدث بها إلا لیبیا او حبیباً " (٢) . وفى
أخرى " ولا يقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح " (٣) .

قال القاضى أبو بكر بن العربى (٤) : أما العالم فإنه يؤولها له
على الخبر مهما أمكنه ، وأما الناصح فإنه يرشده إلى ما ينفعه
ويعينه عليه ، وأما اللبيب وهو العارف بتأويلها فإنه يعلمه بما يعول
عليه فى ذلك أو يسكت ، وأما الحبيب فإنه إن عرف خيرا قاله ،
وإن جهل أو شك سكت "

وحاصل ما ذكر من أدب الرؤيا المكروهة أشياء :

- ١ - التعوذ من شرها .
- ٢ - وشر الشيطان .
- ٣ - أن يتقل حين يهب من نومه عن يساره ثلاثا .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب : التعبير . باب : إذا رأى ما يكره فلا
يخبر بها ولا يذكرها ١٦ / ٩٠ من الفتح .

(٢) أخرجه الترمذی . كتاب الرؤيا باب : ما جاء فى تعبير الرؤيا ٤ / ٥٣٦ .

(٣) انظر فتح البارى ١٦ / ٢٣ .

(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

- ٤ - لا يذكرها لأحد . قال القاضى عياض (١) : " ويحتمل أن يكون إخفاءها لمخافة تعجيل اشتغال سر الرائي بمكروه تفسيرها . لأنها قد تبطل . فإذا لم يخبر بها زال تعجيل روعها وتخويفها . ويبقى إذا لم يعبرها أحد له بين الطمع فى أن لها تفسيراً حسناً . أو الرجاء فى أنها من الأضغاث . فيكون ذلك أسكن للنفس " .
- ٥ - أن يتحول عن جنبه الذى كان عليه لما رواه مسلم (٢) عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليصق عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً وليتحول عن جنبه الذى كان عليه " .
- ٦ - أن يقوم فيصلى لما ورد فى صحيح البخارى (٣) عن رسول الله ﷺ قال : " ٠٠٠ فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل ٠٠٠٠ " .
- ٧ - زاد ابن حجر (سابعة) وهى قراءة آية الكرسي . ولعل ذلك مأخوذ من حديث أبى هريرة " ولا يقربنك شيطان " وينبغى أن يقرأها فى صلاته المذكورة (٤) .

(١) المرجع السابق ١٦ / ٢٦ .

(٢) صحيح مسلم . كتاب : الرؤيا ١٥ / ٢٠ شرح النووى .

(٣) صحيح البخارى . كتاب : التعبير . باب القيد فى المنام ١٦ / ٦٢ - ٦٥ من الفتح .

(٤) فتح البارى ١٦ / ٢٤ .

قال القرطبي (١) : " قال علماؤنا : وهذا كله ليس بمتعارض ؛ وإنما هذا الأمر بالتحول ، والصلاة زيادة ، فعلى الرأى أن يفعل الجميع ، والقيام إلى الصلاة يشمل الجميع ؛ لأنه إذا صلى تضمن فعله للصلاة جميع تلك الأمور ؛ لأنه إذا قام إلى الصلاة تحول عن جنبه ، وإذا تمضمض نفل وبصق ، وإذا قام إلى الصلاة تعوذ ودعا وتضرع إلى الله تعالى فى أن يكفيه شرها فى حال هى أقرب الأحوال إلى الإجابة ، وذلك السحر من الليل "

وقال الدكتور الحسينى أبو فرحة (٢) : " قد سمعت من صالح من علماء المسلمين هو فضيلة الشيخ بسيونى البدوى الخليلى - عليه رحمة الله - وكان من علماء معهد طنطا الأزهرى .

سمعت منه : أن الرؤيا المكروهة من قبيل الوعيد . والوعيد يجوز تخلفه شرعا لأن تخلفه من الرحمة . كما أنها يجوز أن تكون معلقة على شئ . ولا يقع ما علقته عليه كما انها قد تكون للإنذار لتوجيه العبد إلى ما يصلحه . وقد ترفع بدعاء أو صدقة .

وأما الرؤيا المبشرة فلا تختلف لأنها من قبيل الوعد . ووعد الله لا يختلف لأن خلف الوعد مما لا يليق بكرم الله ، قال تعالى : ﴿ وعد

(١) تفسير القرطبي ٩ / ٨٥ - ٨٦ .

(٢) الرؤيا فى الكتاب والسنة ص ١٤ .

الله لا يخلف الله وعده ﴿ (١) . وقال تعالى : ﴿ وعد الله حقاً ومن
أصدق من الله قبلاً ﴾ (٢) .

فقوله ﴿ لا تقصص رؤياك على إخوتك ٠٠٠ ﴾ أصل في ألا
تقص الرؤيا على غير شقيق ولا ناصح .

ويستفاد من هذه الآية ما يأتي :

١ - هذه الآية دعوة لكتمان السر حتى عن أقرب الأقارب إذا وجدنا
فيهم من لا يقدر على حمل أمانة السر .

٢ - يباح للمسلم أن يحذر أخاه المسلم ممن يخافه عليه ، ولا يكون
داخلاً في معنى الغيبة ؛ لأن يعقوب - عليه السلام - قد حذر
يوسف أن يقص رؤياه على إخوته فيكيدوا له كيذا .

٣ - يجوز للإسنان في بعض الأوقات أن يخفي بعض النعم التي أنعم
الله بها عليه عند من يخشى منه الحسد والكيد . وفي الأثر "
استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان " .

٤ - وهي دليل على معرفة يعقوب - عليه السلام - بتأويل الرؤيا ؛
فإنه علم من تأويلها أن يوسف سيظهر على إخوته ، ولم يبال بذلك
من نفسه ، فإن الأب يود أن يكون ولده خيراً منه ، والأخ لا يود
ذلك لأخيه .

(١) سورة الروم الآية ٦ .

(٢) سورة النساء من الآية ١٢٢ .

٥ - ويدل أيضا على أن يعقوب - عليه السلام - كان أحسن من بنيه
حسد يوسف وبغضه ؛ فنهاه عن قصص الرؤيا عليهم خوف أن
تغل بذلك صدورهم ، فيعملوا الحيلة فى هلاكه .

٦ - كذلك أخذ جمهور العلماء من هذه الآية أن إخوة يوسف لم يكونوا
أنبياء

قال الأئوسى (١) : " والظاهر أن القوم - أى إخوة يوسف - كانوا
بحيث يمكن أن يكون للشيطان عليهم سبيل ، ويؤيد هذا أنهم لم يكونوا
أنبياء ، والمسألة خلافية . فالذى عليه الأكثرون سلفا وخلفا أنهم لم
يكونوا أنبياء أصلا ، أما السلف فلم ينقل عن أحد من الصحابة أو
التابعين أنه قال بنبوتهم . "

وأما الخلف فكثير منهم نفى عنهم أن يكونوا أنبياء ، ومن قال بذلك
القرطبى فقد قال ردا على من قال بنبوتهم : " وهذا يردده القطع بعصمة
الأنبياء عن الحسد الدنيوى ، وعن عقوق الأباء ، وتعريض مؤمن للهلاك ،
والتأمر على قتله ، ولا إلتفات لقول من قال إنهم كانوا أنبياء " (٢)

ثم حكى - سبحانه - ما توقعه يعقوب لابنه يوسف من خير وبركة
فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنِيمُ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

(١) روح المعانى ١٢ / ١٨٤ بتصرف .

(٢) تفسير القرطبى ٩ / ٨٥ .

الكاف في قوله ﴿ وكذلك ﴾ حرف تشبيه بمعنى مثل ، وهى داخله على كلام محذوف . أى : ومثل ذلك الإجتباء العظيم الذى شاهدت آثاره فى عالم المثال من سجود تلك الأجرام العلوية النيرة لك .

وقوله ﴿ يجتبيك ربك ﴾ من الإجتباء بمعنى الإصطفاء والإختيار . واختلف العلماء فى المراد بهذا الإجتباء ، فقال الحسن : يجتبيك ربك بالنبوة . وقال آخرون : المراد منه إعلاء الدرجة وتعظيم المرتبة . فأما تعيين النبوة فلا دلالة فى اللفظ عليه ^(١) واجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهى تحصل منه أنواع المكرمات بلا سعى من العبد وذلك مختص بالأنبياء و ببعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين ^(٢) ولا يخفى ما فى ذكر الرب مضافا إلى ضمير المخاطب من اللطف .

قوله ﴿ ويعلمك تأويل الأحاديث ﴾ كلام مستأنف غير داخل تحت التشبيه ، اراد به عليه السلام تأكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف — عليه السلام — بما اخبر به على طريقة التعبير والتأويل . كأنه قال وهو يعلمك ^(٣) .

و ﴿ تأويل الأحاديث ﴾ قال مجاهد : يعنى تعبير الرؤيا ^(٤) .

(١) انظر تفسير الفخر الرازى ١٨ / ٨٩ .

(٢) الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٣٥ .

(٣) تفسير أبى السعود ٤ / ٢٥٣ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢ / ٤٥١ .

وقال الزمخشري : تأويلها : عبارتها وتفسيرها ، وكان يوسف
— عليه السلام — أعير الناس للرؤيا وأصحهم عبارة لها . وقال :
ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث : معاني كتب الله وسنن الأنبياء وما
غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم
ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها (١) .

والأحاديث : جمع تكسير مفردة حديث ، وسميت الرؤى أحاديث باعتبار
حكايتها والتحدث بها .

قوله : ﴿ ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ﴾ .

قال الفخر الرازي : " واعلم أن من فسر الإجتباء بالنبوة لا يمكنه
أن يفسر إتمام النعمة هنا بالنبوة أيضا وإلا لزم التكرار ، بل يفسر إتمام
النعمة هنا بسعادات الدنيا وسعادات الآخرة .

أما سعادات الدنيا : فالإكثار من الأولاد والخدم والأتباع والتوسع
في المال والجاه والحشم وإجلاله في قلوب الخلق وحسن الثناء والحمد .
أما سعادات الآخرة : فالعلوم الكثيرة والخلاق الفاضلة والإستغراق
في معرفة الله تعالى .

وأما من فسر الإجتباء بنيل الدرجات العالية ، فهنا يفسر إتمام
النعمة بانبوة . ويتأكد هذا بأمور : —

الأول : أن إتمام النعمة عبارة عما به تصير النعمة تامة كاملة خالية
عن جهات النقصان . وما ذاك في حق البشر إلا بالنبوة ، فإن
جميع مناصب الخلق دون منصب الرسالة ناقص بالنسبة إلى

(١) تفسير الكشاف ٢ / ٢٤٢ .

كمال النبوة ، فالكمال المطلق والتمام المطلق فى حق البشر ليس
إلا بالنبوة .

والثانى : قوله : ﴿ كما اتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق ﴾
ومعلوم ان النعمة التامة التى بها حصل امتياز ابراهيم وإسحاق
عن سائر البشر ليس إلا النبوة ، فوجب ان يكون المراد بإتمام
النعمة هو النبوة .

وقد اختار الفخر الرازى هذا رأى ؛ لأن النعمة التامة فى حق
البشر ليست إلا النبوة ، وكل ما سواها فى ناقصة بالنسبة إليها " (١) .
ولما فسر إتمام النعمة بالنبوة لزم حصولها لأولاد يعقوب كلهم ، وأنهم كانوا
أنبياء وذلك لأنه قال : ﴿ ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ﴾ وأيضاً
أن يوسف — عليه السلام — قال : ﴿ إني رأيت أحد عشر كوكباً ﴾
وكان تاويله إخوته ، وكما يهتدى الناس بالكواكب ، فسيكون لهم فضل
وكمال ويستضى بعلمهم ودينهم اهل الأرض . لذلك يقتضى أن يكون
جملة أولاد يعقوب أنبياء ورسلا .

قال الفخر الرازى : " فإن قيل : كيف يكونوا أنبياء وقد أقدموا على
ما أقدموا عليه فى حق يوسف — عليه السلام — ؟
قال : قلنا : ذلك وقع قبل النبوة ، وعندنا العصمة إنما تعتبر فى
وقت النبوة لا قبلها " (٢) .

(١) تفسير الفخر الرازى ١٨ / ٩٠ — ٩١ بتصرف .

(٢) تفسير الفخر الرازى ١٨ / ٩١ .

وهذا الرأي مخالف لما سبق أن أوردته عن الألوسى والقرطبي فسى ص
٧٣ ولكنى أميل إلى رأى الفخر الرازى ؛ للأسباب والأمور التى ذكرها .

قوله : ﴿ كما أتمها على أبويك من قبل ﴾ أى : من قبل هذه الرؤيا
أو من قبل هذا الوقت .

وقوله : ﴿ ابراهيم وإسحاق ﴾ بيان لأبويه .

أى : يتم نعمته عليك إتماما كأننا كإتمام نعمته على أبويك من قبل ،
وهما إبراهيم وإسحاق بأن وهبهما - سبحانه - النبوة والرسالة .

وعبر عنهما بأتهما أبوان لىوسف ، مع أن ابراهيم جد أبيه ، وإسحاق
جده ، للإشعار بكمال ارتباطه بالأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام ، ولأن
هذا الإستعمال مألوف فى لغة العرب ، وما زال حتى الآن يستعمل فى ريف
مصر . وقد أثار عن النبى ﷺ أنه قال : أنا النبى لا كذب - أنا ابن عبد
المطلب .

وذلت الآية بجملة : ﴿ إن ربك عليم حكيم ﴾ وهى جملة مستأنفة ،
وبينها وبين ما قبلها شبه كمال إتصال ، فهى تعد تأكيدا لما قبلها ، ذلك أن
يعقوب - عليه السلام - لما وعده بهذه الدرجات الثلاثة وهى الإجتباء
وتأويل الأحاديث وإتمام النعمة بالنبوة ختم الكلام بقوله ﴿ إن ربك عليم
حكيم ﴾ فقوله ﴿ عليم ﴾ إشارة إلى قوله ﴿ الله أعلم حيث يجعل
رسالته ﴾ وقوله ﴿ حكيم ﴾ إشارة إلى أن الله تعالى مقدس عن السفه
والعبث لا يضع النبوة إلا فى نفس قدسية مشرقة علوية .

أى : إن ربك عليم بمن يصطفيه لحمل رسالته ، وبمن هو أهل
لنعمه وكرامته ، حكيم فى صنعه وتصرفاته .

يوسف وإخوته وما كان منهم

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ ﴾ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) قَالُوا يَا أَبَاتَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَنْ نَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَاتَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرًا جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨) ﴿

بينت هذه الآيات ما يلي :

- ١- حالة إخوة يوسف وهم يتآمرون عليه .
- ٢- حالتهم وهم يجادلون أباهم في شأنه .

٣- حالتهم وهم ينفذون مؤامرتهم المنكرة .

٤ - حالتهم بعد تنفيذ المؤامرة وعودتهم إلى أبيهم ليلا يتباكون .

وقوله - سبحانه - ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمَسْأَلِينَ ﴾

الآيات : جمع آية ، والمراد بها هنا العبر والعظات والدلائل الدالة

على قدرة الله تعالى .

للمسائلين : أى : لمن سأل عن قصتهم .

والمعنى : لقد كان فيما حدث بين يوسف وإخوته ، آيات عظيمة

لكل من سأل عنها للإنتفاع بما فيها من المواعظ والحكم ، فمنها رؤيا

يوسف وما حقق الله فيها ، ومنها حسد إخوته له وما آل إليه أمرهم ،

ومنها صبر يوسف على ما فعلوا به وما آل إليه أمره من الملك ، ومنها

حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل إليه أمره من بلوغ المراد

وغير ذلك من الآيات .

وقيل : إن فى قصص يوسف مع إخوته آيات على نبوة محمد ﷺ

للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد

ولا قراءة كتاب .

وهذه الآية شروع فى حكاية قصة يوسف مع إخوته ، بعد أن بين

- سبحانه - صفة القرآن الكريم ، وبعد أن أخبر عما رآه يوسف فى

منامه ، وما قاله أبوه له .

وهذا الإفتتاح كفيل بتحريك الإنتباه لما يلقى بعد ذلك

فقال - سبحانه - ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ

وَنَحْنُ عَصَبَةٌ . . . ﴾ .

قوله : ﴿ ليوسف ﴾ اللام لام الإبتداء ، وفيها تأكيد لمضمون الجملة أى زيادة محبة أبيهم ليوسف وأخيه أمر ثابت لا شبهة فيه .
 والمراد بأخيه : أخوة من أبيه وأمه وهو — بنيامين — وكان أصغر من يوسف — عليه السلام — أما بقية إخوته فكانوا إخوة له من أبيه فقط .
 ولم يذكره بإسمه ، للإشعار بأن محبة يعقوب له ، من أسبابها كونه شقيقا ليوسف ، ولذا كان حسدهم ليوسف أشد (١) .
 وجملة ﴿ ونحن عصبه ﴾ فى محل نصب حال .

والعصبة : ما زاد على عشرة . وعن ابن عباس : ما بين عشرة إلى أربعين . وقيل : للثلاثة نفر ، فإذا زادوا إلى تسعة فهم رهط ، فإذا بلغوا العشرة فصاعدا فعصبة ٠٠٠ والمادة تدل على الإحاطة من العصاية ، لإحاطتها بالرأس (٢) .

أى : قال إخوة يوسف وهم يتشاورون فى المكر به ليوسف وأخيه بنيامين أحب إلى أبينا منا ، يفضلهما علينا جميعا ، ونحن له عصبه قوية تقوم له بكل ما يحتاج إليه من أسباب الرزق والحماية والرعاية والكفاية .

وقولهم كما قص القرآن ﴿ إن أبانا لفى ضلال مبين ﴾ لم يريدوا ضلال الدين ، إذ لو أرادوه لكانوا كفارا ؛ بل أرادوا لفى ذهاب عن وجه التدبير ، فى إثارة اثنين على عشرة مع استوائهم فى الإنتساب إليه (٣)

(١) التفسير الوسيط المجلد ٧ / ٣٢٢ .

(٢) الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٣٧ .

(٣) تفسير القرطبي ٩ / ٨٧ .

هل يصح تفضيل بعض الأبناء على بعض ؟

وقد تسائل الفخر الرازى قائلا : " إن من الأمور المعلومة أن تفضيل بعض الأبناء على بعض يورث الحقد والحسد ، ويورث الآفات فليَمَ أقدم يعقوب — عليه السلام — على هذا التفضيل ؟ ثم أجاب : أنه — عليه السلام — ما فضلها على سائر الأولاد إلا فى المحبة . والمحبة ليست فى وسع البشر فكان معذورا فيه ولا يلحقه بسبب ذلك لوم " (١).

وأما تخصيصهما بمزيد البر فيحتمل أنه كان لوجوه (٢) :

الأول : أن أهمها ماتت وهما صغار ، وحب الصغير أمر مركز فى فطرة البشر . فقد قيل لأعرابية : أى بنيك أحب إليك قالت : الصغير حتى يكبر . والغائب حتى يقدم ، والمريض حتى يشفى .

الثانى : لأنه كان يرى فيه من آثار الرشد والنجاة ما لم يجد فى سائر الأولاد . وزاد ذلك الحب بعد الرؤيا لتأكيدهما تلك الأمارات عنده .

الثالث : لعله — عليه السلام — وإن كان صغيرا إلا أنه كان يخدم أباه بأنواع من الخدم أشرف مما كان يصدر عن سائر الأولاد .

فلا لوم على الوالد فى تفضيله بعض ولده على بعض فى المحبة لمثل ذلك .

(١) تفسير الفخر الرازى ١٨ / ٩٣ بتصرف .

(٢) راجع تفسير الفخر الرازى ١٨ / ٩٣ ، وروح المعانى للكلوسى ١٢ / ١٩٠ .

ثم أخبر - سبحانه - عما اقترحوه للقضاء على يوسف فقال
تعالى : ﴿ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم
وتكونوا من بعده قوما صالحين ﴾

قوله ﴿ اقتلوا يوسف ﴾ لما قوى الحسد فيهم قالوا لا بد من تباعد
يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل إلا بأحد أمرين : إما القتل ، وإما
التغريب إلى أرض يحصل اليأس من إجتماعه بأبيه تفتسه الأسود أو
يموت في تلك الأرض البعيدة (١) .

معنى ﴿ اطرحوه ﴾ قال ابن سيده : طرح بالشئ . . أى رمى به
ويقال : اطرحه أى : أبده (٢) .

إعراب ﴿ أرضا ﴾ : ورد في نصبه ثلاثة أوجه :

الأول : أن يكون منصوبا على إسقاط حرف الجر . أى فى أرض
بعيدة عن الأرض التى هو فيها ، قريب من أرض يعقوب .
كقوله ﴿ لا تمدن لهم صراطك المستقيم ﴾ وإليه ذهب الجوفى
وابن عطية (٣) .

الثانى : النصب على الظرفية . قال الزمخشري : " أى أرضا منكورة
مجهولة بعيدة عن العمران ، وهو معنى تنكيرها وإخلائها من
الوصف وإلزامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف
المبهمه " (٤) .

(١) الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٣٧ .

(٢) لسان العرب ٢ / ٥٢٨ .

(٣) الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٣٧ .

(٤) الكشاف ٢ / ٢٤٤ .

الثالث : أنها مفعول ثان على تضمين اطرحوه معنى أنزلوه (١) وأنزلوه يتعدى لأثنين قال تعالى : ﴿ رب أنزلني منزلا مباركا ﴾ (٢).

والمعنى : لقد بالغ أبونا في تفضيل يوسف وأخيه علينا ، مع أننا أولى بذلك منهما : وما دام هو مصرا على ذلك ، فالحل أن تقتلوا يوسف ، أو أن تلقوا به في أرض بعيدة مجهولة حتى يموت فيها غريبا .

قال الألوسي (٣) : " وحاصل المعنى : اقتلوه أو غربوه فإن التغريب كالقتل في حصول المقصود مع السلامة من إثمه ، ولعمري ذكروا أمرين مرين فإن الغربية كربة أية كربة ؛ والله تعالى در من قال :
حسنوا القول وقالوا غربة
إنما الغربية للأحرار ذبح
وجملة ﴿ يخل لكم وجه أبيكم ﴾ جواب الأمر مجزوم .
المراد ب (الوجه) :

١- هو الجارحة المعروفة ، وفي الكلام كناية عن خلوص المحبة .

قال الزمخشري (٤) : " أى يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم ، والمرد سلامة محبته لهم ممن يشاركون فيها وينازعهم إياها ، فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم ، لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه "

(١) البحر المحيط ٦ / ٢٤٣ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٢٩ .

(٣) روح المعاني ١٢ / ١٩١ .

(٤) الكشاف ٢ / ٢٤٤ .

٢ - ويجوز أن يراد بالوجه الذات . كما قال تعالى : ﴿ ويبقى وجه ربك . . ﴾ (١) . أى يخل لكُم أبوكُم بتدبير أموركم ، وتنظيم أحوالكم .

وجملة ﴿ وتكونوا من بعده قوما صالحين ﴾ معطوفة على جواب الأمر .

والضمير فى " من بعده " عائد على يوسف . أى بعد الفراغ من أمره ، أو من بعد قتله ، أو طرحه . فالضمير إما ليوسف أو لأحد المصدرين المفهومين من الفعلين .

ولكن كيف يكونوا قوما صالحين بعد الذى دبروه ليوسف ؟
أجاب الفخر الرازى (٢) قائلا : " فيه وجوه " :

الأول : أنهم علموا أن ذلك الذى عزموا عليه من الكبائر . فقالوا : إذا فعلنا ذلك تبنا إلى الله ونصير من القوم الصالحين .

والثانى : أنه ليس المقصود هنا الصلاح الدينى ، بل المعنى يصلح شأنكم عند ابيكم ويصير أبوكُم محبا لكم مشتغلا بشأنكم .

الثالث : المراد أنكم بسبب هذه الوحشة صرتم مشوشين لا تتفرغون لإصلاح مهم ، فإذا زالت هذه الوحشة تفرغتم لإصلاح مهماتكم .

وقال الدكتور / سيد طنطاوى (٣) : " وهكذا النفوس عندما تسيطر عليها الأحقاد وتقوى فيها رذيلة الحسد ، تفقد تقديرها الصحيح للأمور ،

(١) سورة الرحمن من الآية ٢٧ .

(٢) تفسير للفخر الرازى ١٨ / ٩٤ - ٩٥ .

(٣) التفسير الوسيط المجلد السابع ص ٣٢٤ .

وتحاول التخلص ممن يزارحها بالقضاء عليه ، وتصور الصغائر فى صورة الكبائر ، والكبائر فى صورة الصغائر .

فباخوة يوسف هنا ، يرون أن محبة أبيهم لأخيهم جرم عظيم ، يستحق إزهاق روح الأخ . وفى الوقت نفسه يرون أن هذا الإزهاق للروح البريئة شئ مهين ، فى الإمكان أن يعودوا بعده قوما صالحين أمام خالقهم وأمام أبيهم ، وأمام أنفسهم .

قوله — سبحانه — ﴿ قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين ﴾ .

فى هذه الآية بيان للرأى الذى اقترحه أحدهم ، واستقر عليه أمرهم .

قوله ﴿ وألقوه فى غيابة الجب ﴾

قال القرطبى : " قرأ أهل مكة وأهل البصرة وأهل الكوفة " فى غيابة الجب " وقرأ أهل المدينة " فى غيابات الجب " (١) .

قال الزمخشري (٢) : " وهى غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله .

قال الشاعر :

إن أنا يوما غيبتنى غايبتنى فسيروا بسيرى فى العشيرة والأهل

أراد الشاعر : غيابة حفرة التى يدفن فيها .

وقيل : الغيابة فى الجب شبه كهف . أو طاق فى البئر فوق الماء يغيب

ما فيه عن العيون (٣) .

(١) تفسير القرطبى ٩ / ٨٨ .

(٢) الكشاف ٢ / ٢٤٤ .

(٣) روح المعانى ١٢ / ١٩٢ .

والجب : البئر ، منكر . وقيل : الركية - أى الحفرة - التى لم تطو - أى لم تبين بالحجارة - فإذا طويت فهى بئر ، وسمى جبا ، لأنه جب فى الأرض أى قطع (١) .

" وجمع بين الغيابة والجب ، لأنه أراد ألقوه فى موضع مظلم من الجب حتى لا يلحقه نظر الناظرين . قيل : هو بئر بيت المقدس ، وقيل هو بالأردن . قاله وهب بن منبه " (٢) .

قوله ﴿ يَلْتَقِطُهُ ﴾ أى : يأخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف ، فإن الإلتقاط أخذ شئ مشرف على الضياع .
والسيارة : أى المارة من المسافرين . وفى المختار (٣) : " السيارة : القافلة "

والمعنى : قال قائل من إخوة يوسف - الله أعلم باسمه ولا حاجة لنا فى معرفته - قال : لا تقتلوا يوسف فهو أخوكم بالإضافة إلى أن قتله جرم عظيم ، ولكن إذا أردتم التخلص منه حقا فألقوه فى قعر البئر ، حيث يغيب خبره إلى أن يلتقطه بعض المسافرين الذين يسىرون فى الأرض للتجارة ، فيتم لكم غرضكم وهو إبعاده عن أبيه ، وبذلك تستريحون منه ويخل لكم وجه أبيكم إن كنتم فاعلين الصواب فهذا هو الصواب .

وجواب الشرط فى قوله ﴿ إن كنتم فاعلين ﴾ محذوف لدلالة " والقوه " عليه .

(١) المرجع السابق ، ولسان العرب ١ / ٢٥٠ .

(٢) تفسير القرطبي ٩ / ٨٨ .

(٣) مختار الصحاح ص ٣٢٥ .

والمعنى : إن كنتم عازمين مصرين على أن تفعلوا به ما يفرق بينه وبين أبيه أو إن كنتم فاعلين بمشورتي ورأيتي فآلقوه .

" وفي هذه الجملة من هذا القائل ، محاولة منه لتثبيطهم عما اقترحوه من القتل أو التغريب بأسلوب بليغ ، حيث فوض الأمر إليهم ، تعظيما لهم ، وحذرا من سوء ظنهم به فكان أمثالهم رأيا وأقربهم إلى التقوى " (١) .

ثم قص - سبحانه - محاولاتهم مع أبيهم ، ليأذن لهم بخروج يوسف معهم فقال :

﴿ قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون
أرسله معنا غدا يرتع ويلعب معنا وإنا له لحافظون ﴾

قال إخوة يوسف ، وقد رأوا ما رأوا من حب أبيهم ليوسف ، وما كان يستريح إذا غاب يوسف عنه لحظة ولو مع إخوته ، وكانوا يفهمون حرص أبيهم على يوسف - قالوا : يا أبانا مالك لا تأمنا عليه ؟ وأي شيء عرض لك من الشبهة حتى لا تأمنا على يوسف ، والحال أننا له ناصحون ومخلصون .

وهذا الكلام يدل على أن يعقوب - عليه السلام - كان يخافهم على يوسف ولولا ذلك ما قالوا ذلك القول .

وفي ندائهم له بلفظ " يا أبانا " تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم ، وتذكيرا لرابطة الأخوة بينهم وبين يوسف - عليه السلام - واستمالة

(١) التفسير الوسيط . المجلد السابع ص ٣٢٦ .

لقلبه ليعدل عن رأيه على عدم خروج يوسف معهم ، وحفظه منهم لما أحس بحسدهم .

وقوله ﴿ قالوا ما لك لا تأمنا ﴾ استفهام يفيد التعجب من عدم ائتمانهم على أخيهيم ، وهو يوحى بأنهم بذلوا محاولات قبل ذلك فى اصطحابه معهم ولكنها باءت بالفشل .

قال الجمل (١) : قوله ﴿ قالوا يا أبانا . . . الخ ﴾ مبنى على مقدمات محذوفة وذلك أنهم قالوا أولا ليوسف اخرج معنا إلى الصحراء إلى مواشينا فنستبق ونصيد ، وقالوا له سل أباك أن يرسلك معنا ، فسأله فتوقف يعقوب ، فقالوا له ما لك لا تأمنا . . الخ .

إعراب " ما لك لا تأمنا "

ما : اسم استفهام مبتدأ .

لك : خبر . " لا " نافية . تأمنا : فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت و" نا " مفعول به ، وقد أضغمت نون تأمن ب " نا " . وجملة ﴿ لا تأمنا ﴾ حال . والتقدير : أى شئ ثبت لك منا ؟ .

ولإستنزاله عن رأيه قالوا ﴿ وإنا له لناصحون ﴾

قال الزمخشري (٢) : " والمعنى : لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه ، وليس فينا ما يخل بالنصيحة والمحبة . وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف . . وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه "

(١) الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٣٨ .

(٢) الكشاف ٢ / ٢٤٤ بتصريف .

وقد أكدوا الجملة بعدة مؤكدات : بأن ، والجملة الإسمية ، وتقديم " له " ،
واقتران الخبر باللام . كل ذلك يؤيد أنهم يشعرون بما فى نفس أبيهم
بالنسبة لهم وليوسف .

ثم أضافوا إلى ذلك قولهم ﴿ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له
لحافظون ﴾

الرتع : الأكل والشرب رغدا فى الريف ، وقيل : يلها وينعم ، وقيل :
معناه يسعى وينبسط (١) .

والمراد باللعب هنا : الإستجمام ورفع السامة ، كالتسابق عن طريق
العدو ، وما يشبه ذلك من ألوان الرياضة المباحة .

أى : أرسله معنا فى الغد يرتع كما يشاء ويطيب له من أكل الفاكهة
والبقول فى الهواء الطلق ويلعب معنا فى وقت سرور ونشاط .

﴿ وإنا له لحافظون ﴾ كل الحفظ من أن يصيبه مكروه ، وقد أكدوا هذه
الجملة بألوان من المؤكدات مثل التى قبلها .

ولكن يعقوب — عليه السلام — اعتذر لهم بشيئين :

أحدهما : الحزن على فراقه وعدم صبره على بعده .

والثانى : خوفه عليه من الذئب إن غفلوا عنه برعيهم ولعبهم ، أو بقله
إهتمامهم بحفظه وعنايتهم .

وخص الذئب : " لأنه كان السبع الغالب على قطره ، أو لصغر يوسف

فخاف عليه هذا السبع الحقيقير " (٢) . قال الزمخشري (٣) : " وقيل: رأى فى

(١) لسان العرب ٨ / ١١٢ .

(٢) البحر المحيط ٦ / ٢٤٦ .

(٣) الكشاف ٢ / ٢٤٥ .

فى النوم أن الذئب قد شد على يوسف ، فكان يحذره فمن ثم قال ذلك
فلقنهم العله . وفى أمثالهم " البلاء موكل بالمنطق " .

فلما ذكر يعقوب — عليه السلام — هذا الكلام أجابوا بقولهم ﴿ لئن
أكله الذئب ونحن عصية إنا إذا لخاسرون ﴾ .

قال الزمخشري (١) : " القسم محذوف تقديره والله ﴿ لئن أكله الذئب ﴾
واللام موطنة للقسم — وإن شرطية — وقوله ﴿ إنا إذا لخاسرون ﴾ جواب
للقسم مجزى عن جزاء الشرط " فجملة جواب الشرط محذوفة ، لأن الجواب
يعطى للمتقدم .

وقوله ﴿ لخاسرون ﴾ مجاز عن الضعف والعجز ، والعلاقة السببية .
والمعنى : لئن حصل ما خافه أبيهم من خطف الذئب أخاهم من بينهم
وحالهم أنهم عشرة رجال إنهم إذا لقوم خاسرون أى : " لها لكون ضعفا
وخورا وعجزا . أو مستحقون للهلاك إذ لا غناء عندنا ولا جدوى فى
حياتنا . أو مستحقون لأن يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسروهم الله
تعالى ودمرهم حيث أكل الذئب بعضهم وهم حضور .

وقال الألوسى (٢) : " ويجوز أن يكون بمعناه الحقيقى أى : إن لم نقدر
على حفظه ٥٥ فقد هلكت مواشينا وخسرناها " .

وقد تساءل الفخر الرازى (٣) قائلا : " إن يعقوب — عليه السلام —
اعتذر بعذرين — أى حزنه على فراقه ، وخوفه من أن يأكله الذئب —
فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر ؟

(١) الكشاف ٢ / ٢٤٥ .

(٢) روح المعانى ١٢ / ١٩٦ بتصرف .

(٣) تفسير الفخر الرازى ١٨ / ٩٨ .

ثم أجاب عن تسائله فقال : إن حقدهم وغيظهم كان بسبب العذر الأول ، وهو شدة حبه له فلما سمعوا ذكر ذلك المعنى تغافلوا عنه .

تنفيذ المؤامرة :

وهكذا استسلم الوالد الحريص لإلحاح أبنائه ليتحقق قدر الله تعالى وتتم القصة كما تقتضى مشيئته تعالى .

قال تعالى ﴿ فلما ذهبوا وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب * وأوحينا إليه لتبينهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾

أخرج ابن جرير الطبرى ^(١) عن السدى " قال : . . . فلما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ، فجعل لا يرى منهم رحيمًا فضربوه ، حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما صنع بابنك بنو الإماء ؟ فلما كادوا يقتلونه قال يهوذا : أليس قد أعطيتموني موتًا أن لا تقتلوه فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه فجعلوا يدلونه فى البئر فيتعلق بشفير البئر ، فربطوا يديه ونزعوا قميصه : فقال : يا أخوتاه ردوا على قميصى أتوارى به فى الجب . فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك . قال : إني لم أر شيئًا ، فدلوه فى البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت ، وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها قال : فلما ألقوه فى البئر جعل يبكى فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فلباهم ، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه ، فقام يهوذا فمنعهم ، وقال : قد أعطيتموني موتًا أن لا تقتلوه ، وكان يهوذا يأتيه بالطعام " أ . هـ

(١) تفسير الطبرى ١٢ / ٩٦ .

وروى : أنهم لما ألقوه فى الجب جعل يبكى ٠٠٠ ونزل جبريل -
 عليه السلام - يؤنسه ، فلما أمسى نهض ليذهب فقال له : إني أستوحش
 إذا ذهبت ، فقال : إذا رمت لى فقل : يا صريخ المستصرخين ،
 ويامغيث المستغيثين . وبا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعلم
 حالى ولا يخفى عليك شئ من أمرى . فما قالها يوسف - عليه السلام
 - حفته الملائكة عليهم السلام واستأنس بهم (١) .

واخرج ابن مردويه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " لمت
 ألقى يوسف فى الجب أتاه جبريل عليه السلام فقال : يا غلام من ألقاك
 فى هذا الجب ؟ قال : إخوانى . قال : ولم ؟ قال : لمودة أبى إياى
 حسدنى ، قال : تريد الخروج من هنا ؟ قال : ذاك إلى إله يعقوب ،
 قال : قل : اللهم إنى أسألك باسمك المكنون المخزون يا بديع السموات
 والأرض يا ذا الجلال والإكرام أن تغفر لى وترحمنى وأن تجعل من
 أمرى فرجا ومخرجا وأن ترزقنى من حيث أحتسب ومن حيث لا
 أحتسب ، فقالها فجعل الله تعالى له من أمره فرجا ومخرجا ورزقه ملك
 مصر من حيث لا يحتسب . ثم قال عليه الصلاة والسلام : أظنوا
 بهؤلاء الكلمات فإنهن دعاء الصطفين الأخيار " قال الأوسى (٢) :
 " وروى غير ذلك ، والروايات فى كيفية إلقائه . وما قال . وما قيل له
 كثيرة ، وقد تضمنت ما يلين له الصخر . لكن ليس فيها ما له سند يعول
 عليه ، والله اعلم أ . هـ -

(١) روح المعانى ١٢ / ١٩٦ .

(٢) المرجع السابق ١٢ / ١٩٨ .

ولكن الله العالم البصير الرحمن الرحيم ، لا يترك مظلوما يتخبط بل هو معه ناصره وحافظه ومطمئنه ، أوحى إلى يوسف : لا تخف فانه معك ، وسيظهرك عليهم ، ويذلهم لك ويحقق رؤياك ، ويسجد لك سجد خضوع إخوتك الأخذ عشر وأبوك وأمك ، ولتتبنهم بأمرهم هذا وهم لهول الموقف لا يشعرون .

فالضمير في قوله : ﴿ وأوحينا إليه ﴾ يعود على يوسف — عليه السلام — وإما أن يكون الوحي عن طريق الإلهام القلبي ، أو عن طريق جبريل — عليه السلام — ، أو عن طريق الرؤيا الصالحة . ستخبرهم في الوقت الذي يشاؤه الله تعالى .

وقوله ﴿ بأمرهم هذا ﴾ أى : بما فعلوه معك فى صغرك من إلقاءك فى الجب ، ومن إنجاء الله — تعالى — لك .
وجملة ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ جملة حالية .

قال القرطبي (١) : " اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله عز وجل بقوله ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ :

قال مجاهد : أوحى إلى يوسف وهو فى الجب أن سينبئهم بما صنعوا وهم لا يشعرون بذلك الوحي .

وقال ابن عباس : " لما دخل إخوة يوسف فعرفهم وهم له منكرون . قال : جيء بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن ، فقال : إنه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به فألقيتموه فى غيابة الجب . قال : ثم نقره فطن فأنتيتم أباكم فقلتم إن الذئب أكله ، وجنتم على قميصه بدم كذب . قال : فقال

(١) تفسير القرطبي ١٢ / ٩٦ .

بعضهم لبعض: إن هذا الجام ليخبره بخبركم . قال ابن عباس : فلا نرى
هذه الآية إلا فيهم لتنبئتهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون أ . هـ
وقد تحقق كل ذلك — كما سيأتى — عند تفسير قوله تعالى ﴿ فلما
دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر ﴾ .

وكان هذا الإيحاء — على الراجح — قبل أن يبلغ سن الحلم ، وقبل
أن يكون نبيا ، " فقيل : كان عمره إذ ذاك سبع سنين . وقيل : ست ،
قاله الضحاك . وأبعد من ذهب إلى أنه إثنتا عشرة سنة ، وثمان عشرة
سنة ، وكلاهما عن الحسن ، أو سبع عشرة سنة قاله ابن السائب " . (١)
ويدل على أنه كان صغيرا بحيث لا يدفع عن نفسه قوله :
﴿ وأخاف أن يأكله الذئب ﴾ و ﴿ يرتع ويلعب ﴾ ﴿ وإنا
له لحافظون ﴾ وأخذ السيارة له ، وقول الوارد : هذا غلام ،
وقول العزيز ﴿ عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ﴾ ومن
هو ابن ثمان عشرة سنة لا يخاف عليه من الذئب ولا سيما إن
كان فى رفقة ، ولا يقال فيه : أو نتخذه ولدا .

وكان المقصود من الإيحاء: إدخال الطمأنينة على قلبه ، وتبشيره
بما يصير إليه أمره من جاه وسلطان .

قال مقاتل : " وكان هذا الجب الذى ألقوه فيه على بعد ثلاثة فراسخ

من منزل يعقوب " (٢)

ثم قص سبحانه أقوالهم لأبيهم بعد أن ألقوا يوسف فى الجب

ورجعوا إليه وقت العشاء باكين .

(١) راجع روح المعانى للأوسى ١٢ / ١٩٨ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ١٨ / ٩٦ .

قال تعالى : ﴿ وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَاتَنَا إِنَّا
 ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ
 لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ
 لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨) ﴾
 قوله ﴿ وجاءوا أباهم عشاء يبكون ﴾

العشاء : وقت غيبوبة الشفق ، وحلول الظلام .

قال أبو حيان (١) : " قيل : وإنما جاءوا عشاء ليكون أقدر على
 الإعتذار في الظلمة ، ولذا قيل : لا تطلب الحاجة بالليل ، فإن
 الحياء في العينين ، ولا تعتذر في النهار من ذنب فتتلجج في
 الإعتذار " أ . هـ

وأرى أن هذه النصيحة لا تنسحب علينا الآن ، فالكهرباء بددت
 الظلمة ، فلا يستطيع أحد التستر خلف الظلام .

المراد بالبكاء هنا : البكاء المصطنع أى متباكين أى
 مظهرين البكاء بتكلف ، فهو لم يكن عن حزن ، فعلوا ذلك للتمويه
 والخداع ، وليقنعوا أبيهم أنهم لم يقصروا في حق أخيهم .

قال ابن كثير (٢) : " قال بعض السلف ، لا يغرنك بكاء المتظلم
 قرب ظالم وهو بالك ! وذكر بكاء إخوة يوسف وقد جاءوا أباهم
 عشاء وهم يبكون "

(١) البحر المحيط ٦ / ٢٤٩ .

(٢) قصص الأنبياء ص ٢١٦ .

وقال الزمخشري (١) : " روى أن امرأة حاكمت إلى شريح فبكت ، فقال الشعبي : يا أبا أمية أما تراها تبكى ؟ ! فقال : قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ، ولا ينبغي لأحد أن يقضى إلا بما أمر أن يقضى به من السنة المرضية " أ . هـ

قال القرطبي (٢) : " روى أن يعقوب — عليه السلام — لما سمع بكاءهم قال : ما بكم ؟ أجرى فى الغنم شئ ؟ قالوا : لا . قال : فأين يوسف ؟ قالوا : إنا ذهبنا نستبق فأكله الذئب "

قوله ﴿ ذهبنا نستبق ﴾ أى نتسابق فى العدو ، أو فى الرمى بالسهام ، قال القرطبي (٣) : " والغرض من المسابقة تدريب النفس على العدو ، لأنه الآلة فى قتال العدو ، ودفع الذئب عن الأغنام "

﴿ وتركنا يوسف عند متاعنا ﴾ أى : عند الأشياء التى نتمتع بها فى رحلتنا من ثياب وطعام .

قوله : ﴿ فأكله الذئب ﴾ وذلك أنهم لما سمعوا أبيهم يقول : " وأخاف أن يأكله الذئب " فالتفتوا الحكاية من قول أبيهم .

ثم قالوا : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ والمعنى : لو كنا عندك من أهل الثقة والصدق لاتهممتنا فى يوسف لشدة محبتك إياه ولظننت أنا قد كذبنا .

ولكنهم لم يكتفوا بهذا التباكى وبهذا القول ، بل أضافوا إلى ذلك تمويهها آخر قصه القرآن فى قوله تعالى : ﴿ وجاءوا على قميصه بدم كذب . . ﴾ الواو عاطفة .

(١) الكشاف ٢ / ٢٤٦ .

(٢) تفسير القرطبي ٩ / ٩٦ .

(٣) المرجع السابق .

جاءوا فعل وفاعل ، على قميصه : محله النصب على الظرفية كأنه
قيل : وجاءوا فوق قميصه بدم كذب . وهذا الظرف معمول لحال
محدوفة من دم . والتقدير : وجاءوا بدم كذب حال كونه كائنا فوق
قميصه .

قال الألوسى^(١) : " أخرج ابن ابي حاتم . وأبو الشيخ وقتادة أن
أخوة يوسف أخذوا ظبيا فذبحوه فلطخوا بدمه القميص ، ولما جاءوا به
جعل يقلبه فيقول : ما أرى به ناب ولا ظفر إن هذا السبع رحيم ..
وفي رواية قال : تالله ما رأيت كالليوم ذنبا أحلم من هذا أكل ابني ولم
يمزق عليه قميصه .. "

ووصف الدم بالكذب مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه . كما يقال
للكذاب : هو الكذب بعينه .

قال القرطبي^(٢) : " قال علماؤنا رحمة الله عليهم : لما أرادوا أن
يجعلوا الدم علامة على صدقهم قرن الله بهذه العلاقة علامة تعارضها ،
وهي سلامة القميص من التئيب ؛ إذ لا يمكن أفتراس الذئب ليوسف
وهو لابس القميص ويسلم القميص من التخريب ؛ ولما تأمل يعقوب -
عليه السلام - القميص فلم يجد فيه خرقا ولا أثرا استدل بذلك على
كذبهم ، وقال لهم : متى كان هذا الذئب حكيما ياكل يوسف ولا يخرق
القميص ! قاله ابن عباس وغيره " أ . هـ -

" وقد استدل الفقهاء بهذه الآية في أعمال الإمارات في مسائل الفقه
.. وأجمعوا على أن يعقوب - عليه السلام - استدل على كذبهم

(١) روح المعاني ١٢ / ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) تفسير القرطبي ٩ / ٩٩ .

بصحة القميص ؛ وهكذا يجب على الناظر أن يلاحظ الأمارات والعلامات إذا تعارضت ، فما ترجح منه قضى بجانب الترجيح ، وهي قوة التهمة ؛ قاله ابن العربي " (١)

هنالك اكتشف يعقوب كذبهم ، وأنهم قد اصطنعوا هذه الحيلة المخادعة له . لذا قال ملوحاً بكذبهم : ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾

التسويل : التزيين والتحسين أى : زينته وحسنه وصورته فى صورة الشئ الحسن مع أنه قبيح .

والمعنى : قال يعقوب لأبنائه بأسى ولوعة بعد أن فعلوا ما فعلوا وقالوا ما قالوا : قال لهم ليس الأمر كما زعمتم من أن يوسف قد أكله الذئب ، وإنما الحق أن نفوسكم الحاقدة عليه هى التى زينت لكم أن تفعلوا معه فعلا سيئا قبيحا .

ونكر " أمراً " للتهويل والتشنيع لما اقترفوه فى حق أخيهم .

ثم قال توطئة وتهنئة لنفسه ﴿ فصبر جميل ﴾

قال القرطبي (٢) : قال مجاهد : " فصبر جميل ، أى من غير جزع ، وقال الثورى : " من الصبر أن لا تحدث بوجعك ولا مصيبتك ، ولا تزكى نفسك " ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله ﴾ .

قال الألوسى (٣) : " قيل : إنه عليه السلام سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصا فسنل عن سبب ذلك فقال : طول الزمان وكثرة

(١) تفسير القرطبي ٩ / ٩٩ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) روح المعنى ١٢ / ٢٠١ .

الأحزان ، فأوحى الله تعالى إليه أتشكو إلى غيرى فقال : يارب خطيئة
فاغفرها "

ثم أضاف إلى ذلك قوله ﴿ والله المستعان على ما تصفون ﴾
والمعنى : أن إقدامه على الصبر لا يمكن إلا بمعونة الله تعالى .
قال الشعبي : " قصة يوسف كلها فى قميصه . وذلك لأنهم لما ألقوه
فى الجب نزعوا قميصه ولطخوه بالدم وعرضوه على أبيه ، ولما شهد
الشاهد قال : ﴿ إن كان قميصه قد من قبل ٠٠ ﴾ ولما أتى بقميصه
إلى يعقوب — عليه السلام — فألقى على وجهه ارتد بصيرا " (١)
وقد رد القرطبي هذا القول فقال : " وهذا مردود ؛ فإن القميص
الذى جاءوا عليه بالدم غير القميص الذى قد ، وغير القميص الذى أتاه
البشير به . وقال : وقد قيل : إن القميص الذى قد هو الذى أتى به
فارتد بصيرا " (٢)

أقول : ليس المقصود هو نفس القميص فى الثلاث حالات . بل
القميص هنا جنس .

قال الشيخ القاسمى (٣) : " وفى الآية من الفوائد : أن الحسد يدعوا
إلى المكر بالمحسود وبمن يراعيه ٠٠ وأن الحاسد إذا ادعى النصيح
والحفظ والمحبة ، لم يصدق ، وأن من طلب مراده بمعصية الله —
تعالى — فضحه الله — عز وجل — وأن القدر كائن ، وأن الحذر لا
ينجى منه ٠٠٠ "

(١) تفسير الفخر الرازى ١٠٢/١٨ .

(٢) تفسير القرطبي ٩٩/٩ .

(٣) تفسير القاسمى ٩ / ٣٥٢٠ ملخصا.

يوسف مع السيارة

قتال تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) ﴾

في هاتين الآيتين يقص القرآن الكريم مرحلة أخرى من مراحل قصة يوسف - عليه السلام - ، حيث انتشاله من الجبّ وبيعه بثمن بخص .
قوله ﴿ وجاءت سيارة ﴾ قال الزمخشري (١) : " هي رفقة - قافلة - تسير من قبل مدين إلى مصر ، وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الجب فأخطئوا الطريق فنزلوا قريبا منه ، وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران لم يكن إلا للرعاة ، وقيل : كان ماؤها ملحا فعذب حين ألقى فيه يوسف " .

والوارد : هو الذي يرد الماء ليستقى للقوم . فيقال لكل من يرد الماء وارد ، كما يقال للماء مورد .

قوله ﴿ فأدلى دلوه ﴾ أي أرسلها في البئر . قال الواحدي : " يقال : أدلى دلوه إذا أرسلها في البئر ودلاها إذا نزعها من البئر " (٢)
قال قتادة والسدي : " لما أدلى المدلى دلوه تعلق بها يوسف فقال : يابشرى هذا الغلام ؛ قال قتادة : بشر أصحابه بأنه وجد عبدا . وقال السدي : نادى رجلا اسمه بشرى " (٣) .

(١) تفسير الكشاف ٢ / ٢٤٧ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٨ / ١٠٥ .

(٣) تفسير القرطبي ٩ / ١٠١ .

والأوجه قول قتادة ، فهي تعبير عن ابتهاجه وسروره .

قال الألوسي (١): " نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه ورفقته كأنه نزلها منزلة شخص فناداه . فهو استعارة مكنية تخيلية أى : يابشرى تعالى فهذا أوان حضورك ، وقيل : المنادى محذوف كما فى ياليت أى : يا قوم انظروا واسمعوا بشرى ، وقيل : إن هذه الكلمة تستعمل للتبشير من غير قصد إلى النداء "

قال الجمل (٢) : " كان يوسف أحسن ما يكون من الغلمان ، وقد أعطى شطر الحسن . وقيل : ورثه من جدته سارة ، وكانت قد أعطيت سدس الحسن ، فكان حسن الوجه جعد الشعر . ضخم العينين والساقين . خميص البطن . صغير السرة . وكان إذا تبسم ظهر النور من ضواحه ، وإذا تكلم ظهر من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه " أ . هـ

معنى قوله : ﴿ وأسروه بضاعة ﴾

أسر : من الإسرار الذى هو ضد الإعلان . أى : أخفوه من الرفقة ، أو كتموا أمره من وجدانهم له فى الجب .

والضمير المنصوب وهو الهاء فى قوله ﴿ وأسروه بضاعة ﴾ يعود إلى يوسف . أما الضمير المرفوع فيعود إلى السيارة .

وعلى هذا يكون المعنى : وأخفى جماعة المسافرين خبر التقاط يوسف من الجب مخافة أن يطلبه أحد من السكان المجاورين للجب ، وعزموا على بيعه على أنه من العبيد .

(١) روح المعانى ١٢ / ٢٠٣ .

(٢) الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٤٢ .

وقال ابن عباس : " الضمير فى " وأسروه " و " شروه " يعود إلى إخوة يوسف ، وأنهم قالوا للرفقة : هذا غلام قد أبق لنا فاشتروه منا ، وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه ، وذلك أنه روى أن بعضهم رجع إلى الجب ليتحققوا أمر يوسف ويقفوا على الحقيقة من فقدته ، فلما علموا أن الوارد قد أخذه ، جاؤوهم وقالوا تلك المقالة " (١)

وعلى هذا الرأى يكون معنى ﴿ وأسروه بضاعة ﴾ : أخفى إخوة يوسف كونه أخوا لهم . واعتبروه عرضاً من عروض التجارة القابلة للبيع والشراء .

والحق أن الرأى الأول هو الذى تطمئن إليه النفس ، ولأنه بعيد عن التكلف .

ثم ختم سبحانه الآية بما يناسب موضوعها ؛ وهو الوعيد على صنيعهم هذا فقال جل ذكره ﴿ والله عليم بما يعملون ﴾ .

فقد يكون هذا الوعيد للسيارة . والمعنى : والله عليم بما يعملون أى : لم تخف عليه أسرارهم ، وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم .

أو وعيد لإخوة يوسف . أى والله عليم بعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخيه من سوء الصنع .

ثم قال تعالى : ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ .

قوله : ﴿ وشروه ﴾

(١) البحر المحيط لأبى حيان ٦ / ٢٥٢

المراد من الشراء : ورد فيه معنيان :

الأول : بمعنى البيع . يقال : شريت الشيء إذا بعته . أى : باعوه فالضمير يعود على السيارة .

وعلى هذا التقدير يكون الضمير فى كونه ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ على السيارة ؛ " لأنهم التقطوه ، والملتقط للشيء متهاون به لايبالى بم باعه ، ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يديه فيبيعه لأول مساوم بأوكس الثمن " (١)

الثانى : يجوز أن يكون المراد من الشراء نفس الشراء . أى أن الرفقة اشتروه من إخوته ؛ وكانوا فيه من الزاهدين ، لكونهم ارتابوا فيه ، أو لوصف إخوته له بالخيانة والإباق ، أو لعلمهم أنه حر .

وصف الثمن :

وقد وُصف الثمن الذى بيع به يوسف — عليه السلام — بصفتين :

الصفة الأولى : كونه بخسا لقوله ﴿ بثمن بخس ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنه : يريد حراما ، لأن ثمن الحر حرام ، وقال : كل بخس فى كتاب الله نقصان إلا هذا فإنه حرام ، وقال الواحدى : سماوا الحرام بخسا لأنه ناقص البركة (٢) .

(١) انظر الكشاف للزمخشري ٢ / ٢٤٧ .

(٢) راجع تفسير الفخر الرازى ١٨ / ١٠٧ ، وروح المعانى للكلوسى ١٢ / ٢٠٤

وقال قتادة : بخر ظلم ، والظلم . يقال : ظلمة أنقصه ،
وقال عكرمة والشعبي : قليل ، وقيل : ناقص عن القيمة
نقصانا ظاهراً (١)

الصفة الثانية : قوله ﴿ دراهم معدودة ﴾

دراهم : جمع درهم ، وهى بدل من ثمن .
ومعدودة : صفة لدراهم .

وهى كناية عن كونها قليلة ، لأن الشئ القليل يسهل عده ،
بخلاف الكثير ، فإنه يوزن فى الغالب .

عن ابن عباس : كانت عشرين درهما ، وعن السدى : اثنيـن
وعشرين (٢)

والمعنى : أن هؤلاء المسافرين بعد أن أخذوا يوسف ليـجعلوه
عرضا من عروض تجارتهم باعوه بثمن قليل تافه .

ثم قال تعالى ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾

أصل الزهد قلة الرغبة . أى غير راغبين فيه — أى فى يوسف
— لأن غرضهم إبعاده عنهم لا تحصيل ثمنه (٣)

والضمير فى (كانوا) : إن كان للإخوة فظاهر ، وإن كان
للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لأنهم اعتقدوا انه أبى ، فخافوا أن
يخاطروا بمالهم فيه .

(١) المرجعان السابقان .

(٢) روح المعانى ١٢ / ١٠٨ - ١٠٩

(٣) الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٤٣

والمعنى : وكان هؤلاء الذين باعوه من الزاهدين فى بقائه معهم ،
الراغبين فى التخلص منه بأقل ثمن .
قال القرطبي (١) : " فى هذه الآية دليل واضح على جواز شراء
الشئ الخطير بالثمن اليسير ، ويكون البيع لازما ؛ ولهذا قال مالك : لو
باع درة ذات خطر عظيم بدرهم ، ثم قال لم أعلم أنها درة ٠٠ لزمه
البيع ولم يلتفت إلى قوله " أ . هـ

(١) تفسير القرطبي ٩ / ١٠٤

يوسف في بيت عزيز مصر

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَفْعَلَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن مَّن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) ﴾

لقد وصل يوسف إلى مصر ، وبيع ببيع الرقيق ، ولكن الذي اشتراه توسم فيه الخير ، فأوصى امرأته حسن معاملته . قال تعالى ﴿ وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه ﴾ .

لم يكشف السياق في هذه الآية عن اشتراه ، ولكن عرف بعد ذلك أنه عزيز مصر من قوله تعالى ﴿ ... امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ... ﴾

" روى عن ابن عباس قال : " كان الذي اشتراه قطفير ، وقيل : إن اسمه أطفير بن روجيب ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق " (١) .

﴿ لإمرأته ﴾ : قال الطبري (٢) : " ذكر ابن اسحاق اسمها راعيل بنت رعاثيل " وقال السدي " زليخا " (٣) وهو المشهور .

(١) تفسير الطبري ١٢ / ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق

(٣) روح المعاني ١٢ / ٢٠٧ .

قوله : ﴿ أكرمي مثواه ﴾ المثنوى مكان المبيت والإقامة .
 قال الزمخشري (١) : " اجعلى منزله ومقامه عندنا كريما أى حسنا
 مرضيا بدليل قوله ﴿ إنه ربي أحسن مثواي ﴾ (٢) .
 والمراد تفقيده بالإحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه
 طيبة فى صحبتنا ساكنة غى كنفنا ، ويقال للرجل : كيف أبو مثواك وأم
 مثواك لمن ينزل به من رجل أو امرأة ، يراد هل تطيب نفسك
 بثوائك عنده ، وهل يراعى حق نزولك به . واللام فى (لامرأته)
 متعلقة بقال ٠٠ أ . هـ

وبين العزيز لامرأته عما يتوسمه فى الغلام من خير ، وعن سبب
 أمره لها بإكرام مثواه فقال : ﴿ عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ﴾
 ولعلهما لم يكن لهما أولاد كما تذكر بعض الروايات :
 أخرج الطبرى (٣) عن مجاهد قال : " ٠٠٠٠ إن مشترى يوسف
 قال هذا القول لامرأته حين دفعه إليها لأنه لم يكن لديه ولد ولم يأت
 النساء . فقال لها : أكرمي عسى أن يكفيننا بعض ما نعانى من
 أمورنا ٠٠ أو نتخذه ولدا ٠٠ " .
 وقد أمر العزيز امرأته بإكرامه لما رآه فى يوسف من علامات
 الرشد والنجابة ، وأمارات الأدب وحسن الخلق .

(١) الكشاف ٢ / ٢٤٨

(٢) سورة يوسف الآية ٢٣ .

(٣) تفسير الطبرى ١٢ / ١٠٤

وأخرج الطبري^(١) عن ابى عبدة بن عبد الله قال : " أفرس النلس ثلاثة : العزيز حين قال لإمراته أكرمي مثواه والقوم فيه زاهدون ، وأبو بكر حين تفرس فى عمر فاستخلفه ، والمرأة ابنة شعيب — عليه السلام — التى قالت يأبت استأجره "

هكذا قدر ليوسف التمكين فى الأرض . وقد بدأت بشائره بتمكينه فى بيت عزيز مصر . كل هذا التدبير من الله وبه .

يقول الدكتور محمد حجازى^(٢) : " يا سبحان الله ! ! أهكذا يكون يوسف الذى ألقى فى الجب ! وقد وقع فى قلب سيده هذا الموقع . ولا غرابة فانه حارسه وهاديه ، وحافظه وراعيه ومثل ذلك التدبير والعناية بيوسف مكناه فى أرض مصر ، وكان هذا العطف من عزيزها فاتحة الخير وإن اعترض سبيله بعض المشلق فتلك حكم الله يعلمها ، وكما قيل : الحوادث تخلق الرجال . . . مثل ذلك مكناه فى الأرض ، ولنعلمه من تأويل الأحاديث ، وتعبير الرؤيا وهكذا إعداد الأنبياء " أ . هـ

وينبه السياق إلى أن هذا التدبير من الله فقال جل ذكره : ﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ﴾

(١) المرجع السابق ١٢ / ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) التفسير الواضح ١٢ / ١٦٨ .

الكاف فى محل نصب على أنه نعت لمصدر محذوف ، والإشارة
" ذلك " إلى ما تقدم من انجائه من إخوته وإخراجه من الجب ، وعطف
قلب العزيز عليه : أى : مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف فى الأرض
حتى صار متمكنا من الأمر والنهى .

والمراد بالأرض : أرض مصر التى نزل فيها .

وجملة ﴿ ولنعلمه من تأويل الأحاديث ﴾ علة لمعلل محذوف ؛
كأنه قيل : وفعلنا ذلك التمكين له ، لنعلمه من تأويل الأحاديث .

قال الألوسى ^(١) : " أى : بعض تعبير الرؤيا التى عمدتها رؤيا

الملك ، وصاحبى السجن ، وروى هذا المعنى عن مجاهد ، وهو
الظاهر كما يرشد إليه قوله عليه السلام : ﴿ ذلك مما علمنى ربى ﴾ .
الحكمة من تذييل الآية بقوله ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس
لا يعلمون ﴾

ختم سبحانه الآية بقوله ﴿ والله غالب على أمره ٠٠٠ ﴾ لبيان قدرة

الله تعالى ، ونفاذ مشيئته . أى : والله غالب على أمره ، ومنفذ ما أراد ،
لأراد لقضائه ، فكل ما وقع ليوسف من إلقائه فى الجب ومن استرقاقه
وبيعه وتوصية سيده لامرأته بخصوصه وتعليمه الرؤيا وغير ذلك
خطوات لإعداد يوسف للمحل الذى ينتظر . والتعبير بقوله : ﴿ ولكن
أكثر الناس لا يعلمون ﴾ إحتراس لإنصاف ومدح القلة من الناس الذين

(١) تفسير روح المعانى ١٢ / ٢٠٨ .

يعطيهم الله تعالى من فضله ما يجعلهم لا يندرجون فى الكثرة التى لا تعلم ، بل هو — سبحانه — يعطيهم من فضله ما يجعلهم يعلمون مالا يعلمه غيرهم (١)

ثم بين سبحانه مظهرا آخر من مظاهر إنعامه على يوسف فقال : ﴿ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ﴾ .

الأشد : معناه الإدراك والبلوغ . وقيل : حتى يبلغ : حتى يبلغ ثمانى عشرة سنة . وقيل : حتى يبلغ قوته ، وهو ما بين ثمانى عشرة سنة إلى ثلاثين " (٢)
والمعنى : وحين بلغ يوسف — عليه السلام — الإدراك والبلوغ ومنتهى شدته وقوته .

﴿ آتيناه ﴾ أى : أعطيناه بفضلنا وإحساننا
﴿ حكما وعلما ﴾ قال القرطبي (٣) : " جعلناه المستولى على الحكم فكان يحكم فى سلطان الملك ، وآتيناه علما بالحكم .
وقال مجاهد : العقل والفهم والنبوة . وقيل : الحكم : النبوة ،
والعلم : علم الدين "

(١) التفسير الوسيط المجلد السابع ٣٣٦ .

(٢) انظر لسان العرب ٣ / ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٣) تفسير القرطبي ٩ / ١٠٧ بتصرف

وقال النيسابورى ^(١) : " الحكم : الحكمة العملية ، والعلم : الحكمة النظرية ، وإنما قدمت العملية ، لأن أصحاب الرياضيات والمجاهدات يصلون أولاً إلى الحكمة العملية ، ثم إلى العلم اللدنى ، بخلاف أصحاب الأفكار والأنظار ، والأول هو طريقة يوسف عليه السلام لأنه صبر على البلاء والمحن ففتح عليه أبواب المكاشفات "

ثم ذيل سبحانه الآية بقوله : ﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾

قال الزمخشري ^(٢) : " فيه تنبيه على أن - يوسف - كان محسناً فى عمله متقياً فى عنفوان أمره ، وأن الله أتاه الحكم والعلم جزاءً على إحسانه . وعن الحسن : من أحسن عبادة ربه فى شبيبته أتاه الله الحكمة فى اكتهاله " .

(١) غرائب القرآن ورجائب الفرقان على مصحف التهجد المجلد الثانى ص ١٨٠٨ .

(٢) تفسير الكشاف ٢ / ٢٤٨ .

يوسف مع امرأة العزيز وكيف كانت محنته

قال تعالى : ﴿ وَرَأَوْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ
 الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا
 يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ
 رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
 الْمُخْلِصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا
 لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَأَوْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ
 أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنْ
 الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنْ
 الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ
 كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ
 كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) ﴾ .

تحدثت هذه الآيات عن المحنة الثانية في حياة يوسف — عليه السلام —
 وهي أشد وأعمق من المحنة الأولى .

بعد أن ذكر سبحانه وصية العزيز لامرأته بإكرام مثنواه ، وعلل ذلك
 بحسن الرجاء فيه أو أن يتخذه ولدا ٠٠ ولكن امرأة العزيز نظرت إلى
 يوسف — عليه السلام — بعين تخالف العين التي نظر بها إليه زوجها .

لقد كان يوسف — عليه السلام — شابا بديع الجمال والبهاء ، فلما
 رآته زوجة العزيز طمعت فيه وعشقتة وطلبت منه موافقتها ، وأعدت

العدة لذلك " ولكنه أبى واستعصم فهو نبي من سلالة الأنبياء ، فعصمه ربه من الفحشاء ، وحماه من مكر النساء فهو سيد السادة النجباء ، السبعة الأتقياء المذكورين في قوله ﷺ : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل معلق قلبه بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يساره ما تنفق يمينه ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله " (١).

ولتفصيل الآيات التي أخبرت عن محنة يوسف — عليه السلام — قال تعالى ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ﴾

المراودة : الإرادة والطلب . قال الزمخشري (٢) : " مفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب ، كأن المعنى خادعته عن نفسه أى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهى عبارة عن التحايل لمواقفته إياها " .
وقوله تعالى ﴿ التي هو في بيتها ﴾ ولم يصرح باسمها ، ولا بامرأة العزيز ستر لها ، وابتعادا عن التشهير بها ، وهذا من الأدب السامى الذى التزمه القرآن فى تعبيراته وأساليبه .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب أبواب الأذان . باب من جلس فى

المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ٢/ ٢٨٣ — ٢٨٨ من الفتح .

(٢) تفسير الكشاف ٢ / ٢٤٨ .

والإخبار عن المرادة بأنها كانت فى بيتها ، لإظهار كامل نزاهته
 — عليه السلام — فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها
 واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادى بكونه — عليه السلام —
 فى أعلى معارج العفة والنزاهة (١)
 وعدى فعل المرادة ب (عن) فى قوله ﴿ عن نفسه ﴾ لتضمنه
 معنى المخادعة .

قال بعض العلماء : " (عن) هنا للمجازة ، أى : راودته بمساعدة
 له عن نفسه ، أى : بأن يجعل نفسه لها ، والظاهر أن هذا التركيب من
 مبتكرات القرآن الكريم ، فالنفس هنا كناية عن غرض الواقعة ، قاله
 ابن عطية ، أى : فالنفس أريد بها عفافه وتمكينها منه لما تريد ، فكأنها
 تراوده عن أن يسلم إليها إرادته وحكمه فى نفسه " (٢) .

وقوله ﴿ وغلقت الأبواب ﴾ أى أبواب البيت . قيل كانت سبعة . (٣)

قال الأوسى (٤): " وتشديد الفعل للتكثير فى المفعول إن قلنا : إن
 الأبواب كانت سبعة كما قيل ن فإن لم نقل فهو لتكثير الفعل فكأنه غلق
 مرة بعد مرة أو بمغلاق بعد مغلاق " ولا مانع أن يكون المراد كل
 ذلك . أى : أغلقت جميع الأبواب الموصلة إلى المكان الذى راودته فيه
 إغلاقا شديدا محكما .

(١) تفسير أبى السعود ٤ / ٢٦٥ .

(٢) التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور ١٢ / ٢٥٠ .

(٣) تفسير الكشاف ٢ / ٢٤٨ .

(٤) تفسير روح المعانى ١٢ / ٢١١ .

ثم دعتة إلى نفسها وقالت : ﴿ هيت لك ﴾

و " هيت " اسم فعل أمر بمعنى هلم وأقبل وتعالى .

" قال ابن عباس والحسن : " كلمة بالسريانية تدعوه إلى نفسها ،

وقال السدي : معناها بالقبطية هلم لك .

وقال أبو عبيد : كان الكسائي يقول : هي لغة لأهل حوران وقعت

إلى أهل الحجاز معناها : تعال .

وقال مجاهد : هي لغة عربية تدعوه بها إلى نفسها ، وهي كلمة حث

وإقبال على الأشياء " (١)

وقد قيل : " هيئتُ لك " أى تهيأت لك وتزينت وتحسنت . قاله

عكرمة " (٢)

قال الدكتور / سيد طنطاوى (٣) : " وهذه الدعوة السافرة منها له ،

تدل على أن تلك المرأة قد بلغت النهاية فى الكشف عن رغبتها ، وأنها

قد خرجت عن المألوف من بنات جنسها ، فقد جرت العادة أن تكون

المرأة مطلوبة لا طالبة .

امتناعه عن إجابة طلبها :

لقد امتنع يوسف عن إجابة طلبها بعد أن تجاوزت فى إثارته كل حد .

قال تعالى : ﴿ قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح

الظالمون ﴾

(١) راجع تفسير القرطبي ٩ / ١٠٩ .

(٢) المرجع السابق ٩ / ١٠٨ .

(٣) التفسير الوسيط المجلد السابع ص ٣٣٩

قوله ﴿ معاذ الله ﴾ أى : أعوذ بالله معاذاً مما تطلبينه منى .
والضمير فى قوله ﴿ إنه ربه أحسن مئواى ﴾ للشأن . فيجوز
عودة الضمير فى " إنه " على زوجها ، فيكون لفظ " ربهى " بمعنى
سيدى . والتقدير : أعوذ بالله أن أسئ إلى سيدى العزيز بالخيانة الذى
أحسن تعهدى ، حيث أمرك بإكرامى . وفيه إرشاد إلى رعاية حق
العزيز بالطف وجه .

وقيل : الضمير لله عز وجل ، " وربى " خبر إن ، وأحسن
مئواى : خبر ثان أو هو الخبر ، والأول بدل من الضمير .
والمعنى : أن الحال هكذا فكيف أعصيه بارتكاب تلك الفاحشة
الكبيرة وفيه تحذير لها من عقاب الله عز وجل (١)

لقد أجاب يوسف — عليه السلام — على مرادتها له بثلاث
جمل : الأولى ﴿ معاذ الله ﴾ والثانية : ﴿ إنه ربهى أحسن
مئواى ﴾ . والثالثة : ﴿ إنه لا يفلح الظالمون ﴾ .

" وهذا الترتيب فى غاية الحسن ، وذلك لأن الإنقياد لأمر الله
تعالى وتكليفه أهم الأشياء لكثرة إنعامه وإطافه فى حق العبد فقوله
﴿ معاذ الله ﴾ إشارة إلى أن حق الله يمنع عن هذا العمل .
وأيضاً حقوق الخلق واجبة الرعاية ، فلما كان هذا الرجل قد
أنعم فى حقى يقبح مقابلة إنعامه وإحسانه بالإساءة .

(١) تفسير أبى السعود ٤ / ٢٦٥

وأيضاً صون النفس عن الضرر واجب ، وهذه اللذة لذة قليلة يتبعها خزي في الدنيا ، وعذاب شديد في الآخرة ، واللذة القليلة إذا لزمها ضرر شديد ، فالعقل يقتضى تركها والاحتراز عنها فقوله ﴿ إنه لا يفلح الظالمون ﴾ إشارة إليه ، فثبت أن هذه الجوابات الثلاثة مرتبة على أحسن وجوه الترتيب " (١)

ولكن ٠٠ لم تستجب المرأة إلى نداء العقل ولا نداء الدين أو حتى تخجل من عدم استجابته لها ، بل وقع صداما ومشاجرة بينهما ؛ لتجبره على موافقتها . وقد قص القرآن ذلك فقال جل ذكره : ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا الصالحين ﴾

للعلماء في هذا الموضوع آراء واتجاهات خلطوا فيها بين الصحيح والسقيم يجعل بي أن اذكر الأقرب إلى الصواب الملتئم مع النسق العام للقرآن ، ومع جلال النبوة والله أعلم بمراده .

وسأبين أولاً معنى لفظ " الهم "

قال بعض العلماء (٢) : الهم نوعان :

همُ بمعنى القصد والعزم والتصميم .

وهمُ بمعنى الوسوسة وهو تردد الشئ في النفس من غير أن تطمئن إليه وتستقر عنده . فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

(١) تفسير الفخر الرازى ١٨ / ١١٤

(٢) راجع لسان العرب ١٢ / ٦٢٠ ، وفتح البارى ٦ / ٨٧ .

قال رسول الله ﷺ: " إن الله تجاوز لى عن أمتى ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم " (١)

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: " إن الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنه حسنة كاملة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة " ٢ .

وقال ابن منظور (٣): " سئل ثعلب عن قوله تعالى ﴿ ولقد هممت به وهم بها ٠٠٠ ﴾ قال : همت زليخا بالمعصية مصررة على ذلك ، وهم يوسف عليه السلام بالمعصية ولم يأتها ولم يصر عليها ، فبين الهمين فرق "

فالهم منها غير الهم منه ، فقد وقع الهم منها فعلا ، وأما هم يوسف فكان بالطبع ، أى أنه - عليه السلام - مال إليها بطبيعته الفطرية مع الإمتناع عن مقارفة السوء ، والإنسان غير مؤاخذ على ما تشتهيه نفسه أو يميل إليه طبعه ما لم يعزم على فعل الشئ ٠٠ وهذا ما فسره به النسفى (٤) رحمه الله حيث قال : (همت به) هم عزم (وهم

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب العتق ، باب الخطأ والنسيان ٦ / ٨٦ - ٨٧ من الفتح .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق . باب من هم بحسنة أو بسيئة ١٠٦ / ١٤ - ١٠٩ من الفتح .

(٣) لسان العرب ١٢ / ٦٢٠

(٤) تفسير النسفى ٢ / ٢١٧

بها) هم الطباع مع الامتناع . وقال : قال الشيخ أبو منصور : وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مواخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين " أ . هـ
وعلى هذا المعنى يكون المراد من قوله تعالى : ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ أى ما غرسه الله تعالى فى قلبه من العلم بأن هذا الفعل الذى دعت إليه امرأة العزيز قبيح ولا يليق به .

أيضا قال أبو السعود ^(١) : " إن الهم منها كان عزمًا جازما لا يلويها عنه صارف بعد ما باشرت مبادئها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الأبواب ودعوته - عليه السلام - إلى نفسها بقولها ﴿ هيت لك ﴾ والهم منه بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب ولقد أشير إلى تباينهما حيث لم يلزما فى قرن واحد من التعبير بأن قيل ولقد هما بالمخالطة . أو هم كل واحد منهما بالآخر . وصدر الأول بما قرر وجوده من التوكيد القسمى . وعقب الثانى بما يعفو أثره من قوله عز وجل ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ . . . على قبح الزنا وسوء سبيله " .

(١) تفسير أبى السعود ٤ / ٢٦٦

(٢) تفسير الكشاف ٢ / ٢٤٩ .

وهناك رأى ثان ، وهو للزمخشري ^(١) قال: وقوله ﴿ ولقد همت به ﴾ معناه ولقد همت بمخالطته ﴿ وهم بها ﴾ وهم بمخالطتها ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ جوابه محذوف تقديره : لولا أن رأى برهان ربه لخالطها فحذف لأن قوله " وهم بها " يدل عليه كقولك همت بقتله لولا أنى خفت الله معناه لولا أنى خفت الله لقتلته .

وخلاصة الرأيين ، أن الكل متفق على أن يوسف — عليه السلام — لم يفعل السيئة قط يقول إنه هم بدواعى الطبيعة البشرية ثم جاء الكف والمنع من وقوع المعصية بروية البرهان . والرأى الثانى إنه ما هم بسبب رؤية برهان ربه ، فروية البرهان منعت الهم .

ورأى ثالث ، يرى أن المراد بهما به : الهم بضربه وهو للشيخ رشيد رضا ^(٢) . رحمه الله ، ملخصه : " ولقد همت به " أى : وتالله لقد همت المرأة بالبطش به لعصيانه لأمرها ، وهى فى نظرها سيدته وهو عبدها ، وقد أزلت نفسها له بدعوته الصريحة إلى نفسها ، بعد الإحتيال عليه بمراودته عن نفسه فخرجت بذلك عن طبع أنوثتها فى التمتع . . . مما جعلها تحاول البطش به بعد أن أزل كرامتها ، وهو انتقام معهود من مثلها ، وممن دونها فى كل زمان ومكان

وهم هو برد الاعتداء وبمقابلته بالمثل ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ وهى مراقبته لله تعالى ، ورؤيته ربه متجليا له ، ناظرا إليه "

(٢) تفسير المنار ١٢ / ٣٧٨ ملخصا

وقد اعترض الدكتور / سيد طنطاوى (١) على رأى الشيخ رشيد رضا فقال : " ما ذهب إليه صاحب المنار من تفسير الهم منها بالبطش بيوسف ، وتفسير الهم منه برد الإعتداء الذى وقع عليه منها ، لأرى دليلا عليه من الآية ، لا عن طريق الإشارة ، ولا عن طريق العبارة .
وقد اختار فضيلته الرأى الأول وهو أن يوسف - عليه السلام - مال إلى مطاوعتها بمقتضى طبيعته البشرية وبمقتضى توفر كل الدواعى إلى هذا الميل . ولكن مشاهدته للأدلة على شناعة المعصية ، وجوفه لمقام ربه ، وعون الله تعالى له على مقومة شهوته . . . كل ذلك حال بينه وبين تنفيذ هذا الميل ، وصرفه عنه صرفا كليا ، وجعله يفر هاربا طالبا النجاة مما تريده منه تلك المرأة .

ومن قبل فقد ارتضى الشيخ سيد قطب (٢) الرأى الأول وارتاح له وعلل سر ذلك فقال : " إن قوله تعالى ﴿ ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ هو نهاية موقف طويل من الإغراء ، بعد ما أبى يوسف فى أول الأمر واستعصم . . وهو تصوير واقعى صادق لحالة النفس البشرية الصالحة فى المقاومة والضعف ، ثم الإعتصام بالله فى النهاية والنجاة . . . ولكن السياق القرآنى لم يفصل فى تلك المشاعر البشرية المتداخلة المتعارضة المتغالبة ، لأن المنهج القرآنى لا يريد أن

(١) التفسير الوسيط المجلد السابع ص ٣٤٣ .

(٢) فى ظلال القرآن ٤ / ١٩٨١

يجعل من هذه اللحظة معرضاً يستغرق أكثر من مساحته المناسبة في محيط القصة ، وفي محيط الحياة البشرية المتكاملة كذلك . فذكر طرفى الموقف بين الاعتصام فى أوله والاعتصام فى نهايته ، مع الإمام بلحظة الضعف بينهما ، ليكتمل الصدق والواقعية والجو النظيف جميعاً " أ . هـ

أقول : وهذا رأى هو الأقرب إلى الطبيعة البشرية وإلى العصمة النبوية .

وما كان يوسف — عليه السلام — سوى بشر . ومن ثم لم يتجاوز همه الميل النفسى فى لحظة من اللحظات . فلما رأى برهان ربه الذى نبض فى ضميره وقلبه ، بعد لحظة الضعف الطارئة ، عاد إلى الاعتصام والتأبى .

هذا وفى معنى الآية آراء لبعض المفسرين استدلوا بروايات اسرائيلية تتنافى مع مقام النبوة وشرف الرسالة ومع عباد الله المخلصين . رأينا أن نعرض عنها ؛ لأنه لا دليل عليها لا من النقل الصحيح ولا من العقل . . . وإنما هى من الخرافات . . . فلا تستحق أن يضيع فى سردها والرد عليها الوقت أو حتى المداد .

لقد حمى الله تعالى يوسف — عليه السلام — وصرف عنه السوء والفحشاء ؛ ليعده لتحمل أعباء الرسالة فقال جل ذكره :

﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا

المخلصين ﴾

﴿ كذلك ﴾ نعت لمصدر محذوف أى : مثل ذلك التثبیت ثبتناه والسلام متعلقة " بذلك " المحذوف .

﴿ لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾

والصرف : رد الشئ عن وجهه ^(١) ، والمراد به هنا : الحفظ والصيانة من الوقوع فيما نهى الله عنه من " السوء " : وهو خيانة السيد . وقيل : مقدمات الفحشاء من القبلة والنظر بشهوة . وقيل : هو الأمر السيئ مطلقا ^(٢) " والفحشاء " أى : الزنا ، لأنه مفرط القبح .

فرق بين العبارتين :

قال تعالى : ﴿ لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾ ولم يقل "

لنصرفه عن السوء والفحشاء "

قال أبو السعود ^(٣) : " فيه آية بينة وحجة قاطعة على أنه — عليه

السلام — لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه إليها قط وإلا لقل لنصرفه عن السوء والفحشاء ، وإنما توجه إليه ذلك من خارج فصرفه الله تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل " أ . هـ

ثم علل — سبحانه — مضمون الجملة السابقة فقال : ﴿ إنه من

عبادنا المخلصين ﴾ بفتح اللام ، وهم الذين اجتباهم الله تعالى لطاعته ، وأخلصهم من كل سوء .

(١) لسان العرب ٩ / ١٨٩

(٢) تفسير روح المعاني ١٢ / ٢١٦ .

(٣) تفسير ابى السعود ٤ / ٢٦٧ .

وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر والباقون بكسر اللام أى :

المخلصين أنفسهم أو دينهم (١)

الأدلة على براءة يوسف عليه السلام :

قال الفخر الرازى (٢) : " واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة .

يوسف عليه السلام ، وتلك المرأة وزوجها ، والنسوة ، والشهود ،

ورب العالمين شهد ببرائته عن الذنب ، وإبليس أقر ببرأته أيضا

عن المعصية .

أما بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو

قوله عليه السلام : ﴿ هـى راودتنى عن نفسى ﴾ وقوله عليه

السلام : ﴿ رب السجن أحب ألى مما يدعونى إليه ﴾ .

وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلأنها قالت للنسوة ﴿ ولقد

راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ وأيضا قالت : ﴿ الآن حصص الحق

أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾ .

وأما بيان أن زوج المرأة أقر بذلك ، فهو قوله ﴿ إنه من كيدكن

إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك ﴾ .

وأما الشهود . فقوله تعالى ﴿ وشهد شاهد من أهلها إن كان

قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ﴾ .

(١) الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٤٦ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ١٨ / ١١٦ - ١١٧

وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ ، فقد شهد الله تعالى قى هذه الآية على طهارته أربع مرات :

أولها : قوله : ﴿ لنصرف عنه السوء ﴾ واللام للتأكيد والمبالغة .
والثانى : قوله : ﴿ والفحشاء ﴾ أى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء .

والثالث : قوله : ﴿ إنه من عبادنا ﴾ مع أنه تعالى قال : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ (١) .

والرابع : قوله : ﴿ المخلصين ﴾ وفيه قراءتان : تارة باسم الفاعل وأخرى باسم المفعول . فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيا بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص . ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته ، وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزها عما أضافوه إليه .

وأما بيان أن ابليس أقر بطهارته ، فلأنه قال : ﴿ فبغزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ ، فأقر بأنه لا يمكن إغواء المخلصين ويوسف من المخلصين ، لقوله تعالى : ﴿ إنه من عبادنا المخلصين ﴾ فكان هذا إقرارا من ابليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريق الهدى .

(١) سورة الفرقان الآية ٦٣ .

وقال الفخر الرازي : وعند هذا نقول لهؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف — عليه السلام — هذه الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته ، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته " أ . هـ — إضافة إلى ما سبق من عصمة يوسف عليه السلام وبراعته .

استجابة الله عز وجل لدعوة يوسف حين طلب من ربه أن يصرف عنه كيدهن ومكرهن الخبيث به ، ولو كان له رغبة في مطاوعة زوجة العزيز لما طلب من الله أن يصرف عنه كيدهن وفي ذلك يقول الله عز وجل : ﴿ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ﴾

أيضا : عدم قبول يوسف الخروج من السجن حتى تظهر براعته أمام جميع الناس ، وذلك يدل على منتهى شهامته ، وعفته ، ونزاهته ، ولولا ذلك لما فضل البقاء في السجن بعد أن مكث فيه عددا من السنين ولاقى فيه الشدائد ، فلم يقبل الخروج من السجن حتى يقر الجميع ببراعته وتنزهه ساحته من تلك التهمة الشنيعة قال تعالى : ﴿ وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم ﴾

وقوله تعالى : ﴿ واستبقا الباب ٠٠٠ ﴾ متصل بقوله تعالى قبل ذلك : ﴿ ولقد همت به ٠٠٠ ﴾ وقوله ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾

اعتراض جئ به بين المتعاطفين تقريرا لنزاهته - عليه السلام - .

قوله تعالى : ﴿ واستبقا ٥٠ ﴾ أى تسابقا يوسف وامرأة العزيز إلى الباب ، هو للخروج والهروب منها ، وهى لمنعه ومرادته فكل واحد منهما يجتهد ليسبق الآخر إلى الباب .

لماذا وحد الباب هنا بعد الجمع فيما سبق ؟

قال الزمخشري (١) : " فإن قلت : كيف وحد الباب فى قوله ﴿ واستبقا الباب ﴾ وقد جمعه فى قوله ﴿ وغلقت الأبواب ﴾ قلت : أراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار والمخلص من العار ، فقد روى كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب " وأضاف الألوسى قال : " كانت الأبواب تتناثر إذا قرب إليها يوسف عليه السلام وتتفتح له ، ويحتمل أنه لم تكن تلك الأبواب المغلقة على الترتيب بابا بابا بل كانت فى جهات مختلفة كلها منافذ للمكان الذى كانا فيه فاستبقا إلى باب يخرج منه " (٢) .

ونصب الباب على نزع الخافض ، لأن أصل استبق أن يتعدى إلى أى : واستبقا إلى الباب ، وقيل : ضمن الاستباق معنى الإبتدار فعدى تعديته .

(١) الكشاف ٢ / ٢٥٠ .

(٢) روح المعانى ١٢ / ٢١٧

وجملة : ﴿ وقدت قميصه من دبر ﴾ حالية ، والقدر : القطع والشق وأكثر استعماله فيما كان طولا ، وهو المراد هنا ، لأن الغالب أنها جذبت من وراء فانشق القميص إلى أسفله .

قوله ﴿ وألفيا سيدها لدى الباب ﴾

ألفيا : أى : وجدا

سيدها : أى : زوجها ، وشاع إطلاقه على المالك وعلى الرئيس . وكان من عادات القوم أن تقول المرأة لزوجها سيدى . فعبر القرآن بذلك حكاية لما كان متبعا فى ذلك الوقت .

لماذا لم يقل سيدهما ؟

لأن ملك العزيز ليوسف — عليه السلام — لم يكن ملكا صحيحا ، فيوسف ليس رقيقا يباع ويشترى ، وإنما هو الكريم بن الكريم ، وبيع السيارة له ، إنما كان على سبيل التخلص منه بعد أن التقطوه من الجب .

قيل : ألفياه مقبلا يريد أن يدخل ، وقيل : مع ابن عم المرأة . وفى الكلام حذف تقديره : فرا به أمرهما وقال : ما لكما ؟ فلما سأل وقد خافت لومه ، أو سبق يوسف بالقول ، بادرت أن جاءت بحيلة جمعت فيها بين تبرئة ساحتها من الريبة ، وغضبها على يوسف وتخويفه طمعا فى موافقتها خيفة من مكرها (١) .

(١) البحر المحيط ٦ / ٢٦٠

﴿ قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب
أليم ﴾ .

قال الفخر الرازي ^(١) : " وفي الآية لطائف :

إحداها : أن حبها الشديد ليوسف حملها على رعاية دقيقتين فسى هذا
الموضع وذلك لأنها بدأت بذكر السجن ، وأخرت ذكر
العذاب ، لأن المحب لا يسعى فى إيلام المحبوب ، وأيضا انها
لم تذكر أن يوسف يجب أن يعامل بأحد هذين الأمرين ، بل
ذكرت ذلك ذكرا كليا صونا للمحبوب عن الذكر بالسوء
والألم ، وأيضا قالت ﴿ إلا أن يسجن ﴾ والمراد أن يسجن
يوما أو اقل على سبيل التخفيف .

فأما الحبس الدائم فإنه لا يعبر عنه بهذه العبارة ، بل يقال :
يجب أن يجعل من المسجونين ألا ترى أن فرعون هكذا قال
حين هدد موسى — عليه السلام — (لنن اتخذت إليها غيرى
لأجعلنك من المسجونين) .

وثانيها : أنها لما شاهدت من يوسف — عليه السلام — أنه استعصم
منها مع أنه كان فى عنفوان العمر وكمال القوة ونهاية
الشهوة ، عظم اعتقادها فى طهارته ونزاهته فاستحيت أن تقول
إن يوسف — عليه السلام — قصدى بالسوء ، وما وجدت من
نفسها أن ترميه بهذا الكذب على سبيل التصريح بل اكتفت بهذا

(١) تفسير الفخر الرازي ١٨ / ١٢٢ - ١٢٣

التعريض ، وليت الحشوية كانوا يكتفون بمثل ما اكتفت به ، ولكنهم لم يفعلوه ووصفوه بعد قريب من أربعة آلاف سنة بما وصفوه من القبيح وحاشاه .

وثالثها : أن يوسف — عليه السلام — أراد أن يضربها ويدفعها عن نفسه ، وكان ذلك بالنسبة إليها جاريا مجرى السوء فقولها (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا) جاريا مجرى التعريض فلعلها بقلبها كانت تريد إقدامه على دفعها ومنعها . وفي ظاهر الأمر كانت توهم أنه قصدنى بما لا ينبغي . أ . هـ .

ولما ذكرت هذا الكلام ولطخت عرض يوسف — عليه السلام — ، أراد يوسف تنزيه نفسه عن التهمة ودفع الضرر عنها فقال : ﴿ قال هي راودتنى عن نفسى ﴾ أى : طالبتنى للمواتاة لا أنى أردت بها سوءا . وإنما قال يوسف — عليه السلام — هذه المقالة ليس لهتك سترها ، وإنما لحفظ نفسه وعرضه .

وكانت الأمارات دالة على صدق يوسف لوجوه

- ١ — إن يوسف كان مولى وفى مجرى العادة أن المولى لا يجرو أن يتسلط على سيده ويتشدد إلى مثل هذا .
- ٢ — إنهم رأوا يوسف يعدوا عدوا شديدا ليخرج ، ومن يطلب امرأة لا يخرج على هذا النحو .
- ٣ — إنهم رأوا الزينة قد بدت على وجه المرأة ، ولم يكن لها من أثر على وجه يوسف .

٤ - إنهم لم يشاهدوا من أخلاق يوسف فى تلك الفترة ما يؤيد مثل هذه التهمة .

وقد أظهر الله لبراءته ما يقوى تلك الدلائل الكثيرة التى تظاهرت على أن بدء الفتنة كانت منها لا منه ، وأنها هى المذنبه وذلك ما أشار إليه بقوله تعالى : ﴿ وشهد شاهد من أهلها إن كان قميص قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾

وهذا الشاهد " قيل : هو ابن عمها . وقيل : هو الذى كان جالسا مع زوجها لدى الباب . وقيل : كان حكيما يرجع إليه الملك ويستشيره . وقيل : كان حكما حكمه زوجها فحكم بينهما ، وكان الشاهد من أهلها ليكون أوجب للحجة عليها ، وأوثق لبراءة يوسف ، وأنفى للتهمة . ويحتمل أن يكون معهما فى الدار بحيث لا يشعر به ، فبصر بما جرى بينهما ، فأغضبه الله ليوسف ، وشهد بالحق " (١) .

وروى أن الشاهد كان صبيا فى المهد وأيدوه بما نقل عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : " تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريح ، وعيسى ابن مريم " (٢)

(١) راجع تفسير أبى السعود ٤ / ٢٦٨ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٦١ ، وروح

المعانى للكوسى ١٢ / ٢٢٠ - ٢٢١ ، والكشاف ٢ / ٢٥١ وغيرهم .

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٤٥٧ .

وروى عن ابي هريرة قال : " عيسى وصاحب يوسف وصاحب جريح تكلموا فى المهد " (١) وهذا موقف لا يصلح للاحتجاج به ، والأول قد ضعفه رجال الحديث .

ولو نطق الطفل بهذا لكان قوله كافيا فى تفنيد زعمها دون حاجة إلى الإستدلال بتمزيق القميص ، لأنه من الدلائل الظنية ، وكلامه فى المهد من الدلائل اليقينية ، وأيضا لو كان كذلك لما كان هناك داع إلى قوله : ﴿ من أهلها ﴾ الذى ينفى التحامل عليها ويمنع إرادة الضرر بها ، وأيضا فإن لفظ " الشاهد " لا يقع عرفا إلا على من تقدمت معرفته لما يشهد وإحاطته به . فكون الشاهد من أهلها أوجب للحجة عليها ، وألزم لها .

وقد قال هذا الشاهد فى شهادته كما ذكر الله تعالى :

﴿ إن كان قميصه قد من قبل ﴾ أى : من أمام " فصدقت " فى أنه أراد بها سوءا ، وإنما دل قد قميصه من قبل على أنها صادقة ، لأنه يقبل عليها وهى تدفعه عن نفسها فيتخرق قميصه من قبل (وهو من الكاذبين) فى قوله ﴿ هى راودتنى عن نفسى ﴾

﴿ وإن كان قميصه قد من دبر ﴾ أى : من خلف ﴿ فكذبت ﴾ فى دعواها على أنه أراد بها سوءا ، لأن ذلك يدل على أنه حاول الهرب منها فتعقبته حتى الباب ، وأمسكت به من الخلف ﴿ وهو من الصادقين ﴾ فى دعواه أنها راودته عن نفسه .

(١) أخرجه ابن جرير الطبرى ١٢ / ١١٥ .

قال أبو حيان (١) : " ولما كان الشاهد من أهلها راعى جهة المرأة

فبدأ بتعليق صدقها على تبين كون القميص قد من قبل "

وأضاف الدكتور / سيد طنطاوى (٢) فقال : وقد يكون الشاهد

حريصا على ذلك بمقتضى قرابته لها ، إلا أن الله تعالى أظهر ما هو

الحق ، تكريما ليوسف — عليه السلام — أو قد يكون قد قدم ذلك

باعتبارها سيده ، ويوسف فتى ، فمن باب اللياقة أن يذكر الغرض الأول

رحمة بها "

﴿ فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن

عظيم ﴾

لما علم العزيز صدق يوسف وكذبها ﴿ قال إنه ﴾ أى إن قولك :

﴿ ما جزاء من أراد بأهلك سوءا ﴾ أو إن هذا الأمر وهو الاحتيال

﴿ من كيدكن ﴾ من جنس مكرن وحيلتكن. والخطاب لها ولجواربها ،

أو لها وللنساء . وهذا الحكم يدل على ضعف الرجولة وذهاب الشهامة .

وهنا تبدوا لنا صورة من الطبقة الراقية فى الجاهلية قبل آلاف

السنين وكأنها هى هى اليوم شاخصة . رخاوة ، وعدم جدية

وحزم فى مواجهة الفضائح الجنسية ، وميل إلى كتمانها عن

المجتمع . والمحافظة على الظاهر .

(١) البحر المحيط ٦ / ٢٦٢ .

(٢) التفسير الوسيط المجلد السابع ص ٣٤٧ .

كما يبدو لنا أن شخصية الزوج كانت ضعيفة ؛ فهذا الحادث - الذى يثير الأعصاب ويؤدى إلى غليان الدم فى العروق - واجهه ببرود فلم يخصص زوجته باللوم والعتاب ؛ بل أطلقها قضية عامة تشمل كل النساء وأصبحت وكأنها نية لكل امرأة فقال ﴿ إن كيدكن عظيم ﴾ .

لماذا وُصف كيد النساء بالعظم ؟

ووصف كيد النساء بالعظم ، لأنه أطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا فى النفس ، ولأن ذلك قد يورث من العار ما لا يورثه كيد الرجال ، ولعظم كيد النساء اتخذهن ابليس عليه اللعنة وسائل لإغواء من صعب عليه إغواؤه ، ففى الخبر " ما أيس الشيطان من أحد إلا أتاه من جهة النساء " وحكى عن بعض العلماء أنه قال : أنا أخاف من النساء ما لا أخاف من الشيطان فإنه تعالى يقول ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ وقال للنساء : ﴿ إن كيدكن عظيم ﴾ ولأن الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به (١) .

وأرى أن هذا اتهام عظيم لكل النساء فقد صوروا كيدها أعظم من كيد ابليس اللعين الذى أمرنا الله تعالى بالإستعاذة من شره فى قوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الناس ملك الناس إليه الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴾ (٢)

(١) روح المعانى ١٢ / ٢٢٤

(٢) سورة الناس .

ويمكن أن يكون المراد ضعف كيد الشيطان في مقابلة كيد الله تعالى وعظم كيد النساء بالنسبة إلى كيد الرجال ، وما ذكر في القرآن الكريم ﴿ إن كيدكن عظيم ﴾ فهو من حكاية العزيز ولا يصلح للاستدلال به والحكم به على كل النساء والله أعلم .

ماذا حصل بعد هذا ؟ ! التفت الزوج " العزيز " إلى يوسف البرئ وقال : ﴿ يوسف أعرض عن هذا ﴾ أى : عن هذا الأمر واكتمه ، ولا تتحدث به لأحد فقد ظهر صدقك وطهارة ثوبك .

وكما أمر يوسف بكتمان هذه الواقعة — حتى لا ينتشر خبرها — أمر المرأة بالإستغفار فقال : ﴿ واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾ أى : استغفري الله من ذنبك الذى وقع منك بفعلك السوء مع يوسف ثم اتهامك له بما هو برئ منه .

ثم علل طلب الإستغفار بقوله ﴿ إنك كنت من الخاطئين ﴾ قال الزمخشري (١) : " وإنما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث وما كان العزيز إلا رجلا حليما . وروى أنه كان قليل الغيرة " أ . هـ

ولذا أكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها .

وقال ابو حيان (٢) : " إن تربة إقليم قطيف اقتضت الضعف هذا، وأين هذا مما جرى لبعض ملوكنا أنه كان مع ندمائه المختصين به فى

(١) تفسير الكشاف ٢ / ٢٥٢

(٢) البحر المحيط ٦ / ٢٦٢ — ٢٦٣ .

مجلس أنس وجارية تغنيهم من وراء ستر ، فاستعاد بعض خصائمه بيتين من الجارية كانت قد غنت بهما ، فما لبث أن جئ برأس الجارية مقطوعا فى طست وقال له الملك : استعد البيتين من هذا الرأس ، فسقط فى يد ذلك المستعيد ، ومرض مدة حياة ذلك الملك "

هذا ومن العبر والعظات التى نأخذها من هذه الآيات الكريمة
١ - أن اختلاط الرجال بالنساء كثيرا ما يؤدي إلى الوقوع فى الفاحشة وذلك لأن ميل الرجل إلى المرأة وميل المرأة إلى الرجل أمر فطرى .

ووجود يوسف - عليه السلام - مع امرأة العزيز تحت سقف واحد كانت هى فى سن الأنوثة ، وكان هو شابا جميلا . . . أدى إلى فتنتها به ، وإلى أن تقول له فى نهاية الأمر بعد إغراءات شتى " هيت لك " .

ولا شك أن التأثيرات والمغريات والميوعة واستخدام وسائل خبيثة من جهة المرأة وتحت سقف واحد مع جو القصور والترف . كل هذا كفيل أن يؤثر فى شاب فى سن المراهقة ليقع فى الفاحشة . وقد سئلت امرأة انحرفت عن طريق الشرف والعفاف ، لماذا كان ذلك منك فقالت : قرب الوساد وطول السواد (١) أى : حملنى من ذلك قرب من أحبه ، وكثرة محادثتى له .

(١) تفسير أبى السعود ٤ / ٢٦٥

فعمليات الإستثارة المستمرة بالحركة المثيرة ، والزينة المتبرجة ،
والجسم العارى . كل هذا ينتهى إلى سعار شهوانى حيوانى . لذا قال
تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ (١) .

وعن عقبه بن عامر - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ
قال : " إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار :
أفرايت الحمى ؟ قال : الحمى الموت " (٢) والحمى : قريب الزوج
كأخيه وابن أخيه وابن عمه . ومن باب أولى يحرم كل الأجانب .

٢ - أن من الواجب على المؤمن إذا ما دعى إلى معصية أن يستعيز
بالله من ذلك ، وأن يُذكَرُ الداعى له بضررها ، وبسوء عاقبة
المرتكب لها كما قال يوسف - عليه السلام - ﴿ معاذ الله إنه
ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون ﴾ .

٣ - أن يوسف - عليه السلام - خرج من هذه المحنة
مشهودا له بالبراءة والعفة والطهر والنقاء ، وذلك
بشهادة الشهود كما سبق أن بينا .

٤ - أن موقف العزيز من امرأته كان موقفا ضعيفا متراخيا .
وهذا الموقف هو الذى جعلها تقول بكل تبجح واستهتار :
﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره
ليسجنن وليكونا من الصاغرين ﴾ .

(١) سورة الأحزاب من الآية ٥٣ .

(٢) حديث متفق عليه . دليل الفالحين ٤ / ٤٨٠ باب تحريم الخلو بالأجنبية

فكم نرى رجالا فقدوا كل معانى النخوة والشرف والغيرة . . .
ونساء فقدن الكرامة والحياء والعفاف . . . يجتمعون معا فى أوكار
آثمة لينطلقوا فى حلبة الإباحية كالخنازير فى الخسة والدناءة .
وكالبهائم فى هياج الغريزة .

ومن هنا أناشد أولياء الأمور بتشديد الرقابة الداخلية
والخارجية . فالزوجات والأبناء أمانة سيسأل عنها يوم
الوقوف بين يدي الله تعالى .

شيوخ الخبر في المدينة وما ترتب على ذلك

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا
عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ
بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا
وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَهُنَّ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ
مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ
وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ
وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ
وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ
لَهُ رَبُّهُ فَاصْرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ﴾ .

تحدثت هذه الآيات عن ثلاث لقطات :

- الأولى : شيوخ الخبر في المدينة وافتضاح امرأة العزيز لدى النسوة .
- الثانية : تدبيرها المكيدة لأولئك النسوة .
- الثالثة : إدخاله السجن إبتاعاً لأمرها .

أولاً : شيوخ الخبر في المدينة وافتضاح أمرها :

بعد أن ذكر سبحانه تحقيق زوجها في الحادث وحكم أحد أقاربها بما رأى ، وقد استبان منه إدانتها وبراءة يوسف ، ذكر هنا أن الخبر قد استفاض وشاع في أرجاء المدينة ، وأخذت أسنة النساء تلوك في امرأة العزيز ، استهجاناً ولوما لها على صنعها ، كيف تعشق سيدها عبدها ؟ وكيف تهوى وتحب خادمها .

قال تعالى ﴿ وقال نسوة في المدينة ﴾ لم يذكر الله تعالى عددهن ولا صناعتهن ؛ لأنه لا يتعلق بذلك غرض يفيد ، وقد جرت العادة بين النساء أن يتحدثن عن أمثال هذه الأمور في مجالسهن الخاصة وسمرهن في البيوت خصوصاً إذا كانت صاحبة الحادثة من نساء الطبقة المرموقة ولها منزلة سامية بين نساء العظماء . . . كامرأة العزيز .

والنسوة : اسم جمع ، وليس لها واحد من لفظه بل من معناها وهو امرأة ، وتأتيها غير حقيقي ، ولذلك لم يلحق فعلها " قال " تاء التأنيث . والمراد بالمدينة : مدينة مصر ، والجار والمجرور صفة للنسوة ، ووصفهن بذلك يقوى جانب الصدق أكثر ، فإن كلام البدويات لبعدهن عن مظان الاجتماع والإطلاع على حقيقة أحوال الحضريات لا يلتفت إلى كلامهن .

وخلاصة ما قلناه : ﴿ امرأة العزيز تراود فتاها ﴾ وهذه الجملة

يقصد بها الإنكار والتعجب وذلك لوجوه :

أ - إنها " امرأة العزيز " ففي وصفها بأنها امرأة العزيز دون أن يصرحن باسمها أو اسمه زيادة في الإنكار والتعجب والتشهير بها .

ب - إن الذي تراوده عن نفسه هو فتاها وخدامها ، وتعبيرهن عنه - عليه السلام - مضافا إليها - فتاها - لا إلى العزيز لإبانة ما بينهما من التباين الناشئ بين الخادم والمخدوم أو المملوك والمالك ، فلم يكن بينها وبينه كفاءة . وكل ذلك مبالغة في اللوم والذم .

ج - وأنها هي التي تراود بنفسها وطلبت ، والمألوف أن المرأة تتمنع ويطلب منها ما لا تطلب هي ، أليس من الغريب الذي يدعو إلى العجب أن تطلب امرأة من فتاها وخدامها ، وتدوس كبرياتها .

د - أنها بالرغم من افتضاح أمرها وعلم زوجها ما زالت على ما هي عليه للحصول على ما ترغبه ، كما يفيد قولهن ﴿ تراود ﴾ وهو فعل يدل على الإستمرار فى الطلب .

ثم أكدوا هذا الإنكار بقولهن : ﴿ قد شغفها حبا ﴾ الشغاف : غلاف القلب ، وهو جلده دونه كالحجاب ، ويقال : بل هو غشاء القلب . وشغفه الحب : وصل إلى شغاف قلبه . وقرأ ابن عباس : قد شغفها حبا ، قال : دخل حبه تحت الشغاف (١) .

والمعنى : قد شق حبه شغاف قلبها ، فملك عليها أمرها ، فلا تبالي بما يكون من عاقبة تهتكها ، ولا بما يصير إليه حالها .
وحبا : تمييز محول عن الفاعل ، أى شغفها الحب أو دخل قلبها الحب .

ثم زادوا ذلك تأكيدا بقولهم : ﴿ إنا لنراها فى ضلال مبين ﴾ الضلال مخالفة طريق الصواب .
والمعنى : إنا لنعلم أنها غائصة ومستقرة فى مهاوى الضلالة البينة البعيدة عن طريق الهدى والرشاد .

ثانياً : تدبيرها المكيدة لأولئك النسوة :

لما بلغ امرأة العزيز ذلك القول والمكيدة أرسلت إلى صديقاتها ، من ذوات الثراء والجاه ، ودبرت لهن مكيدة أشد من مكرهن بها . قال تعالى ﴿ فلما سمعت بمكرهن ﴾ أى باغتيابهن وسوء مقاتهن ، وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى وهو يمقتها .

(١) لسان العرب ١٧٩/٩ .

وإنما سمي قولهن مكرأ لوجوه (١) :

الأول : أن النسوة إنما ذكرت ذلك الكلام استدعاء لرؤية يوسف — عليه السلام — والنظر إلى وجهه . لأنهن عرفن أنهن إذا قلن ذلك عرضت يوسف عليهن ليتمهد عذرها عندهن .

الثاني : أن امرأة العزيز أسرت إليهن حبها ليوسف وطلبت منهن كتمان هذا السر ، فلما أظهرن السر كان ذلك غدا ومكرا .
الثالث : أنهن وقعن في غيبتها ، والغيبة إنما تذكر على سبيل الخفية فأشبهت المكر .

والمعنى : أنها أرسلت إلى النسوة اللاتي وصفنها بأنها في ضلال مبين ، ودعتهن إلى الحضور إليها في دارها لتناول الطعام .
﴿ وأعدت لهن متكأ ﴾ أي هيات لهن مجلسا ووضع لهن نمارق ومساند يتكنن عليها ، وقال ابن عباس وابن جبير وقتادة متكأ يعني طعاما وإنما سمي متكأ ، لأن كل من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسائد يجلس ويتكى عليها فسمى الطعام متكأ على الاستعارة .

ويقال : اتكأنا عند فلان أي طعمنا عنده . والمتكأ ما يتكأ عليه للطعام والشراب والحديث لذلك جاء النهي عنه في الحديث أنه ﷺ نهى أن يأكل الرجل بشماله ، وأن يأكل متكأ (٢)

(١) تفسير الفخر الرازي ١٨/١٢٦ .

(٢) الفتوحات الإلهية ٢/٤٤٩ — ٤٥٠ .

﴿ وآتت كل واحدة منهن سكيناً ﴾

وحاصل ذلك أنها دعت أولئك النسوة وأعدت لكل واحدة منهن مجلساً وآتت كل واحدة منهن سكيناً لأجل أكل الفاكهة أو لأجل قطع

اللحم ثم أمرت يوسف — عليه السلام — بأن يخرج إليهن .

﴿ وقالت أخرج عليهن ﴾ أى أمرته بالخروج عليهن .

قال الشيخ المراغى ^(١) : " وفى هذا إيحاء إلى أنه كان فى حجرة

داخل حجرة المائدة التى كن فيها محجوباً عنهن ، وقد تعمدت إتماماً

للحيلة والمكر بهن أن يفاجئتهن وهن مشغولات بما يقطعنه ويأكلنه علماً

منها بما يكون لهذه المفاجأة من الدهشة ، وقد تم لها ما أرادت " كما

يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ﴾ أى

أعظمنه ودهشن برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع .

قال الفخر الرازى ^(٢) : " اتفق الأكثرون على أنهم إنما أكبرنه

بحسب الجمال الفائق والحسن الكامل . قيل : كان فضل يوسف على

الناس فى الفضل والحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب

وعن النبى ﷺ قال : " مررت بيوسف — عليه السلام — ليلة عرج بى

إلى السماء فقلت لجبريل — عليه السلام — من هذا ؟ فقال هذا يوسف

فقيل : كيف رأيتة ؟ قال : كالقمر ليلة البدر " وقيل : كان يوسف إذا

سار فى أزقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور

الشمس من السماء عليها . وقال : وعندى أنه يحتمل وجهها آخر وهو

أنهن إنما أكبرنه لأنهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة ، وأثار

(١) تفسير المراغى ١٣٩/١٢ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ١٢٧/١٨ — ١٢٨ .

الخشوع والاحتشام ، وشاهدن منه مهابة النبوة ، وهيئة الملكية . .
وكان الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك
الحالة فلا جرم أكبرنه وعظمنه ، ووقع الرعب والمهابة منه فى
قلوبهن " أ . هـ

﴿ وقطعن أيديهن ﴾ أى : وجعلن يقطعن أيديهن دهشا برويته وهن
يظن أنهن يقطعن الطعام بالسكاكين .

﴿ وقلن حاش الله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ﴾

﴿ حاش ﴾ : فعل ماض ، واللام فى ﴿ الله ﴾ للتعليل . والمراد
بهذه الجملة التعبير عن عجب صنع الله فى خلقه . أى : وقلن عندما
شاهدن جماله — عليه السلام — تنزه الله تعالى عن صفات النقص
والعجز ، ونتعجب تعجبا من قدرته تعالى على مثل ذلك الصنع البديع .
وما هذا الذى نراه أمامنا بشرا وإنما هو ملك كريم من الملائكة المقربين .

قال أبو السعود (١) : " ووصفوه بذلك بناء على ما ركز فى العقول
من أن لا حى أحسن من الملك ، كما رُكِّب فيها أن لا أقبح من الشيطان ،
ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه فى الحسن والقبح . وغرضهن
وصفه بأقصى مراتب الحسن والجمال "

حينئذ قالت لهن : إذا كان الأمر ما رأيتهن بأعينكن ، وما أكبرتن
فى أنفسكن وما فعلتن بأيديكن ، وما قلتنن بألسنتكن ﴿ فذلكن الذى
لمتنتى فيه ﴾ أى بحبه . وهنا باحت امرأة العزيز بسر عشقها ليوסף ،
بعد أن أوقعتهن فى شباك غرامه .

(١) تفسير أبى السعود ٢٧٢/٤ .

ثم جازت لهن بأنها أغرتة بمواقعتها ولكنه أبى ولم يستجب لندائها
فقلت : ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ٠٠ ﴾

قال النسفى (١) : " الإستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ
والتحفظ الشديد كأنه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها وهذا
بيان جلى على أن يوسف - عليه السلام - برئ مما فُسر به الهم
والبرهان " أ . هـ

والمعنى : أنه - عليه السلام - امتنع عما أرادت منه . امتنع أولاً
بالمقال لما قال : ﴿ معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح
الظالمون ﴾ ثم امتنع ثانياً بالفرار .

ثم جعلت تتوعده مقسمة على ذلك وتهدده بمحضر النسوة لما فى
قلبها منه من غل ، لتصميمه على عصيان أمرها فقلت : ﴿ ولئن لم
يفعل ما أمره ليسجن وليكوناً من الصاغرين ﴾ أى : ولئن لم يفعل ما
أمره به مستقبلاً كما لم يفعله ماضياً ، ليسجن ، وليكوناً من الصاغرين ،
أى : من الأذلة المقهورين .

وأكدت السجن بالنون الثقيلة ؛ لتحققه ، وما بعده بالنون الخفيفة لأنه
غير متحقق . وقيل : لأن ذلك من توابع السجن ولوازمه فاكتفت فى
تأكيدة بالنون الخفيفة بعد أن أكدت الأول بالنون الثقيلة (٢) .

قال الشيخ المراغى (٣) : " وفى ذلك إيماء إلى أنها ستشدد العقوبة
عليه أكثر مما توعدت به أولاً ، فهناك أنذرتة بسجن قد يكون على

(١) تفسير النسفى ٢٢٠/٢ .

(٢) تفسير روح المعانى ٢٣٤/١٢ .

(٣) تفسير المراغى ١٤٠/١٢ - ١٤١ .

أخف صورته وأقلها ، وعذاب بأهون أنواعه وألطفها كحبس في حجرة
الدار ، أو لظمة على خديه تزيل منها الإحمرار ، وهنا أذرتة بسجن
مؤكد وذل صغار تأباه الأنفس الكريمة كنفس يوسف — عليه السلام —
فأشق الأعمال أهون على كرام الناس من الهوان والصغار " أ . هـ
وفى هذا التهديد ما فيه من الدلالة على ثقته بسلطانها على زوجها
مع علمه بأمرها واستعظامه لكيدها .

حينئذ لا سبيل إلى دفع هذا الضراء إلا بمعونة من الله فلجأ مناجيا
لربه عز وجل مستجيرا ويقول :

﴿ رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ﴾ أي : قال : يارب يا
عالم بالسر والنجوى ، والقادر على كشف تلك البلوى : إن السجن الذي
هُدّدت به أحب إلي نفسي مما يدعونني إليه ؛ لأن في السجن مشقة قليلة
ولكن سيعقبه راحت كثيرة وأبدية .

قال الألويسي (١) : " وأسند الدعوة إليهن في قوله ﴿ يدعونني ﴾ ، لأنهن
زَيْنُ له مطاوعتها وقلن له : إياك وإلقاء نفسك في السجن والصغار .
قال أبو السعود (٢) : " وصيغة التفضيل ﴿ أحب ﴾ ليست على
بابها إذ ليس له عليه السلام شائبة محبة لما يدعونه إليه وإنما هو
والسجن شران أهونهما وأقربهما إلى الإيثار السجن " .
ثم اعترف عليه السلام بضعفه البشري ، وأنه لا قدرة له على
الصمود أمام هذا الإغراء ، إذا لم يكن معه عون الله تعالى ،
وعنايته فقال :

(١) تفسير روح المعاني ٢٣٥/١٢ .

(٢) تفسير أبي السعود ٢٧٤/٤ .

﴿ وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴾ .

إلا : إن لا ، فهي مركبة من " إن " الشرطية ، و " لا " النافية ،
وقد أضغمت فيه النون باللام .

وقوله : ﴿ أصب ﴾ من صبا يصبو صبوا وصبوة .

قال أبو الهيثم : صبا فلان إلى فلانة أى : مال إليها ^(١) . وقيل :
صب إليه - صبابة أى : رق واشتاق ^(٢) ومنه الصبا للريح
المخصوصة لأن النفوس تميل إليها لطيب نسيمها وتستطيبها . وهو فعل
مضارع مجزوم جواب الشرط .

وكأنه يقول : اللهم اصرف عنى كيدهن لأجل أن لا أصير من
الجاهلين لأنك إن لم تصرفه عنى صرت منهم إذ لا قدرة لى على
الامتناع إلا بإعانتك لى .

قال أبو السعود ^(٣) : " وهذا فزع منه عليه السلام إلى أطاف
الله تعالى جريا على سنن الأنبياء والصالحين فى قصر نيل الخيرات والنجاة
عن الشرور على جناب الله - عز وجل - وسلب القوى والقدر على
أنفسهم ومبالغة فى استدعاء لطفه فى صرف كيدهن بإظهار أن لا طاقة
له بالمدافعة كقول المستغيث أدركنى وإلا هلكت لأنه يطلب الإجمار
والإلجاء إلى العصمة والعفة وفى نفسه داعية تدعوه إلى هواهن " أ . هـ

وقوله : ﴿ وأكن من الجاهلين ﴾ أى الذين لا يعلمون بما يعملون
لأن من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء ، وقد يكون المراد : أكن

(١) لسان العرب ٤٥١/١٤ .

(٢) المعجم الوجيز ص ٣٥٨ . مجمع اللغة العربية ١٤١١هـ - ١٩٩١ م .

(٣) تفسير أبى السعود ٢٧٤/٤ .

من السفهاء بارتكاب ما يدعوننى إليه من القبائح لأن الحكيم لا يفعل القبيح .

قوله تعالى : ﴿ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ﴾ أى : تقبل الله تعالى لدعائه وأجابه ولطف به على أبلغ وجه وعصمه من الوقوع فى الزنا .

وقال سبحانه ﴿ فاستجاب ﴾ بفاء التعقيب للإشارة إلى أنه سبحانه بفضلته وكرمه ، قد أجاب دعاء يوسف عليه السلام بدون تأخير أو إبطاء ..

قال ابن كثير (١) : " وذلك أن يوسف — عليه السلام — عصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد الامتناع واختار السجن على ذلك ، وهذا فى غاية مقامات الكمال أنه مع شبابه وجماله وكمالته تدعوه سيده وهى امرأة عزيز مصر ، وهى مع هذا فى غاية الجمال والمال والرياسة ويمتنع من ذلك ويختار السجن على ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه .

ولهذا ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : " سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقالت إني أخاف الله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه " أ . هـ

(١) تفسير ابن كثير ٤٥٩/٢ .

دخول يوسف عليه السلام السجن

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُنَّ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥) وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْنَأُ بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَاتِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبِي السَّجْنَ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) ﴾

لقد كانت العدالة تقضى بأن يكرم يوسف على نزاهته وعفته وأن تعاقب زوجة العزيز على جنابيتها وما اجترحته يدها ، ولكن الأمر كلن بالعكس فقد قدم يوسف البرئ التقى الطاهر ، فدية لسمعة تلك التي استهانت بكرامتها وكرامة زوجها وأرادت أن تلحق به عار الخيانة ، فبرئت تلك المرأة وأدين يوسف ، وحكم عليه بالسجن كما قال تعالى :

﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُنَّ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾

قوله : ﴿ بَدَأْ لَهُمْ ﴾ أى : ظهر لهم ، والضمير للعزيز وأصحابه

الذين يدبرون الأمر معه ويشيرون عليه .

﴿ حتى حين ﴾ : الحين وقت من الزمان غير محدود يقع على القصير منه ، وعلى الطويل ، وقال ابن عباس : يريد انقطاع المقالة . وما شاع في المدينة من الفاحشة ، ثم قيل : الحين ههنا خمس سنين ، وقيل : بل سبع سنين والصحيح أن هذه المقادير غير معلومة (١) .
والمعنى : ثم ظهر لهم من المصلحة فيما رأوا أنهم يسجونهم إلى حين أى إلى مدة ، وذلك بعد ما عرفوا براعته وظهرت الأدلة على صدقه وعفته ونزاهته . والآيات : هى القميص وشهادة الشاهد وقطع الأيدي .

قال الشوكاتى (٢) : " وسبب ظهور هذا الرأى لهم فى سجن يوسف أنهم أرادوا ستر القالة ، وكتم ما شاع فى للناس من قصة امرأة العزيز معه ، وقيل : إن العزيز قصد بسجنه الحيلولة بينه وبين امرأته لما علم أنها قد صارت بمكان من حبه لا يتألى معه بحمل نفسها عليه على أى صفة كانت " أ . هـ .

واللام فى قوله ﴿ ليسجننه ﴾ جواب لقسم محذوف على تقدير القول أى : ظهر لهم من بعد ما رأوا الآيات قائلين ، والله ليسجننه حتى حين .

وفى تنفيذ هذا العزم دلالة على ما كان لهذه المرأة الماكرة من سلطان على زوجها تقوده كيف شاءت ، حتى فقد الغيرة عليها ، فهو يجرى وراء هواها ، ويستجلب رضاها ، حتى أنساه ذلك ما رأى من الآيات وعمل برأيها فى سجنه لإلحاق الهوان والصغار به .

(١) تفسير الفخر الرازى ١٨/١٣٣ .

(٢) فتح القدير ٣/٢٥ .

روى أنه لما امتنع يوسف من المعصية ، ويئست منه امرأة العزيز قالت لزوجها : إن هذا الغلام العبرانى قد فضحنى فى الناس ، وهو يعتذر إليهم ويصف الأمر بحسب اختياره ، وأنا محبوسة محجوبة ، فيما أذنت لى فخرجت إلى الناس فاعتذرت وكذبتة ، وإلا حبسته كما أنا محبوسة ، فحينئذ بدا لهم سجنه .

قال ابن عباس : فأمر به فحمل على حمار ، وضرب بالطبل ، ونودى عليه فى أسواق مصر أن يوسف العبرانى أراد سيدته ، فهذا جزاؤه أن يسجن . قال أبو صالح : ما ذكر ابن عباس هذا إلا بكى " (١) .

وكان هذا مما قدر الله له ، لأن فى السجن مصلحة له ، ومن جملة ما عصمه به ، فإنه أبعد له عن معاشرتهم ومخالطتهم .

ثم بين سبحانه جانباً من أحواله — عليه السلام — بعد أن دخل السجن فقال تعالى :

﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾

الفتيان : تثنية فتى ، وهو من جاوز الحلم ودخل فى سن الشباب .

وفى الكلام حذف تقديره : فسجنوه ، فدخل معه السجن فتيان .

قال ابن كثير (٢) : " قال قتادة : كان أحدهما ساقى الملك والآخر خبازه " .

وقال القرطبي (٣) : " وقد قيل إن الخباز وضع السم فى الطعام ، فلما حضر الطعام قال الساقى : أيها الملك لا تأكل فإن الطعام مسموم .

(١) البحر المحيط لأبى حيان ٢٧٤/٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٥٩/٢ .

(٣) تفسير القرطبي ١٢٤/٩ .

وقال الخباز : أيها الملك لا تشرب فإن الشراب مسموم ، فقال الملك
للساقى : اشرب ! فشرب فلم يضره ، وقال للخباز : كل ، فأبى ،
فجرب الطعام على حيوان فنفق مكانه ، فحبسهما سنة ، وبقياً في السجن
تلك المدة مع يوسف " أ . هـ

وقوله ﴿ ودخل معه ٠٠٠ ﴾ أى : أدخلوا السجن ساعة دخول
يوسف لأن " مع " يدل على معنى الصحبة ، تقول : خرجت مع الأمير
تريد مصاحباً له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له .

﴿ قال أحدهما إني أرايتى أعصر خمرا ﴾ أى : قال صاحب شراب
الملك : إني رأيت فى المنام أنى أعصر خمرا ، أى : عنبا ليكون
خمرا ؛ إذ الخمر لا يعصر ، ولكن سماه بما يؤول إليه .

﴿ وقال الآخر إني أرايتى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير
منه ﴾ أى : وقال الآخر وهو الخباز : رأيت أنى أحمل على رأسى
سلاها بها خبز والطير تأكل من أعلاه .

﴿ نبأ بتأويله ﴾

أخرج الطبرى ^(١) عن السدى قال : لما دخل يوسف السجن قال أنا
أعبر الأحلام فقال أحد الفتيتين لصاحبه هلم نجرب هذا العبد العبرانى
نترأى له فسألاه من غير أن يكون رأيا شياً "
وقال ابن عباس ومجاهد : " كانت رؤيا صدق رأياها وسألاه عنها
ولذلك صدق تأويلها " ^(٢) .

(١) تفسير الطبرى ١٢/١٢٧ .

(٢) تفسير القرطبي ٩/١٢٥ .

وقال الطبري (١) : " وقال قوم إنما سأله الفتيان عن رؤيا كانا رأياها على صحة وحقيقة وعلى تصديق منهما ليوسف لعلمه بتعبيرها " .

فمن خلال الروايتين السابقتين يتبين لنا كذبهما في الرواية الأولى وصدقها في الثانية .

وقد اشتد الوعيد في الكذب في المنام مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه ، إذ قد يكون شهادة في قتل أو حد أو أخذ مال ، لأن الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره . والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين (٢)

أخرج البخاري (٣) عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل . . .

قال القرطبي (٤) : " قال علماؤنا : إن قيل : من كذب في رؤياه ففسرها العابر له أيلزمه حكمها ؟ قلنا : لا يلزمه ، وإنما كان ذلك في يوسف لأنه نبي ، وتعبير النبي حكم ، وقد قال : إنه يكون كذا وكذا فأوجد الله تعالى ما أخبر كما قال تحقيرا لنبوته ؛ فإن قيل : فقد روى عبد الرازق عن معمر عن قتادة قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : إني رأيت كأنى أعشبت ثم أجدبت ثم أعشبت ثم أجدبت ، فقال له عمر : أنت رجل تؤمن ثم تكفر ، ثم تؤمن ثم تكفر ثم تموت كافرا ، فقال

(١) تفسير الطبري ١٢/١٢٧ .

(٢) الرؤيا في الكتاب والسنة للدكتور الحسيني أبو فرحة ص ١٩ .

(٣) في صحيحه . كتاب الرؤيا . باب من كذب في حلمه ٨٧/١٦ من الفتح .

(٤) تفسير القرطبي ٩/١٢٧ .

الرجل: ما رأيت شيئاً ؛ فقال له عمر : قد قضى لك ما قضى لصاحب يوسف ؛ قلنا : ليست لأحد بعد عمر ، لأن عمر كان مُحَدَّثاً ، وكان إذا ظن ظناً كان . وإذا تكلم به وقع ، على ما ورد في أخباره ، وهى كثيرة ، منها : أنه دخل عليه رجل فقال له : أظنك كاهناً فكان كما ظن ، أخرجه البخارى . ومنها : أنه سأل رجلاً عن اسمه فقال له فيه أسماء النار كلها ، فقال له : أدرك أهلك فقد احترقوا ، فكان كما قال : خرج الموطأ " أ . هـ .

فإن كان الفتيان صادقين أو كاذبين فالله أعلم بهما ، وقد أراد سبحانه أن تكون النتيجة كما فسرهما يوسف — عليه السلام — ، وكل هذا كان إرهابات ومعجزات له — عليه السلام — .

قوله : ﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾ يعنى من العالمين بعبارة الرؤيا . والإحسان هنا بمعنى العلم . " وسئل الضحاك ، ما كان إحسانه ؟ فقال : كان إذا مرض إنسان فى الحبس عاده وقام عليه ، وإذا ضيق على أحد وسع عليه ، وإذا احتاج أحد جمع له شيئاً وكان مع هذا يجتهد فى العبادة ويصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة " (١) .

وأخرج ابن جرير الطبرى (٢) عن قتادة قوله ﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾ قال : بلغنا أن احسانه أنه كان يداوى مريضهم ويعزى حزينهم ويجتهد لربه وقال : لما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قوماً قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم فطال حزنهم فجعل يقول : أبشروا

(١) الفتوحات الإلهية ٤٥٢/٢ .

(٢) تفسير الطبرى ١٢٨/١٢ .

واصبروا توجروا إن لهذا أجرا إن لهذا ثوبا ، فقالوا : يافتى بارك الله
فيك ما أحسن وجهك وأحسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك ما نحب ،
إنا كنا فى غير هذا منذ حبسنا . . . فمن أنت يافتى ؟ قال أنا : يوسف
بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحاق ^(١) بن ابراهيم " .

وقد استأنس به — عليه السلام — أهل السجن ؛ فكان إذا خرج
الرجل من السجن رجع حتى يجلس فى السجن مع يوسف ، وأحبه
صاحب السجن فوسع عليه فيه ؛ ثم قال له : يا يوسف ! لقد أحببتك حبا
لم أحب شيئا مثل حبك ؛ فقال : أعوذ بالله من حبك ، قال : ولم ذلك ؟
فقال : أحبنتى أبى ففعل بى إخوتى ما فعلوه ، وأحبتتى سيدتى فنزل بى
ما ترى ^(٢) .

انتهد يوسف — عليه السلام — هذه الفرصة ليعلن لهم دينه
ويدعوهم إلى عبادة الله وحده وقام فيهم خطيباً ينبئهم بمقدرته على تأويل
الرؤيا .

يقول الدكتور / سيد طنطاوى : " وهذا شأن المصلحين العقلاء
المخلصين لعقيدتهم الغيورين على نشرها بين الناس ، إنهم يسوقون

(١) الصواب أن الذبيح هو اسماعيل — عليه السلام — وقد ورد عن رسول الله ﷺ
أنه قال : " أنا ابن الذبيحين " ورد ذلك فى سيرة ابن هشام . فالذبيح الأول هو
اسماعيل — عليه السلام — والثانى هو والده عبد الله . ومن أراد الاستزادة
فليرجع إلى كتابنا إعداد الرسول ﷺ لتحمل الرسالة فى القرآن الكريم والسنة
النبوية الشريفة .

(٢) تفسير القرطبي ١٢٤/٩ .

لغيرهم من الكلام الحكيم ما يجعل هذا الغير يثق بهم ، ويقبل عليهم ،
ويستجيب لهم " (١) .

وهذا ما كان من يوسف — عليه السلام — ، فقد بدأ فى رده عليهما
بقوله :

﴿ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نباتكما بتأويله قبل أن
يأتيكما ٠٠ ﴾ أى : لا يأتيكما طعام من أى مكان ترزقانه يعنى
تطعمانه وتأكلانه إلا أخبرتكما بقدره ولونه ومن أين أتى . والوقت الذى
يصل إليكما فيه ٠٠ كل ذلك قبل أن يصل إليكما .

وفى ذلك إيماء إلى أنه أوتى علم الغيب ، وهذا يجرى مجرى قول
عيسى — عليه السلام — : ﴿ وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى
بيوتكم ﴾ (٢) .

لقد عرض يوسف — عليه السلام — عن الإجابة على سؤالهما
حين سألاه وأخذ فى الحديث عن إظهار المعجزة على يديه والدعاء
والتوحيد ؛ لعدة أسباب ذكرها الخازن فقال : " لما علم ما فى ذلك من
المكروه لأحدهما فأعرض عن سؤالهما وأخذ فى غيره من إظهار
المعجزة والنبوة ٠٠ وقيل : إنه — عليه السلام — أراد أن يبين لهما أن
درجته فى العلم أعلى وأعظم مما اعتقدا فيه وذلك أنهما طلبا منه علم
التعبير ولا شك أن هذا مبنى على الظن والتخمين فأراد أن يعلمهما أنه
يمكنه الإخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين ، وذلك مما يعجز

(١) التفسير الوسيط المجلد السابع ص ٣٦٠ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ٤٩ .

الخلق عنه وإذا قدر على الإخبار عن الغيوب كان أقدر على تعبير
الرؤيا بطريق الأولى .

وقيل : إنما عدل عن تعبير رؤياهم إلى إظهار المعجزة لأنه علم أن
أحدهما سيصلب فأراد أن يدخله في الإسلام ويخلصه من الكفر ودخول
النار ، فأظهر له المعجزة لهذا السبب " (١) أ . هـ

ثم أخبرهما — عليه السلام — بأن علمه ذلك ليس من علوم الكهنة
والمنجمين ، بل هو فضل إلهي يؤتاه من يشاء فقال :

﴿ ذلكما مما علمني ربي ﴾

قال الألوسي (٢) : " ويروى أنهما قالاه : من أين لك ما تدعيه من
العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم ؟ ! وقيل : قالوا إن هذا كهانة أو تنجيم ،
فقال : أي ذلك التأويل والكشف عن المغيبات ﴿ مما علمني ربي ﴾
بالوحي أو بنحو ذلك مما يحصل به العلم كما يكون للأولياء أهل
الكشف رضى الله تعالى عنهم ٠٠٠ والمراد أن ذلك بعض مما
علمنيه الله تعالى " أ . هـ .

والإشارة في " ذلكما " إلى التأويل والإخبار عن المغيبات ، ومعنى
البعد في ذلك ، الإشارة إلى علو درجته وبعد منزلته .

قال الشيخ المراغي (٣) : " ومن هذا يعلم أن وحي الرسالة جاءه
وهو في السجن ، وبذلك تحقق قوله : ﴿ رب السجن أحب إلي مما
يدعونني إليه ﴾ كما أن وحي الإلهام جاءه حين إلقاءه في غيابة الجب

(١) تفسير الخازن ٢/٢٨٣ .

(٢) تفسير روح المعاني ١٢/٢٤١ .

(٣) تفسير المراغي ١٢/١٤٦ .

٠٠ وكأنه سبحانه جعل في كل محنة منحة ، وفي كل ما ظاهره أنه بلاء نعمة " .

ثم بين - عليه السلام - أن نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة أباءه الأنبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال :

﴿ إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴾

الترك : عبارة عن عدم التلبس بالشئ من أول الأمر وعدم الإلتفات إليه بالكلية (١) .

والقوم : هنا الكنعانيون ، والمصريون الذين هو بينهم فقد كانوا يعبدون آلهة منها الشمس ويسمونها " رع " ومنها عجلهم " أبيس " وغيرهما .

قال أبو حيان (٢) : " والظاهر أن قوله ﴿ إني تركت ٠٠ ﴾ استئناف إخبار بما هو عليه ، إذ كانا قد أحباه وكلفا بحبه وبحسن أخلاقه ، ليعلمهما ما هو عليه من مخالفة قومهما فيتبعاه . وفي الحديث : " لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم " (٣) .

ويجوز أن يكون ﴿ إني تركت ٠٠٠ ﴾ تعليلا لما قبله أي : علمني ذلك ، وأوحى إلي لأني رفضت ملة أولئك ، واتبعت ملة الأنبياء وهي الملة الحنيفية " أ.هـ .

(١) الفتوحات الإلهية ٤٥٣/٢ .

(٢) البحر المحيط ٢٧٧/٦ .

(٣) أخرجه البخارى . كتاب فضائل الصحابة . باب مناقب على بن أبى طالب ٧٢ / ٨ من الفتح .

- وقال الفخر الرازى (١) : " لقاتل أن يقول : فى قوله : ﴿ إني تركت
ملة قوم لا يؤمنون بالله ﴾ توهم أنه - عليه السلام - كان فى هذه
الملة . فنقول جوابه من وجوه :

الأول : أن الترك عبارة عن عدم التعرض للشئ وليس من شرطه أن
يكون قد كان خائضا فيه .

والثانى : وهو الأصح أن يقال إنه - عليه السلام - كان عبدا لهم
بحسب زعمهم واعتقادهم الفاسد ، ولعله قبل ذلك كان لا يظهر
التوحيد والإيمان خوفاً منهم على سبيل التقية ، ثم إنه أظهره
فى هذا الوقت ، فكان هذا جاريا مجرى ترك ملة أولئك الكفرة
بحسب الظاهر .

وقوله تعالى : ﴿ لا يؤمنون بالله ﴾

قال أبو السعود (٢) : " والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الإيمان
به للتصيص على أن عبادتهم له تعالى مع عبادة الأوثان ليست بايمان
به تعالى كما هو زعمهم الباطل . . "

وقوله ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾

وعن سر تكرار لفظ " هم " فى الجملة السابقة :

قال الزمخشري (٣) : " للدلالة على أنهم خصوصا كافرون

بالآخرة ، وأن غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة
إبراهيم .

(١) تفسير الفخر للرازى ١٣٧/١٨ .

(٢) تفسير أبى السعود ٢٧٧/٤ .

(٣) تفسير الزمخشري ٢٥٦/٢ .

ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيهها على ما هم عليه من الظلم والكبائر
التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء .

ويجوز أن يكون فيه تعريض بما منى به من جهتهم حين أودعوه
السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وأن ذلك ما لا يقدم عليه
إلا من هو شديد الكفر بالجزاء " أ . هـ

ولما كان تركه لملة هؤلاء القوم ، يقتضى دخوله فى ملة قوم
آخرين فقال :

﴿ واتبعت ملة آبائى إبراهيم واسحاق ويعقوب ﴾

بعد أن عرفهما أنه نبي يوحى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ،
ذكر آباؤه ليريهما أنه من بيت النبوة ؛ ليقوى رغبتهما فى الاستماع إليه
واتباع قوله .

وسماهم آباء جميعا ، لأن الأجداد آباء ، وقدم الجد الأعلى ثم الجد
الأقرب ثم الأب ، لكون إبراهيم هو أصل تلك الملة التى اتبعها ، ثم
تلقاها عنه اسحاق ، ثم تلقاها عن اسحاق يعقوب عليهم السلام .
ثم بين أساس الملة التى ورثها عن أولئك الآباء الكرام فكانت يقينا
له بقوله :

﴿ ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ﴾ تنزه عن الشرك بأبلغ

وجه .

أى : ما صح وما استقام لنا معاشر الأنبياء أن نشرك بالله شيئا من
الإشراك ، قليلا ذلك الشئ أو حقيرا .

وقوله : ﴿ من شئ ﴾ تفيد أن أصناف الشرك كثيرة ، فمنهم من

يعبد الأصنام ، ومنهم من يعبد النار ، ومنهم من يعبد الكواكب ، ومنهم

من يعبد الحيوانات . . فقلوه : ﴿ ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ﴾ رد على كل هؤلاء الطوائف والفرق ، وإرشاد إلى الدين الحق ، وهو أنه لا موجد إلا الله ولا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله (١) .

وقوله : ﴿ وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾

﴿ ذلك ﴾ : اسم إشارة يعود إلى التوحيد والإيمان بالله وعدم الإشراك به

﴿ من فضل الله علينا ﴾ أى بالوحى ﴿ وعلى الناس ﴾ أى : وعلى سائر الناس ببعثنا لإرشادهم وتثبيتهم عليه ولكن أكثر الناس المبعوث إليهم لا يشكرون هذا الفضل ، فيعرضون عنه ولا ينتبهون . أو من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وإنزال الآيات ولكن أكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها (٢) .

الدعوة إلى عبادة الله تعالى :

بعد أن أبطل يوسف - عليه السلام - ما هما عليه من الشرك فيما سلف شرع يدعوهم إلى التوحيد الخالص وأيده بالبرهان الذى لا يجد العقل محيصا من التسليم به والإقرار بصحته كما حكى القرآن عنه :

﴿ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾

(١) تفسير الفخر الرازى ١٣٨/١٨ .

(٢) تفسير البيضاوى ص ٣١٥ .

﴿ يا صاحبي السجن ﴾ أى : يا صاحبى فى السجن ، وناداهما بعنوان الصحبة فى هذه الدار التى هى دار الأشجان وموضع الأحزان ، وفيها تصفو المودة وتخلص النصيحة ، ليقبلا على استماع ما يلقى إليهما به ، فالقلوب قد انصرفت عن الدنيا ولذاتها .
وقوله ﴿ أرباب متفرقون خير أم الله ﴾ استفهام انكارى مع التقرير والتوبيخ .

ومعنى ذلك : أن الله تعالى بين أن كثرة الآلهة توجب الخلل والفساد فى هذا العالم وهو قوله : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ (١) فكثرة الآلهة توجب الفساد والخلل ، وكون الإله واحدا يقتضى حصول النظام وحسن الترتيب فلما قرر هذا المعنى فى سائر الآيات . قال : ههنا ﴿ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ .

ولكن . . . لم سماها أربابا وليست كذلك ؟

أجاب الفخر الرازى (٢) قائلا : " لاعتقادهم فيها أنها كذلك ، وأيضا الكلام خرج على سبيل الفرض والتقدير : والمعنى أنها إن كانت أربابا فهى خير أم الله الواحد القهار ؟ " ومعنى التفرق هنا هو التفرق فى الذوات والصفات والعدد : أى هل الأرباب المتفرقون فى ذواتهم المختلفون فى صفاتهم

(١) سورة الأنبياء من الآية ٢٢ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ١٤١/١٨ .

المتنافون في عددهم خير لكما يا صاحبي السجن ، أم الله المعبود بحق
المتفرد في ذاته وصفاته الذي لا ضد له ولا ند ولا شريك و"القهار" لكل من
غالبه أو نازعه .

ولا شك أن الجواب الذي لا يختلف فيه عاقلان ، أن عبادة الله
تعالى الواحد القهار هي العبادة الصحيحة التي توافق الفطرة السليمة
والعقول القويمة .

أورد يوسف — عليه السلام — على صاحبي السجن هذه الحجة القاهرة
على طريق الإستفهام ، لأنهما كانا ممن يعبد الأصنام ؛ وقد قيل إنه كان بين
أيديهما أصنام يعبدونها عندما خاطبهما بهذا الخطاب ^(١) ولهذا انتقل يوسف
— عليه السلام — إلى تنفيذ عقائد الجاهلية وأوهامها الواهية فقال :

﴿ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل
الله بها من سلطان ﴾

قوله : ﴿ ما تعبدون ﴾ الخطاب لهما — صاحبي السجن — ومن
كان على دينهم .

﴿ الأسماء ﴾ أى : إلا أسماء فارغة سميتموها ولا مسميات لها
وإن كنتم تزعمون أن لها مسميات .

﴿ سميتموها ﴾ المفعول الثاني محذوف ، والتقدير : سميتموها
آلهة أنتم وآباؤكم .

وقوله ﴿ وآباؤكم ﴾ لقطع عذرهم ، حتى لا يقولوا : إنا وجدنا
آباءنا كذلك يفعلون ، فكانه تعالى يقول لهم : إن آباءكم كانوا أشد منكم
جهلا وضلالا ، فلا يصح لكم أن تقتدوا بهم .

(١) فتح القدير للشوكاني ٢٧/٣ .

والمراد بالسلطان فى قوله تعالى : ﴿ ما أنزل الله بها من سلطان ﴾
الحجة والبرهان أى : ما أنزل الله حجة وبرهانا على أحد من رسله
بتسميتها أربابا وبصحتها ، حتى يقال إنكم تتبعونها .

وقوله ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ أى : ما الحكم الحق فى الربوبية
والعبادات والمعاملات إلا لله وحده يوحيه لمن اصطفاه من رسله ولا
يمكن لبشر أن يحكم فيه بهواه ورأيه .

ثم انتقل إلى ما حكم به الله وهو الإخلاص فى العبادة له وحده
فقال :

﴿ أمر ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ أى : أمر ألا تعبدوا غيره ولا تدعوا
سواه ، فهو الإله الواجب الوجود الواحد المعبود ، فادعوه واعبدوه
وحده دون سواه .

ثم ختم سبحانه الآية بقوله :

﴿ ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أى : هذا الذى
أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له ، هو الدين المستقيم الذى
أمر الله به ، وأنزل به الحجة والبرهان الذى يحبه ويرضاه ، ﴿ ولكن
أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أن ذلك هو الدين القويم ، وصرطه المستقيم
لجهلهم وبعدهم عن الحقائق .

تأويل يوسف لرؤيا صاحبيه

قال تعالى : ﴿ يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدَكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) ﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) ﴾

بعد أن عرف يوسف صاحبيه في السجن بنفسه ، وأقام لهما الأدلة على أن عبادة الله تعالى وحده هي الدين الحق ودعاهما إلى الدخول فيه ، بعد كل ذلك شرع في تأويل رؤياهما ليزيدهما ثقة في قوله .

قوله : ﴿ أما أحدكما ﴾ أي الذي رأى أنه يعصر خمرا ، وهو ساقى الملك .

قال أبو السعود (١) : " وإنما لم يعينه ، ثقة بدلالة التعبير ، وتوسلا بذلك إلى إيهام أمر صاحبه حذار مشافهته بما يسوءه "

قوله ﴿ فيسقى ربه خمرا ﴾ أي : يسقى سيده ومالكة خمرا .

﴿ وأما الآخر ﴾ أي : الذي رأى أنه يحمل خبزا تأكل الطير

منه ، وهو خباز الملك وصاحب طعامه .

﴿ فيصلب ﴾ أي : فيقتل ثم يصلب ﴿ فتأكل الطير من رأسه ﴾

بعد موته .

(١) تفسير أبي السعود ٤ / ٢٧٩ .

ثم قال : ﴿ قضى الأمر ﴾ أى : أحكم الأمر . ﴿ الذى فيه تستفتيان ﴾ ومعنى الاستفتاء : السؤال عن المشكل المجهول ، والفتوى : جوابه .

والمعنى : لا تناقشا ! إن الأمر الذى يهمكما ويشكل عليكما وتستفتيانى فيه قد بُتَّ فيه وانتهى حكمه .

وقال الدكتور / محمد حجازى ^(١) : " وهذا خارج عن تأويل الرؤيا ولكنه من باب المكاشفة وصفاء الأرواح ، لعله إخبار ووحى ليوסף " ثم ختم يوسف — عليه السلام — حديثه مع صاحبيه بأن أوصى ساقى الملك بوصية حكاها القرآن فى قوله تعالى : ﴿ وقال للذى ظن أنه ناج منها أذكرنى عند ربك . . ﴾ قوله ﴿ للذى ظن أنه ناج ﴾ وهو الذى أول له رؤياه بأنه يسقى ربه خمراً وتأويلها يدل على نجاته .

المراد بالظن :

قال الشوكانى ^(٢) : " المراد بالظن العلم ؛ لأنه — عليه السلام — قد علم من الرؤيا نجاه الشرابى (الساقى) وهلاك الخباز ، هكذا قال جمهور المفسرين . وقيل الظاهر على معناه ، لأن عابر الرؤيا إنما يظن ظناً " وقال الدكتور / محمد حجازى ^(٣) : " أى ظن فى الواقع لأنه ربما يغير الملك رأيه الذى قال . أو تأتى حوائل تحول بين تحقيق ما قاله يوسف "

(١) التفسير الواضح ١٢/١٧٩ .

(٢) فتح القدير ٣/٢٨ .

(٣) التفسير الواضح ١٢/١٧٩ .

وقال الشيخ المراغى ^(١) : " وقد يكون هذا بناء على وحى فيكون الظن بمعنى اليقين وهو كثير فى القرآن الكريم كما قال : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ ^(٢) وقال : ﴿ إني ظننت أنى ملاق حسابيه ﴾ ^(٣) .

وأرى أن أصح الأقوال هو تفسير الظن هنا بالعلم اليقيني ؛ فهو الأنسب بحال الأنبياء . ولا سيما أن يوسف - عليه السلام - قد أخبرهما بأن الله تعالى قد أطلععه على شئ من علم الغيب كما فى قوله ﴿ لا يأتيكما طعام ترزقاته إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى ﴾ ، والله أعلم .

قوله : ﴿ اذكرنى عند ربك ﴾ أى : بعد أن تخرج من السجن وتعود إلى عملك عند سيدك الملك حدثه بما رأيت منى وما سمعت وعلمت من أمرى ، عله ينصفنى ممن ظلمنى ويخرجنى من ضائقة السجن .

ويقصد يوسف أن يطرق الأبواب الظاهرية والأسباب المادية ليخرج من السجن . وفى هذا دليل على جواز السعى فى الأخذ بالأسباب ، ولا ينافى ذلك التوكل على رب الأرباب .

وقال أبو السعود ^(٤) : " الإستعانة بالعباد وإن كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الأنبياء عليهم السلام الأخذ بالعزائم .

(١) تفسير المراغى ١٥٢/١٢-١٥٢ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٤٦ .

(٣) سورة الحاقة الآية ٢٠ .

(٤) تفسير أبى السعود ٢٨٠/٤ .

وقال الفخر الرازي (١) : " واعلم أن الإستعانة بالناس في دفع الظلم جائزة في الشريعة ، إلا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين فهذا وإن كان جائزا لعامة الخلق إلا أن الأولى بالصديقين أن يقطعوا نظرهم عن الأسباب بالكلية وأن لا يشتغلوا إلا بمسبب الأسباب " أ . هـ

ولكن الساقى بعد أن خرج من السجن وعاد إلى عمله عند الملك لم ينفذ الوصية ؛ لأن الشيطان أنساه ما وصاه به يوسف — عليه السلام — فترتب على هذا أن لبث في السجن مظلوما بضع سنين .

وهذه مشيئة الله تعالى ، ليعلمه كيف يقطع الأسباب كلها ويستمسك بسببه وحده ، فلم يجعل قضاء حاجته على يد عبد . وكان هذا من اصطفائه وإكرامه .

قال تعالى : ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بضع سنين ﴾ .

البضع : بالكسر من ثلاث إلى تسع .

وقد اختلفوا في المدة التي قضاها يوسف في السجن وأكثر الأقاويل إنه لبث فيه سبع سنين ، وروى عن النبي ﷺ قال : رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس (٢) .

هكذا فقد قص علينا القرآن الكريم جانبا من حياة يوسف — عليه

السلام — في السجن فماذا كان بعد ذلك ؟

(١) تفسير الفخر الرازي ١٨/١٤٤-١٤٥ .

(٢) تفسير أبي السعود ٤/٢٨٠ .

تأويل يوسف لرؤيا ملك مصر ودعوته للالتقاء به

قال الله تعالى ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خَضِرٍ وَأَخْرَ يَابَسَاتٍ يَأْيُهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) ﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِي (٤٥) ﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خَضِرٍ وَأَخْرَ يَابَسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) ﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْضِنُونَ (٤٨) ﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩) ﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) ﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) ﴾

إذا أراد الله أمرا هيا له أسبابه ، فكان من أسباب خروج يوسف - عليه

السلام - من السجن معززا مكرما ، رؤيا رآها الملك في منامه قال تعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ ٥٠ ﴾

قال ابن كثير (١) : " وذلك أن ملك مصر ، وهو الريان بن الوليد
 . . . رأى هذه الرؤيا . قال أهل الكتاب : رأى كأنه على حافة نهر ، وكأنه
 قد خرج منه سبع بقرات سمان ، فجعلن يرتعن فى روضة هناك ، فخرجت
 سبع بقرات هزال ضعاف من ذلك النهر ، فرتعن معهن ثم ملن عليهم
 فأكلتهن ، فاستيقظ مذعورا ، ثم نام فرأى سبع سنبلات خضر فى قصبه
 واحدة ، وإذا سبع أخر دقائق يابسات فأكلتهن ، فاستيقظ مذعورا . فلما قصها
 على ملئه وقومه لم يكن فيهم من يحسن تعبيرها " أ . هـ

وقوله : ﴿ عجاج ﴾ جمع عجفاء والعجف بفتح العين والجيم : ذهاب
 السمن ، والهزال : أى : هزلى لا لحم عليها ولا شحم ضربت مثلا لسبع
 سنين لا فطر فيها ولا خصب (٢) .

أى : وقال ملك مصر فى ذلك الوقت لوزرائه وحاشيته وعلماؤه : إنى
 رأيت ﴿ سبع بقرات سمان ﴾ قد امتلأت شحما ولحما ﴿ يأكلهن سبع
 عجاج ﴾ أى : يأكل هذه السبع السمان ، سبع بقرات أخر عجاج هزيلات .
 ورأيت أيضا - فيما يرى النائم ﴿ سبع سنبلات خضر ﴾ قد
 امتلأت حبا ، ورأيت سبع سنبلات ﴿ أخر يابسات ﴾ قد ذهبت
 نضارتها ، مهياةً للقطوف والحصاد ، ومع هذا فقد التوت اليابسات على
 الخضر حتى غلبتها ولم تبق من خضرتها شئ .

لقد قلق الملك وانزعج ، بسبب تلك الرؤيا ، لأنه شاهد أن الناقص
 الضعيف الهزيل استولى على الكامل القوى ، ففطرته رأى أن هذا ليس

(١) قصص الأنبياء ص ٢٢٦ .

(٢) لسان العرب ٩/٢٣٤ .

بخير ، وأنه منذر بنوع من أنواع الشر ، فطلب تفسير وتأويل تلك الرؤيا المزعجة ، فقال :

﴿ أيها الملأ ﴾ أى : الأشراف والعلماء والكهان من قومی .

﴿ أفتونى فى رؤياى ﴾ أى : فسروها لى ، وبينوا حكمها وما

تؤول إليه .

﴿ إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ أى : إن كنتم تعرفون تفسيرها

وتبينون المعنى الحقيقى المراد من هذه الرموز والخيالات .

و ﴿ تعبرون ﴾ من العبر . يقال : فلان فى ذلك العبر . أى :

فى ذلك الجانب ، وعبرت النهر والطريق أعبره عبيرا وعبورا إذا

قطعته من هذا العبر إلى ذلك العبر ، فقيل لعابر الرؤيا : عابر ، لأنه

يتأمل ناحيتى الرؤيا فيتفكر فى أطرافها ، ويتدبر كل شئ منها ويمضى

بفكره فيها من أول ما رأى النائم إلى آخر ما رأى (١)

ومن البلاغة والفوائد التى وردت فى هذه الآية :

١ - التعبير ب (الملك) قال بعض العلماء : والتعريف فى (الملك)

للعهد ، أى ملك مصر ، وسماه القرآن هنا ملكا ولم يسمه

فرعون ، لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر

المصريين ، وإنما كان ملكا لمصر أيام أن حكمها " الهكسوس "

وهم العمالقة الذين ملكوا مصر من ١٩٠٠ قبل الميلاد إلى سنة

١٥٢٥ ق . م

(١) المرجع السابق ٤/٥٣٠ .

فالتعبير عنه بالملك هنا ، دون التعبير عنه بفرعون مع أنه عبر
عن ملك مصر في زمن موسى بفرعون ، يعتبر من دقائق إعجاز
القرآن (١)

٢ - قوله ﴿ إِنِّي أَرَى ﴾ أي : إني رأيت بالماضي ، وكذلك قوله
﴿ يَأْكُلْهُنَّ ﴾ أي : أكلن بالماضي ، ولكنه عبر بالمضارع حكاية
حال استحضارا لصورة الرؤيا حتى لكانها ماثلة أمامه .

٣ - أوقع سبحانه قوله : ﴿ سَمَان ﴾ صفة للمميّز وهو بقرات دون
التميّز وهو سبع والفرق بين الأمرين وكلاهما جائز في قواعد
النحو ، أنك لو أوقعتها صفة لبقرات فقد أردت أن تميز السبع
بنوع من البقرات وهي السمان منهن خاصة لا بجنسهن ولو
أوقعتها صفة لسبع فقد أردت أن تميز السبع بجنس البقرات لا
بنوع خاص منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن (٢)

٤ - قوله : ﴿ وَآخِرُ يَابِسَاتٍ ﴾ بدون إعادة لفظ سبع كما في
البقرات ، للإكتفاء بدلالة المقابل في البقرات عليه .

قال الزمخشري (٣) : " فإن قلت : هل في الآية دليل على أن

السنبلات اليابسات كانت سبعا كالخضر ؟

قلت : الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السمان
والعجاف والسنبال الخضر فوجب أن يتناول معنى الآخر السبع ويكون
قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا آخر .

(١) تفسير التحرير والتوير . للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢٨٠/١٢ .

(٢) اعراب القرآن الكريم وبيانه . تأليف محي الدين درويش ٥٠٨/٤ .

(٣) تفسير الكشاف ٢٥٨/٢ .

٥ - اللام فى قوله : ﴿ للرؤيا ﴾ لتقوية الفعل " تعبرون " حيث تاخر
عن معموله لرعاية الفواصل ويقال لها : لام التقوية .

ويبدو أن القوم فى ذلك الزمان ، كان بعضهم يشتغل بتفسير الرؤى ،
ولكن أراد الله تعالى أن يعجز أولئك الكهنة والعلماء عن تأويل الرؤيا وكان
هذا بمثابة معجزة أو ما يشبه المعجزة لىوسف - عليه السلام - حتى تزود
مكانته عند الملك وحاشيته وقد حكى القرآن عجزهم عن تأويل رؤيا الملك
فقال :

﴿ قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾

والأضغاث : جمع ضغث بكسر الضاد ، وهى قبضة من قبضان مختلفة
يجمعها أصل واحد مثل الكرات وغيره .

وقال الفراء : الضغث ما جمعته من شئ مثل حزمة رطبة ، وما قام
على ساق واستطال ثم جمعته :

وأضغاث أحلام : الرؤيا التى لا يصح تأويلها لاختلاطها وتداخل بعضها
فى بعض وليست كالصحيحة (١)

والأحلام : جمع حُلْم ، وهو ما يراه النائم فى منامه ، وهى الرؤيا
الكاذبة التى لا حقيقة لها كما يكون من حديث النفس ووسواس الشيطان
ففى الحديث الصحيح : " الرؤيا من الله والحلم من الشيطان " (٢)

وجمعوا الأحلام فى قوله ﴿ أضغاث أحلام ﴾ ولم يكن من الملك إلا
رؤيا واحدة مبالغة منهم فى وصفها بالبطلان ، ويجوز أن يكون رأى
مع هذه الرؤيا غيرها مما لم يقصه علينا القرآن .

(١) لسان العرب لابن منظور ١٦٣/٢ - ١٦٤ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب التفسير ١٧/٩ من الفتح .

والمعنى لما طلب الملك تأويل رؤياه . عجز الملأ من حاشيته ومن الكهنة عن تأويلها ، أو أحسوا أنها تشير إلى سوء لم يريدوا أن يواجهوا به الملك على طريقة رجال الحاشية فى إظهار كل ما يسر الحكام وإخفاء ما يزعجهم وصرف الحديث عنه – مثلما نفعه نحن مع من يقص علينا حلم ليس بحسن – فقالوا للملك : ما رأيته فى نومك ما هو إلا أخلاط أحلام مضطربة ومنامات باطلة وليست رؤيا كاملة تحتل التأويل .

ثم أضافوا إلى ذلك قولهم ﴿ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾ أى : إننا لسنا من أهل العلم بتفسير الأحلام إذا كانت أضغاثا مختلطة لا تشير إلى شئ ، وإنما نحن من أهل العلم بتفسير الرؤيا المعقولة الصحيحة المفهومة .

ثم بين سبحانه ما حدث بعد أن عجز الملأ من الكهنة والعلماء والحاشية وغيرهم عن تأويل رؤيا الملك ، تذكر أحد صاحبيه فى السجن ، الذى نجا منهما وأنساه الشيطان ذكر ربه ، وذكر يوسف ، فى دوامة القصر والعصر والشراب هنا تذكر الرجل الذى أول له رؤياه ورؤيا صاحبه ، فقال تعالى :

﴿ وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فإرسلون ﴾

قوله : ﴿ وادكر ﴾ بالذال أصله : اذنكر . وهو افتعال من الذكور ، قلبت تاء الإفتعال دالا لتقلها ولتقارب مخرجيها ثم قلبت الذال ليشأتى ادغامها فى الدال لأن الدال أخف من الذال . وهذا أفصح الإبدال فى أدكر كما جاء فى القرآن الكريم ﴿ فهل من مدكر ﴾ (١) .

(١) سورة القمر الآية ١٥

ومعنى ﴿ بعد أمة ﴾ بضم الهمزة وتشديد الميم وتاء منونة ، وهى
المدة الطويلة ، وأصل إطلاق الأمة على المدة الطويلة هو أنها زمن
ينقرض فى مثله جيل ، والجيل يسمى أمة ، كما فى قوله تعالى :
﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ على قول من حملة على الصحابة .
وإطلاقه فى هذه الآية مبالغة فى زمن نسيان الساقى . وقيل : وكان
ذلك بعد سنتين من خروجه من السجن .

وقوله ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ﴾ ضمائر المخاطب فى "
أنبئكم " و " فأرسلون " المخاطب إما الملك والحاشية أو الملك وحده
على سبيل التعظيم .

وإسناد الإنباء إليه — أى الساقى — مجاز عقلى لأنه سبب الإنباء
، ولذلك قال " فأرسلون " . وفى ذلك ما يستفز الملك إلى أن يأذن له
بالذهاب إلى حيث يريد ليأتى بنبأ التأويل ، إذ لا يجوز لمثله أن يغادر
مجلس الملك دون إذن .

وكان السجن على ما روى ابن عباس — رضى الله عنهما — فى
غير مدينة الملك ، وقيل : كان فيها ، قال أبو حيان . ويرسم الناس
اليوم سجن يوسف — عليه السلام — فى موضع على النيل بينه وبين
الفسطاط ثمانية أميال ^(١) والله تعالى أعلم بحقيقة المكان .

ولم يسم لهم المرسل إليه لأنه أراد أن يفاجئهم بخبر يوسف — عليه
السلام — ، فيكون ذلك أوقع فى قلوبهم ، وأسمى لشأن يوسف — عليه
السلام — .

(١) تفسير أبى حيان ٦/٢٨٤ .

وقوله : ﴿ يوسف ايها الصديق أفتنا ٠٠٠ ﴾ في الكلام حذف ،
وهو من مجيع الإيجاز بالحذف ، لأن المحذوف لا يتعلق بذكره عرض .
والتقدير : قال لهم : أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون إلى من عنده العلم
بالتأويل ، فأرسلوا إلى يوسف فاتاه فقال : يا يوسف يا أيها الصديق .
والصديق : أصله صفة مبالغة مشتقة من الصدق ، والصديق هو
الإنسان الذي صار الصدق دأبه وشيمته في كل أحواله .
قال الشيخ ابن عاشور ^(١) : " وغلب استعمال وصف الصديق
استعمال اللقب الجامع لمعاني الكمال واستقامة السلوك في طاعة الله
تعالى ، لأن تلك المعاني لا تجتمع إلا لمن قوى صدقه في الوفاء
بعهد الله .

وأحسن ما رأيت في هذا المعنى كلمة الراغب الأصفهاني في
مفردات القرآن قال : " الصديقون هم دُوَيْنُ الأنبياء " . وهذا ما يشهد به
استعمال القرآن في آيات كثيرة مثل قوله ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله
عليهم من النبيين والصديقين ﴾ ^(٢) الآية ، وقوله ﴿ وأمة صديقة ﴾ ^(٣) .
ومنه ما لقب النبي ﷺ أبا بكر بالصديق في قوله في حديث رجع جبل
أحد " أسكن أحدُ فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان " من أجل ذلك أجمع
اصحاب الرسول ﷺ ومنهم علي بن ابي طالب - كرم الله وجهه -
على أن أبا بكر - رضى الله عنه - أفضل الأمة بعد النبي ﷺ وقد

(١) تفسير التحرير والتنوير . للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢٨٤/١٢ .

(٢) سورة النساء من الآية ٦٩ .

(٣) سورة المائدة من الآية ٧٥ .

جمع الله هذا الوصف مع صفة النبوة في قوله : ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ﴾ (١)

ووصفه ليوسف — عليه السلام — بهذه الصفة ، لأنه جرب معه الصدق التام أيام أن كان معه في السجن ، ولكونه بصدد الإستفادة من علمه في تأويل الأحاديث والرؤى ، وهذا من براعة الاستهلال ، وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للمستفتى أن يعظم المفتى . ومن أراد أن يتعلم من شخص شيئا فإنه يجب عليه أن يعظمه ، وأن يخاطبه بالألفاظ المشعرة بالإجلال والتقدير .

قوله ﴿ أفئنا في سبع بقرات . . . ﴾

لماذا قال ﴿ أفئنا ﴾ ولم يقل كما قال هو وصاحبه ﴿ نبئنا بتأويله ﴾ ؟ .

أقول : عندما قال له ﴿ نبئنا بتأويله ﴾ كان ذلك في بداية لقائهما بيوسف — عليه السلام — ، وقبل أن يعرفا فضله ودرجته في العلم وأنه الكريم بن الكريم بن الكريم ، أما بعدما عاين علو رتبته — عليه السلام — في الفضل عبر ذلك بالإفتاء فقال : ﴿ أفئنا ﴾ ، تخميما لشأنه عليه السلام . وقال أبو السعود (٢) : " وفي قوله : ﴿ أفئنا ﴾ مع أنه المستفتى وحده اشعار بأن الرؤيا ليست له ، بل لغيره ممن له ملابسة بأمور العامة وأنه في ذلك معبر وسفير كما آذن بذلك حيث قال : ﴿ لعلى أرجع إلى الناس ﴾ .

(١) سورة مريم الآية ٥٦ .

(٢) تفسير أبي السعود ٤/٢٨٢ .

ولذا لم يغير لفظ الملك ، فقد أعاد العبارات المحكية عنه بعينها لأن التعبير يختلف باختلاف العبارات ، وفى ذلك إشارة إلى أنه بلغ السؤال كما تلقاه ، وذلك تمام أمارة الناقل . وتستفيد من ذلك بضرورة تبليغ الكلام كما سمعناه دون تحريف أو تغيير فرب تبديل لفظ أو حتى حرف مكان حرف يودى إلى خلاقات ومعادات نحن فى غنى عنها .

وقوله : ﴿ لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ﴾

الناس هنا : هم الملك وأهل مجلسه أو أهل البلد إن كان السجين فى الخارج كما قيل ، لأن تأويل الرؤيا يهمهم جميعا .

ومن حسن الأدب قوله ﴿ لعلى أرجع ﴾ و ﴿ لعلهم يعلمون ﴾ :

فقد كان الساقى فى غاية الذكاء وحسن الأدب حيث احتترز بلفظ ﴿ لعلى ﴾ لأنه ليس على يقين بأنه سوف يعيش إلى أن يعود إليهم وعلى تقدير أنه يعيش فربما عرض له ما يمنعه عن الوصول إليهم من الموانع التى لا تحصى كثرة .

وكذا فى قوله : ﴿ لعلهم يعلمون ﴾ أى : يعلمون فضلك ومكانك فيخلصوك من السجن . أو يعلمون فتواك وربما لا يعلمون لعدم فهمهم لذا قال " لعلهم " .

وفى تكرار " لعل " لمراعاة فواصل الآى ، وإلا كان مقتضى النسق لعلى أرجع إلى الناس فيعلموا .

تعبير الرؤيا :

﴿ قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلا مما تأكلون ٠٠ ﴾

عبر يوسف - عليه السلام - رموز الرؤيا بجميع ما دلت عليه ،
فالبقرات لسنين الزراعة ، لأن البقرة تتخذ للإثمار . والسيمن رمز
للخصب . والعجف رمز للقحط . والسنبلات رمز للأقوات ؛ فالسنبلات
الخضر رمز لطعام ينتفع به ، وكونها سبعا رمز للإنتفاع به في السبع
السنين ، فكل سنبلة رمز لطعام سنة .

وقوله ﴿ تزرعون ﴾ خير في معنى الأمر .

قال الزمخشري (١) : " قوله ﴿ تزرعون ﴾ خير في معنى
الأمر كقوله ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون ﴾ وإنما يخرج
الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد الأمور به فيجعل
كأنه يوجد فهو يخبر عنه ، والدليل على كونه في معنى الأمر قوله
﴿ فذروه في سنبله ﴾ أ . هـ

ومعنى ﴿ دأبا ﴾ ملازمة ، كعادتكم في المزارعة ، وقرأ حفص
دأبا بفتح الهمزة ، والجمهور بإسكانها ، وهما مصدران لدأب .
وتعرب حال من المأمورين أي دائبين ، أو مصدر لفعل محذوف
من لفظه أي تدأبون دأبا .

والمعنى : قال يوسف للساقى : قل لقومك إن يوسف يأمركم أن
تزرعوا أرضكم سبع سنين زراعة مستمرة على حسب عادتكم .

﴿ فما حصدتم ﴾ من زرعكم في كل سنة ﴿ فذروه في سنبله ﴾
أى : اتركوا الحب في سنبله كيلا يأكله السوس كما هو شأن غلال
مصر ونواحيها إذا مضى عليها عامين ﴿ إلا قليلا مما تأكلون ﴾ أى :

(١) تفسير الزمخشري ٢/٢٦٠ .

استخرجوا ما تحتاجون إليه بقدر الحاجة . فقد أشار عليهم بتقليل ما يأكلون في سنوات الخصب ، لادخار ما فضل عن ذلك لزمان الشدة ، فيجتمع الطعام ويتركب ، فإذا جاءت السنون الجدبة يؤكل الأقدم فالأقدم من ذلك المدخر .

قال القرطبي (١) : " هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية التي هي حفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال ؛ فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة ، وكل ما يفوت شيئاً منها فهو مفسدة ، ودفعه مصلحة ، ولا خلاف أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية ؛ ليحصل لهم التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخروية ، ومراعاة ذلك فضل من الله عز وجل ورحمة رحم بها عباده . " أ . هـ

وقوله ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك ﴾ أي : من بعد تلك السنين السبع المذكورات التي تزرعونها على عادتكم المستمرة في الزراعة .

﴿ سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ﴾ أي : ثم تأتي بعد ذلك سبع سنين كلهن جذب وقحط ، يأكل أهلها كل ما ادخرتم في تلك السنين لأجلهم ، إلا قليلا مما تخزنون وتدخرون للبذر ، وإسناد الأكل إلى السنين مجاز عقلي ، وهو ما جرت به عادتهم فيقولون أكلت هذه السنة كل شيء ولم تبق لنا خفا ولا حافرا .

ومعنى تحصنون : تحرزون وتخبثون ، مأخوذ من الحصن وهو الحرز والملجأ .

(١) تفسير القرطبي ١٣٣/٩ - ١٣٤ .

وهذا يدل على جواز احتكار الطعام إلى وقت الحاجة بشروط أن يعود النفع على الجميع .

قال القرطبي (١) : " هذه الآي أصل في صحة رؤيا الكافر ، وأنها تُخرَّج على حسب ما رأى ، لا سيما إذا تعلقت بمؤمن ؛ فكيف إذا كانت آية لنبي ، ومعجزة لرسول ، وتصديقا لمصطفى للتبليغ ، وحجة للواسطة بين الله - جل جلاله - وبين عباده " أ . هـ .
ولكن لا نسلم بأن رؤى الكفار كلهم تكون صحيحة على وجه العموم قياساً على رؤيا صاحبي السجن . ورؤيا الملك ، فقد أراد الله تعالى أن تصدق رؤياهم ، للتصديق بيوسف - عليه السلام - .

فالكفار يندر في رؤياهم الصدق ويشير إلى ذلك قوله ﷺ : " إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب . وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً " (٢) فنسبة الصدق في الرؤيا تعادل نسبة الصدق في الحديث في اليقظة .

ونعود إلى قوله تعالى ﴿ ثم يأتي بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴾ لنقول : إنها بشرى لهم بعد الجذب والقحط المتوالى بأنه يعقبهم بعد ذلك عام فيه يغاث الناس أى : يأتيهم الغيث وهو المطر ، فتُغِلُّ البلاد وتكثر المحصولات بجميع أنواعها ويعصرون ما من شأنه أن يعصر من العنب والقصب والزيتون

(١) تفسير القرطبي ١٣٤/٩ .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى سننه ٥٣٢/٤ .

ونحوها من الفواكه " وقيل : يدخل فيه حلب اللبن أيضا قال على
بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ وفيه يعصرون ﴾ (١) يحلبون (١)
وهذا كناية عن بدء حلول الرخاء بهم ، بعد تلك السنوات الشداد ،
وما قاله يوسف - عليه السلام - عن هذا العام ليست مستتبطة من
رؤيا الملك وإنما تلقاها - عليه السلام - من جهة الوحي فبشرهم بها
بعد ما أول الرؤيا بما أول .
وإلى هنا نرى ان يوسف - عليه السلام - قد فسر رؤيا الملك
تفسيرا حكيما من نتائجه الخير للملك وقومه .

(١) تفسير ابن كثير ٤٦٢/٢ .

طلب الملك ليوسف وتربيته فى الإجابة

بعد أن رجع الرسول — الساقى — إلى الملك وأبلغهم ما قاله يوسف — عليه السلام — ، فهموا منه سعة علمه وحسن تدبيره لدى ذلك الخطب الجلل الذى سيحل بالبلاذ ، فطلب الملك رؤيته ليتحقق بنفسه صدق ما فهمه من كلامه ، ولكن يوسف — عليه السلام — تربث فى الإجابة ، وقد حكى القرآن الكريم كل ذلك بأسلوبه ، فقال :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أُنْتَوِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَا أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وقال الملك أنتونى به ٥٠ ﴾ وفى الكلام حذف يفهم من المقام ، والتقدير : لما رجعوا إلى الملك بتعبير رؤياه التى رآها بما أعجبه ، فعرف فضل يوسف — عليه السلام — وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن أخلاقه على من يبليه من رعاياه ، قال لهم : احضروا لى يوسف هذا لأراه وأستفيد من علمه .

وهذا يدل كما قال الفخر الرازى — على فضيلة العلم ، فإنه — سبحانه — جعل علمه سببا لخلاصه من المحنة الدنيوية ، فكيف لا يكون العلم سببا للخلاص من المحن الأخروية ؟ (١)

(١) تفسير الفخر الرازى ١٨ / ١٥١ .

وقوله تعالى : ﴿ فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما
بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عظيم ﴾
لقد امتنع يوسف — عليه السلام — عن الذهاب إلى الملك إلا
بعد التحقيق في قضيته ، وهذا يدل دلالة واضحة على صبره ،
وعلو همته .

وقد علل الزمخشري امتناع يوسف — عليه السلام — عن الخروج
من السجن للقاء الملك إلا بعد أن تثبت برأئته فقال :
" إنما تأتي وتثبت في إجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة
ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون إلى تقبيح أمره
عنده ويجعلوه سلما إلى حط منزلته ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع
سنين إلا لأمر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكف
شره .

وفيه دليل على ان الإجتهد في نفي التهم ، واجب وجوب اتقاء
الوقوف في مواقفها " (١)

وقد ذكر ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية بعض الأحاديث في فضل
يوسف — عليه السلام — فقال ما ملخصه : وقد وردت السنة بمدحه
على ذلك — أى على امتناعه من الخروج من السجن حتى يتحقق الملك
ورعيته من براءة ساحته ونزاهة عرضه — ففي الصحيحين عن أبى
هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " نحن أحق بالشك من
إبراهيم إذ قال ﴿ رب أرني كيف تحي الموتى ﴾ الآية ، ويرحم الله

(١) تفسير الكشاف ٢٦٠/٢ .

لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد ، ولو لبثت في السجن ما لبثت يوسف لأجبت الداعي "

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة في قوله - تعالى - ﴿ فأسأل ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ﴾ ٥٠ أن رسول الله ﷺ قال " لو كنت أنا لأسرعت الإجابة وما ابتغيت العذر "

وروى عبد الرزاق عن عكرمة قال : قال رسول الله ﷺ : " لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه ! والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ، ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى اشترط أن يخرجوني .

ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له ، حين أتاه الرسول ، ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ، ولكنه أراد أن يكون له العذر " (١)

وقد علق الدكتور / سيد طنطاوى ، على هذه الأحاديث التى ذكرها ابن كثير فقال : " وما ورد فى هذه الأحاديث ، إنما هو من باب التواضع من سيدنا رسول الله ﷺ ، وإلا فإنه ﷺ أقوى الرسل عزمًا ، وأرفعهم مقامًا ، وأشدهم صبرًا " (٢)

قلت ويشهد على نزاهته - عليه السلام - وبعده عن مواطن الريبة والتهم ، قوله للمارين به فى معتكفه وعنده بعض نسائه " هى فلانة " - وسماها - إتياء للتهمة ، وعنه ﷺ قال : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم " .

(١) تفسير ابن كثير ٢/٤٦٢-٤٦٣

(٢) التفسير الوسيط المجلد السابع ص ٣٧٥ .

وقال الزمخشري (١) : " ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيده
مع ما صنعت به وتسببت في السجن والعذاب ، واقتصر على ذكر
المقطعات أيديهن "

أيضا : ففي الإقتصار على ذكر المقطعات أيديهن ، دون التعرض
لكيدهن له ، دليل آخر على كرمه وحسن أدبه ؛ سترأ لهن ، وتنزها منه
— عليه السلام — عن ذكرهن بما يسوؤهن .

ولذا فقد اكتفى بالإشارة الإجمالية إلى كيدهن ، وفوض أمرهن إلى
الله تعالى ، فقال في ختم الآية :

﴿ إن ربي بكيدهن عليم ﴾ أي : إن الله هو العليم بكيدهن لى ،
وهو الذى يتولى حسابهن على ما فعلن بى .

ثم حكى الله تعالى ما فعله الملك بعد أن بلغه الرسول بما طلبه
يوسف منه ، فقال جل ذكره :

﴿ قال ما خطبكن إذا راودتن يوسف عن نفسه ﴾

فى الكلام حذف تقديره : فرجع الرسول ، فأخبره بما قال يوسف ،
فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز ، وقال لهن : ﴿ ما خطبكن إذ
راودتن يوسف عن نفسه ﴾ .

الخطب : الشأن أو الأمر ، صغر أو عظم ، وقيل : هو سبب
الأمر . يقال ما خطبك ؟ أى ما أمرك ؟ وتقول هذا خطب جليل ،
وخطب يسير ، . . . ومنه قولهم : جلّ الخطب ، أى : عظم الأمر
والشأن . . . (٢)

(١) تفسير الكشاف ٢/٢٦١ .

(٢) لسان العرب ١/٣٦١ .

والمعنى : لما جمع الملك النسوة سألهن : ما الأمر الذى حملكن على مراودة يوسف عن نفسه : هل كان عن ميل منه إليكن ، وهل رأيتم منه موادة واستجابة بعدها ، وماذا كان السبب فى القائه فى السجن مع المجرمين .

قال الشيخ سيد قطب (١) : " والخطب الأمر الجلل والمصاب : فكأن الملك كان قد استقصى فعلم أمرهن قبل أن يواجههن ، وهو المعتاد فى مثل هذه الأحوال ، ليكون الملك على بينة من الأمر وظروفه قبل الخوض فيه . فهو يواجههن مقررًا الاتهام ، ومشيرًا إلى أمر لهن جلل . . .

ومن هذا نعلم شيئًا مما دار فى حفل الاستقبال فى بيت العزيز ، ما قالته النسوة ليوسف وما لَمَّحن به وأُشرن إليه ، من الإغراء الذى يبلغ درجة المراودة . ومن هذا نتخيل صورة لهذه الأوساط ونسائها حتى فى ذلك العهد الموغل فى التاريخ . فالجاهلية دائما هى الجاهلية . إنه حيثما كان الترف ، وكانت القصور والحاشية ، كان التحلل والتميع والفجور الناعم الذى يرتدى ثياب الأرستقراطية " أ . هـ .

وأمام هذه المواجهة التى واجههن بها الملك ، لم يملكن الإنكار ، بل قلن : ﴿ حاش لله ما علمن عليه من سوء ﴾ أى : معاذ الله . ما علمنا عليه سوءا يشينه ويسوءه لا قليلا ولا كثيرا ، وإنما الذى علمناه منه هو الإستعصام عن كل سوء . هكذا أنطقهن الله تعالى بالحق . وهنا تتقدم امرأة العزيز لتقول كل شئ فى صراحة ، وتشهد ليوسف شهادة إثبات .

(١) فى ظلال القرآن ١٢/٢٩٩٥ .

﴿ قالت امرأة العزيز الآن ححص الحق * أنا راودته عن نفسه
وإنه لمن الصادقين ﴾

قوله : ﴿ ححص ﴾ أى : ظهر بعد أن كان خفيا ؛ فمن من
شهدن بما علمن شهادة نفى ، وهانذا أشهد على نفسى شهادة إيجاب .
وهكذا يشاء الله تعالى أن تثبت براءة يوسف على رؤوس الأشهاد ،
تنطق بها النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، وامرأة العزيز .

قال الزمخشري (١) : " ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة
واعترافهن على أنفسهن بأنه لم يتعلق بشئ مما قرفته به لأنهن خصومة
وإذا أعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وهو على الباطل لم ييق
لأحد مقال "

وقوله : ﴿ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ﴾

فقد اختلفوا على قولين — كما قال الخازن (٢) —

أحدهما : أنه من قول المرأة ووجه هذا القول أن هذا كلام متصل بما
قبله وهو قول المرأة : ﴿ الآن ححص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه
لمن الصادقين ﴾ ، ثم قالت : ﴿ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ﴾ ،
والمعنى : ذلك ليعلم يوسف أنى لم أخنه فى حال غيبته وهو فى السجن ، ولم
أكذب عليه ، بل قلت : ﴿ أنا راودته عن نفسه * وإنه لمن الصادقين ﴾ ،
وإن كنت قد قلت فيه ما قلت فى حضرته ، ثم بالغت فى تأكيد هذا
القول فقالت : ﴿ وأن الله لا يهدى كيد الخائنين ﴾ يعنى : أنى لما

(١) تفسير الكشاف ٢/٢٦١ .

(٢) انظر تفسير الخازن ٢/٢٨٩ .

أقدمت على هذا الكيد والمكر لا جرم أنى افترضت ، لأن الله لا يرشد
ولا يوفق كيد الخائنين .

والقول الثانى: أنه من قول يوسف — عليه السلام — ، وهذا قول
الأكثرين من المفسرين والعلماء ، ووجه هذا القول أنه لا يبعد وصل
كلام إنسان بكلام إنسان آخر إذا دلت القرينة عليه ، فعلى هذا يكون
معنى الآية : أنه لما بلغ يوسف قول المرأة : ﴿ أنا راودته عن نفسه
وإنه لمن الصادقين ﴾ . قال يوسف ﴿ ذلك ٠٠ ﴾ أى : الذى فعلتُ
من ردى رسول الملك إليه ، ليعلم يعنى العزيز أنى لم أخنه فى زوجته
بالغيب يعنى فى حال غيبته ، فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول
اتصل بقول امرأة العزيز ﴿ أنا راودته عن نفسه ﴾ من غير تمييز بين
الكلامين لمعرفة السامعين لذلك ٠٠ ونظيره قوله تعالى ﴿ يريد أن
يخرجكم من أرضكم ﴾ ^(١) هذا من قول الملائكة ، (فماذا تأمرون) من
قول فرعون ، ومثله قوله تعالى : ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية
أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ ^(٢) هذا من قول بلقيس ،
﴿ وكذلك يفعلون ﴾ من قوله عز وجل تصديقا لها " ^(٣) . أ . هـ

ومما سبق يتبين لنا أن الخازن يرجح القول الثانى . كما ذهب
إليه الزمخشري فقال : " قوله : ﴿ ذلك ليعلم ﴾ من كلام يوسف ، أى :
ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ، ليعلم العزيز أنى لم أخنه بظهر

(١) سورة الأعراف من الآية ١١٠ .

(٢) سورة النمل من الآية ٣٤ .

(٣) تفسير الخازن ٢/٢٨٩ .

الغيب في حرمة ٠٠٠ . وليعلم ﴿ أن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾ لا ينفذه ولا يسدده وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها وبه في خيانتها أمانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ، ويجوز أن يكون تأكيدا لأمانته ، وأنه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده " (١) .

ولكني أميل إلى أن قوله ﴿ ذلك ليعلم أنى لم أخنه ٠٠ ﴾ من كلام امرأة العزيز ، لأن سياق الكلام : سباقه ولحاقه في غاية الإنسجام فلا يحتاج إلى تكلف للربط بينه وبين ما قبله ، ولا دليل يدل على أنه من كلام يوسف — عليه السلام — ، ولا سيما أنه بداية الكلام صراحة من امرأة العزيز كما نطق الحق ﴿ قالت امرأة العزيز ٠٠ ﴾ .

والمعنى : ذلك الذى قلته واعترفت به هو الحق ، ليعلم يوسف أنى لم أخنه في غيبته ، وأرميه بذنب هو برئ منه ، وإنما أقر وأعترف أمام الملك وحاشيته بأنه من الصادقين ..

وقد ذهب إلى هذا رأى الإمام ابن كثير فقد قال : ﴿ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ٠٠٠ ﴾ تقول : إنما اعترفت بهذا على نفسى ، ليعلم زوجى أنى لم أخنه بالغيب فى نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر ، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع فلهذا اعترفت ليعلم أنى بريئة " (٢)

وقال الشيخ ابن عاشور (٣) : " ظاهر نظم الكلام أن الجملة من قول امرأة العزيز ، وعلى ذلك حملة الأقل من المفسرين ، وعزاه ابن عطية إلى فرقة من أهل التأويل ، ونُسب إلى الجبائي ، واختاره الماوردى ،

(١) تفسير الزمخشري ٢/٢٦١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٤٦٣ .

(٣) فى تفسير التحرير والتوير المجلد السادس ص ٢٩٢ .

وهو فى موقع العلة لما تضمنته جملة ﴿ أنا راودته عن نفسه ﴾ وما عطف عليها من إقرار ببراءة يوسف - عليه السلام - بما كانت رمته به ، فالإشارة بذلك إلى الإقرار المستفاد من جملة ﴿ أنا راودته ﴾ أى ذلك الإقرار ليعلم يوسف عليه السلام أنى لم أخنه . كما أشار صاحب التفسير الوسيط ^(١) إلى أن هذا الرأى هو الجدير بالقبول وذلك :

لأنه هو المناسب لسياق الآيات من غير تكلف .

ولأنه لا يؤدى إلى تفكك الكلام وانقطاع بعضه عن بعض ، بخلاف الرأى الثانى الذى يرى أصحابه أن كلام امرأة العزيز قد انتهى عند قوله تعالى ﴿ وإنه لمن الصادقين ﴾ فإنه يؤدى إلى تفكك الكلام ، وعدم ارتباط بعضه ببعض .

كما أن وقائع التاريخ لا تؤيده ، لأن يوسف - عليه السلام - كان فى السجن عندما أحضر الملك النسوة وقال لهن : ﴿ ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ﴾ . وعندما قالت امرأة العزيز أمام الملك وأمامهن : ﴿ الآن حصحص الحق ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إن ربي غفور رحيم ﴾ أ . هـ

وعلى الجملة فقد أسفر التحقيق عن أن يوسف - عليه السلام - كان مثل الكمال الإنسانى فى عفته ونزاهته لم يمسه سوء من فتنة أولئك النسوة ، وأن امرأة العزيز أقرت

(١) الدكتور / سيد طنطاوى شيخ الأزهر المجلد السابع ص ٣٧٨ .

فى خاتمة المطاف بذنبها فى مجلس الملك ، إيثارا للحق
وإثباتا لبراءة يوسف - عليه السلام - ، وذلك لتتحقق سنة الله
تعالى فى الكون التى جرت على أن فنون الباطل وإن راجت
أوائها لا تلبث أن تنقشع قال تعالى : ﴿ بل نقذف بالحق على
الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ (١)

(١) سورة الأنبياء من الآية ١٨ .

النفس أمارة بالسوء

قال تعالى : ﴿ وَمَا أْبْرئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لِأْمَارَةً بِالسُّوءِ إِلا مآ رَحِمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

لقد اختلف العلماء فى تفسير هذه الآية مثلما اختلفوا فيما قبلها فمن قال : إن قوله ﴿ ذلك ليعلم أنى أخنه بالغيب ﴾ كلام يوسف كان هذا أيضا من كلام يوسف ، ومن قال : إن ﴿ ذلك يعلم . . ﴾ من تمام كلام امرأة العزيز كان هذا أيضا كذلك .

فالذين قالوا إنه من كلام يوسف تقولوا عليه بأقويل بندى لها الجبين لا تليق بالصالحين ، فما بالناس لو كانت على رسول كريم .

فالحشوية قالوا : " إنه عليه السلام لما قال ﴿ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ﴾ قال جبريل عليه السلام : ولا حين هممت بك سرأوبك فعند ذلك قال يوسف ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ أى بالزنا ﴿ إلا ما رحم ربي ﴾ أى عصم ربي ﴿ إن ربي غفور ﴾ اللهم الذى هممت به ﴿ رحيم ﴾ أى : لو فعلته لتاب على " (١) .

أيضا فقد أخرج ابن جرير الطبرى هذا القول عن ابن أبى الهزيل (٢) .

ولكنى أرى أن من قال إن قوله ﴿ وما أبرئ نفسي . . ﴾ من كلام يوسف فقد افترى افتراء عظيما على يوسف - عليه السلام - ،

(١) تفسير الفخر الرازى ١٥٦/١٨ .

(٢) تفسير ابن جرير ٣/١٣ .

فقد ظهرت براءته ظهور الشمس ، وأقرت بها المرأة التي ادعت عليه
الباطل ، ونزهته النسوة اللاتي قطعن أيديهن .

أما كونه من كلام امرأة العزيز ، فهو واقع على الحقيقة ، لأنها قد
أقرت بالذنب ، واعترفت بالمرادة وبالافتراء على يوسف .
كما أن ظاهر ترتيب الكلام أن هذا من كلامها ، حيث مضت فى
بقية إقرارها فقالت : ﴿ وما أبرئ نفسى ﴾ أى ما أبرئ نفسى من
محاولة هذا الإثم ، لأن النفس أمارة بالسوء ، وقد أمرتسى بالسوء ،
ولكنه لم يقع .

قال ابن كثير (١) : " وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق
القصة ومعانى الكلام " .

﴿ إلا ما رحم ربي ﴾ أى عصمه الله تعالى .

قال أبو حيان (٢) : " والظاهر أن ﴿ إلا ما رحم ربي ﴾ استثناء
متصل من قوله : لأمارة بالسوء ، لأنه أراد الجنس بقوله : إن النفس ،
فكانه قال : إلا النفس التى رجمها ربي فلا تأمر بالسوء ، فيكون استثناء
من الضمير المستكن فى أمارة .

ويجوز أن يكون مستثنى من مفعول أمارة المحذوف إذ التقدير :
لأمارة بالسوء صاحبها ، إلا الذى رحمه ربي فلا تأمره بالسوء .

وجوزوا أن يكون مستثنى من ظرف الزمان المفهوم عمومه من ما
قبل الإستثناء ، و " ما " ظرفية إذ التقدير : لأمارة بالسوء مدة بقائها إلا
وقت رحمة الله العبد وذهابه بها عن اشتها المعاصى .

(١) تفسير ابن كثير ٢/٤٦٣ .

(٢) البحر المحيط ٦/٢٨٩ - ٢٩٠ .

وجوزوا أن يكون استثناء منقطعاً ، و " ما " مصدرية . وذكر ابن عطية أنه قول الجمهور أى : ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة " . أ . هـ .

ثم ذُلت الآية بجملته : ﴿ إن ربي غفور رحيم ﴾ وهي تعليل لما قبلها ، فبينها وبين ما قبلها شبه كمال اتصال ؛ حيث أراد الله تعالى أن يختم القسم الأول الذي تعرض فيه يوسف عليه السلام لألوان من المحن والآلام ، بعضها من إخوته ، وبعضها من امرأة العزيز ، وبعضها في السجن . فهي ثناء على الله تعالى بأنه شديد المغفرة لمن أذنب ، وشديد الرحمة لعبده إذا أراد صرفه عن الذنب .

ومما سبق يتبين لنا بدلالة القرآن الكريم على براءة يوسف — عليه السلام — والذين شهدوا بذلك هم :

أولاً : يوسف — عليه السلام — : ﴿ قال هي راودتني عن نفسي ﴾ الآية ٢٦ وقوله : ﴿ قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ﴾ الآية ٣٣ .

ثانياً : اعتراف امرأة العزيز : ﴿ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ﴾ الآية ٣٢ وقوله : ﴿ قالت امرأة العزيز الآن ححص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾ الآية ٥١ . . .

ثالثاً : إقرار الزوج : ﴿ قال إنه من كيدكن عن كيدكن عظيم ﴾ الآية ٢٨ .

رابعاً : شهادة النسوة : ﴿ قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء ﴾
الآية ٥١ .

خامساً : الشاهد : ﴿ وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل
فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصابرين ﴾ الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

سادساً : شهادة الله تعالى : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه
من عبادنا المخلصين ﴾ الآية ٢٤ .

فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات :

أولها : قوله ﴿ لنصرف عنه السوء ﴾ واللام للتأكيد والمبالغة .

والثاني : قوله : ﴿ والفحشاء ﴾ أى كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء .

والثالث : قوله : ﴿ إنه من عبادنا ﴾ وقد قال تعالى ﴿ وعباد الرحمن
الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما ﴾

والرابع : قوله : ﴿ المخلصين ﴾ وقد سبق أن وضحناها فى
موضعها .

سابعاً : بيان ابليس وإقراره بطهارته لقوله : ﴿ فبعزتك لأغونهم
أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ . فكان هذا إقراراً من
ابليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريق الهدى .

تولية يوسف رئيسا لحكومة مصر ومهيمننا على ماليتها

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ اَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَا نُجْزِ الْأَخْرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾ .

بعد انتهاء التحقيق في أمر النسوة ، وظهر للملك براءة يوسف من كل سوء ونزاهة ساحتها عما نسبوه إليه ، طلب الملك إحضاره إليه من السجن ، ومن هنا يبدأ الحديث عن المرحلة الثانية من حياته — عليه السلام — ، وهي مرحلة الرخاء والعز والتمكين فقال تعالى :

﴿ وقال الملك ائتنوني به استخلصه لنفسى ... ﴾

قوله : ﴿ استخلصه ﴾ أى : أجعله خالصا لى وموضع تقى ، فى تصريف أمورى ، وكتمان أسرارى ، ولا يشاركه أحد فى إدارة ملكى . والسين والتاء فى قوله ﴿ استخلصه ﴾ للمبالغة فى الخلوص له . وقد جرت عادة الملوك أن يجعلوا الأشياء النفيسة خالصة لهم دون غيرهم . فكان الملك قد شبه يوسف — عليه السلام — بالشئ النفيس النادر الذى يجب أن يستأثر به الملك دون ان يشاركه فيه أحد .

قوله : ﴿ فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾

والظاهر أن الفاعل فى " كلمه " هو ضمير الملك أى : فلما كلمه الملك ورأى حسن جوابه ومحاورته . ويحتمل أن يكون الفاعل ضمير يوسف أى : فلما كلم يوسف الملك ، ورأى الملك حسن منطقه قال له :

﴿ إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾

المراد باليوم : الزمان الذى حدث فيه التخاطب بين الملك ويوسف والمكين : صفة مشبهة من مكن - بضم الكاف - إذا صار ذا مكانة ، وهى المرتبة العظيمة .

والأمين : فعيل بمعنى مفعول ، أى : مأمون على شئ . موثوق به فى حفظه .

والمعنى : لما كلمه وسمع ما أجاب به ، قال له الملك : إنك منذ اليوم عندنا ذو مكانة سامية ، ومنزلة عالية ، وأمانة تامة يجعلنا نأتمنك على كل شئ فى هذه المملكة ، فأنت غير منازع فى تصرفك ، ولا متهم فى أمانتك .

وترتب هذا القول على تكليمه إياه دال على أن يوسف - عليه السلام - كلم الملك كلاما حكيما ، فلما رأى الملك حسن منطقه وبلاغة قوله وأصالة رأيه رآه أهلا لتقته وتقريبه منه .

وفى هذا إيماء إلى أن الحوار بين المتخاطبين يُظهر معارف الإنسان وأخلاقه وآدابه وجميع شمائله ، فيقدره من يعرف أقدار الرجال ويزنهم بفضائلهم ومزايهم .

قال الشيخ محمد بن عاشور (١) : " فى قوله : ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ هذه صيغة تولية جامعة لكل ما يحتاج إليه ولى الأمر من الخصال ، لأن المكانة تقتضى العلم والقدرة ، إذ بالعلم يتمكن من معرفة الخير والقصد إليه ، وبالقدرة يستطيع فعل ما يبدو له من الخير والقصد إليه ؛ والأمانة تستدعى الحكمة والعدالة ، إذ بالحكمة يوثر الأفعال الصالحة ويترك الشهوات الباطلة ، وبالعدالة يوصل الحقوق إلى أهلها . وهذا التنويه بشأنه والثناء عليه تعريض بأنه يريد الإستعانة به فى أمور مملكته وبأن يقترح عليه ما يرجو من خير . . . "

وهنا طلب يوسف — عليه السلام — من الملك بعزة وإباء أن يجعله فى الوظيفة التى يحسن القيام بأعبائها ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾

الخزائن : جمع خزانة — بكسر الخاء — وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشئ ، والمراد بالأرض : أرض مصر .
أى : قال يوسف — عليه السلام — للملك : ولئى خزائن أرضك كلها ، واجعلنى مشرفا عليها ، لأنقذ البلاد من مجاعة مقبلة عليها تهلك الحرث والنسل .

قال الشيخ محمد بن عاشور (٢) : " واقترح يوسف — عليه السلام — ذلك إعداد لنفسه للقيام بمصالح الأمة على سنة أهل الفضل والكمال من ارتياح نفوسهم للعمل فى المصالح ، ولذلك لم يسأل مالا لنفسه ولا

(١) تفسير التحرير والتنوير المجلد السابع ج ١٢ ص ٨ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير المجلد السابع ج ١٢ ص ٨ .

عرضاً من متاع الدنيا ، ولكنه سأل أن يوليه خزائن المملكة ليحفظ
الأموال ويعدل في توزيعها ويرفق بالأمة في جمعها وإبلاغها لمحالها .
وقد علل طلبه ذلك بقوله ﴿ إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ ﴾ صفة الحفظ المحقق
للإتقان ، وصفة العلم المحقق للمكانة " أ . هـ

قال الزمخشري (١) : " وصف يوسف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين
هما طلبية الملوك ممن يولونه ، وإنما قال ذلك ليتوضّل إلى إمضاء
أحكام الله تعالى وإقامة الحق وبسط العدل والتّمكّن مما لأجله تبعث
الأنبياء إلى العباد ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب
التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا " أ . هـ

ومن هذه الآية أخذ فقهاء المذهب جواز طلب القضاء لمن يعلم أنه
أهل ، وأنه إن لم يؤلّ ضاعت الحقوق .

قال القرطبي (٢) : " ودلت الآية على جواز أن يطلب الإنسان عملاً
يكون له أهلاً ؛ فإن قيل : فقد روى عن عبد الرحمن بن سمرة قال :
قال لي رسول الله ﷺ : " يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن
أعطيتها عن مسألة وكُنتَ إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت
عليها " (٣) .

وعن أبي برزة عن أبي موسى قال : أقبلت إلى النبي ﷺ ومعى
رجلان من الأشعريين أحدهما عن يميني والآخر عن يساري فكلامهما

(١) تفسير الزمخشري ٢/٢٦٣ .

(٢) تفسير القرطبي ٩/١٤١-١٤٢ بتصرف .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الإمارة باب النهي عن طلب الإمارة
والحرص عليها ١٢/٢٠٦-٢٠٧ شرح النووي .

سأل العمل والنبى ﷺ يستاك فقال : " ما تقول يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس . قال : فقلت : والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما فى أنفسهما وما شعرت أنهما يطلبان العمل . قال : وكأنى أنظر إلى سواكه تحت شفتيه وقد قلصت . فقال : " لن أو لا نستعمل على عملنا من أراده . . . " (١) .

فالجواب :

أولاً : أن يوسف — عليه السلام — إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه فى العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم ، فرأى أن ذلك فرض متعين عليه فإنه لم يكن هناك غيره ، وهكذا الحكم اليوم ، لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق فى القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه ، ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك ، ويخبر بصفاته التى يستحقها به من العلم والكفاية وغير ذلك

الثانى : أنه لم يقل : إبنى حسيب كريم ، وإن كان كما قال النبى ﷺ : " :

الكريم بن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم . ولا قال : إبنى جميل مليح ، إنما قال : ﴿ إبنى حفيظ عليم ﴾ فسألها بالحفظ والعلم ، لا بالنسب والجمال .

الثالث : إنما قال ذلك عند من لا يعرفه فأراد تعريف نفسه ، وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ .

(١) أخرجه مسلم كتاب الأمانة ٢٠٧/١٢ — ٢٠٨ شرح النووى .

ومعنى قلص : أى : انزوى وذهب . لسان العرب ٧٩/٧ .

الرابع : أنه رأى ذلك فرضا متعينا عليه ؛ لأنه لم يكن هنالك غيره ،

وهو الأظهر ، والله أعلم " انتهى بتصريف ،

وقال ابن عاشور (١) : " وهذه الآية أصل لوجوب عرض المرء

نفسه لولاية عمل من أمور الأمة إذا علم أنه لا يصلح له غيره ، لأن

ذلك من النصح للأمة ، وخاصة إذا لم يكن ممن يتهم على إثثار منفعة

نفسه على مصلحة الأمة . وقد علم يوسف - عليه السلام - أنه أفضل

الناس هنالك لأنه كان المؤمن الوحيد في ذلك القطر . . " أ . هـ

والخلاصة : أن يوسف - عليه السلام - إنما طلب ما طلب من

الملك ليس من أجل مصلحة شخصية ، بل من أجل خدمة الأمة

ومصلحتها ، وما وصف به نفسه ليس من باب تزكية النفس

المحظورة ، بل من باب التحدث بنعمة الله تعالى الذي أعطاه هذه

الصفات .

ثم بين سبحانه سنته في خلقه ، حيث لا يضيع أجر الصابرين

المحسنين فقال جل ذكره :

﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ٠٠٠ ﴾ أي : ومثل هذا الإنعام

الذي أنعمنا عليه في انجائه من السجن ، وتقريبه إلى قلب الملك مكنا له

في أرض مصر ، حتى أصبح الأمر الناهي . وما ذلك إلا من صبره

وجلده وقوة تحمله الشدائد ، ومن أمانته وعفته وخلقه ودينه ، وحسن

تدبيره للأمور ؛ لهذا كانت رعاية الله له في كل طور من أطوار حياته

﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ (٢) .

(١) تفسير تحرير التنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور مجلد ٧ ج ١٢ ص ٩ .

(٢) سورة الحج من الآية ٣٨ .

وقوله : ﴿ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ تفصيل للتمكين الذي منحه الله تعالى ليوسف في أرض مصر .

والتبوء : النزول والإقامة . يقال تبوأ منزلا أى : نزله وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبِعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ جعل الإيمان محلا لهم على المثل ، وقد يكون أراد وتبأوا مكان الإيمان وبلد الإيمان ، فحذف ، وتبأوا المكان : حله (١)

وقوله : ﴿ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ كناية عن تصرفه فى جميع مملكة مصر ، فهو عند حلوله بمكان من المملكة لو شاء أن يحل بغيره لفعل دون أن يمنعه مانع من الحلول فى أى مكان فيها ، كما يتصرف ويتنقل الرجل فى منزله الخاص .

وقوله : ﴿ نَصِيبٌ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا جِرَّ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ بيان لكمال قدرته ونفاذ إرادته سبحانه .

وهو تذييل لبيان ما أصاب يوسف — عليه السلام — من الرحمة فى أحواله فى الدنيا ، جزاء لصبره وعاقبة لفعله ، لقد صبر صبورا كثيرا على إخوته ، وعلى كيد امرأة العزيز له ، وعلى كيد النسوة ، وعلى أذى السجن وما فيه ، والله لا يضيع أجر المحسنين الذين أحسنوا العمل . ولأجره فى الآخرة خير من ذلك له ولكل من آمن واتقى .

(١) لسان العرب ٣٩/١ .

قال أبو حيان (١) : " وفي الآية إشارة إلى أن حال يوسف في
الآخرة خير من حالته العظيمة في الدنيا "
ومن جمال التعبير القرآني في قوله ﴿ . . خير للذين آمنوا
وكانوا يتقون ﴾ أن عبر في جانب الإيمان بصيغة الماضي ، وفي
جانب التقوى بصيغة المضارع ؛ لأن الإيمان عقد القلب الجازم فهو
حاصل دفعة واحدة وأما التقوى فهي متجددة بتجدد أسباب الأمر
والنهى واختلاف الأعمال والأزمان .

(١) تفسير البحر المحيط ٦/٢٩٢ .

اللقاء الأول بين يوسف وإخوته وطلبه أن يحضروا أخيه من أبيهم

قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَاتَنَا نَكَتْلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَنَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦) ﴾ .

انتقلت السورة بنا مباشرة بعد حديثها عن تمكين الله تعالى ليوسف عليه السلام — في الأرض إلى الحديث عن لقاء يوسف بإخوته و عما دار بينه وبينهم من محاورات ، وعن إكرامه لهم .

قال الفخر الرازي (١) : " اعلم أنه لما عم القحط في البلاد ، ووصل أيضا إلى البلدة التي كان يسكنها يعقوب — عليه السلام — وصعب

(١) تفسير الفخر الرازي ١٨/١٦٥ .

الزمان عليهم فقال لبيه إن بمصر رجلا صالحا يمير الناس فاذهبوا إليه
 بدهمكم وخذوا الطعام فخرجوا إليه وهم عشرة ودخلوا على يوسف —
 عليه السلام — وصارت هذه الواقعة كالسبب في اجتماع يوسف — عليه
 السلام — مع إخوته وظهور صدق ما أخبر الله تعالى عنه في قوله
 ليوسف حال ما ألقوه في الجب : ﴿ لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا
 يشعرون ﴾ وكان مجيئهم في السنة الثانية من سنى القحط . وإنما جاء
 إخوته عدا بنيامين لصغره ، وإنما رحلوا للميرة كلهم . لأن التزويد من
 الطعام كان بتقدير يراعى فيه عدد الممتارين وأيضا ليكونوا جماعة لا
 يطمع فيهم قطاع الطريق (١) .

وعرف يوسف — عليه السلام — إخوته بعد مضي سنين على
 فراقهم لقوة فراسته وذكائه دونهم .

وجملة ﴿ وهم له منكرون ﴾ عطف على جملة ﴿ فعرفهم ﴾ .
 ووقع الإخبار عنهم بالجملة الأسمية للدلالة على أن عدم معرفتهم به أمر
 ثابت متمكن منهم ، وكان الإخبار عن معرفته إياهم بالجملة الفعلية
 المفيدة للتجدد للدلالة على أن معرفته إياهم حصلت بحدثان رؤيته إياهم
 دون توسم وتأمل .

قال الزمخشري (٢) : " لم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم إياهم فى
 سن الحداثة ، ولا اعتقادهم أنه قد هلك ولذهابه عن أوامهم لقلّة فكرهم
 فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التى بلغها من الملك والسلطان عن حاله
 التى فارقه عليها طريحا فى البئر مشريا بدارهم معدودة حتى لو تخيل

(١) تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد عاشور مجلد ٧ ج ١٢ ص ١٢ .

(٢) تفسير الزمخشري ٢/٢٦٤ .

لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم ولأن الملك مما يبذل الزى ويلبس صاحبه من التهييب والإستعظام ما ينكر له المعروف . وقيل : رأوه على زى فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير فى عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم أنه هو . وقيل : ما رأوه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا إلا حيث يقف طلاب الحوائج وإنما عرفهم لأنه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم إذ ذاك ، ولأن همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن " أ . هـ . وقال الدكتور / سيد طنطاوى ^(١) : " ويؤخذ من هذه الآية الكريمة أن المجاعة التى حدثت فى السبع السنين الشداد شملت مصر وما جاورها من البلاد .

كما يؤخذ منها أن مصر كانت محط أنظار المعسرین من مختلف البلاد بفضل حسن تدبير يوسف — عليه السلام — وأخذه الأمور بالعدالة والرحمة وسهره على مصالح الناس ، ومراقبته لشئون بيع الطعام ، وعدم الاعتماد على غيره حتى إن إخوته قد دخلوا عليه وحده ، دون غيره من المسؤولين فى مصر " أ . هـ . قلت : ودخولهم عليه يدل على أنه كان يراقب أمر بيع الطعام بحضوره ، خشية إضاعة الأقوات لأن بها حياة الأمة .

ويستفاد من ذلك أنه على كل مسؤل أن يراقب بنفسه العمل الذى وكل إليه واسترعى عليه ، ليسود الأمن والأمان والخير والرخاء . قوله ﴿ ولما جهزهم بجهازهم قال اتنوني بأخ لكم من أبيكم ﴾

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم مجلد ٧ ص ٣٨٤ .

أصل الجهاز - بفتح الجيم وكسرها - : ما يحتاج إليه المسافر من زاد ومتاع ، يقال : جهزت المسافر ، أى : هيأت له جهازه الذى يحتاج إليه فى سفره ، ومنه جهاز العروس وهو ما تزف به إلى زوجها ، وجهاز الميت وهو ما يحتاج إليه فى دفنه .

والمعنى : أن يوسف - عليه السلام - بعد أن دخل عليه إخوته وعرفهم ، أكرم وفادتهم ، وهيا لهم كل ما يحتاجون من طعام وغيره .
أما قوله لهم : ﴿ انتونى بأخ لكم من أبيكم ﴾ يستلزم أن حديثا نشأ بينه وبينهم عرف منه أن لهم أبا من أبيهم لم يحضر معهم .

قال أبو حيان (١) : " روى أنه لما عرفهم أراد أن يخبروه بجميع أمرهم ، فباحثهم بأن قال لهم ترجمانه : أظنكم جواسيس ، فاحتاجوا إلى التعريف بأنفسهم فقالوا : نحن أبناء رجل صديق ، وكنا اثنى عشر ، ذهب من واحد فى البرية ، وبقي أصغرنا عند أبينا ، وجئنا نحن للميرة ، وسقنا بعير الباقي منا وكانوا عشرة ولهم أحد عشر بعيرا .
فقال لهم يوسف : ولم تخلف أحدكم ؟ قالوا لمحبة أبينا فيه قال فأتونى بهذا الأخ حتى أعلم حقيقة قولكم ، وأرى لم أحبه أبوكم أكثر منكم إن كنتم صادقين ؟ " أ . هـ

ونكر " أخ " ولم يقل " بأخيك " مبالغة فى كونه لا يريد أن يتعرف لهم ، ولا أنه يدري من هو .

وقوله : ﴿ من أبيكم ﴾ حال من ﴿ أخ لكم ﴾ أى : أخ لكم حالة كونه من أبيكم وليس من أمكم ، أى : ليس بشقيق .

(١) فى البحر المحيط ٢٩٣/٦ .

وهذا أيضا من باب المبالغة في عدم إرادته في الكشف

لهم عن نفسه ، حتى كأنه لا معرفة له بهم .

ثم ذكر ما يحرضهم به على الإتيان بأخيهم فقال :

﴿ ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين ﴾

ترغيب واستمالة لهم في العود إليه ومعهم أخيهم " بنيامين "

أى : ألا ترون أنى أوفى الكيل لكم ولا أبخس منه شيئا

وأزيدكم حمل بعير آخر لأجل أخيكم .

وجملة ﴿ وأنا خير المنزلين ﴾ حالية أى : والحال أنى

خير المضيفين ، وقد شاهدوا ذلك بأنفسهم ، لأنه أحسن

ضيافتهم مدة إقامتهم عنده .

قال الفخر الرازى (١) : " هذا الكلام يضعف قول من يقول من

المفسرين إنه اتهمهم ونسبهم إلى أنهم جواسيس ومن يشافهم بهذا

الكلام فلا يليق بهم أن يقول لهم ﴿ ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا

خير المنزلين ﴾ ، وأيضا يبعد من يوسف - عليه السلام - مع

كونه صديقا أن يقول لهم أنتم جواسيس وعيون ، مع أنه يعرف

براعتهم عن هذه التهمة ، لأن البهتان لا يليق بحال الصديق "

ثم اتبع هذا الترغيب بالترهيب فقال : ﴿ فإن لم تأتوني به فلا كيل

لكم عندي ولا تقرّبون ﴾

أى : فإن لم تأتوني بأخيكم في لقاءكم القادم معى ، فإنى لن أبيعكم

شيئا مما تريدون من الأطعمة وغيرها ، فضلا عن ذلك فلا ترجعون

(١) تفسير الفخر الرازى ١٨/١٦٧ .

ولا تقربوا بلادى . وهذا هو نهاية التخويف والترهيب لأنهم كانوا محتاجين إلى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله إلا من عنده فعند ذلك قالوا :

﴿ سناود عنه أباه وإنما له لفاعلون ﴾ أى : سنجتهد ونحتال بكلى حيلة ، ونخادعه بكل خدعة حتى يسلم لنا بنيامين ، وإنما لفاعلون هذه المرادة ، والغرض من التكرير التأكيد .

وقال الدكتور / سيد طنطاوى ^(١) : " وقولهم هذا يدل دلالة واضحة على أنهم كانوا يشعرون بأن إحضار أخيهم لأبيهم معهم ليس أمرا سهلا أو ميسورا ، وإنما يحتاج إلى جهد كبير مع أبيهم حتى يقنعوه بإرساله معهم "

ثم بين سبحانه ما فعله يوسف مع إخوته وهم على وشك الرحيل فقال :

﴿ وقال لفتياته اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها إذا اتقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون ﴾

الفتيان : جمع فتى ، وهو من كان فى مبدأ الشباب ويطلق على الخادم تطفأ .

والمراد بالبضاعة هنا هى التى وصلوا بها من بلادهم ليشتروا بها الطعام وكانت نعالا وجلودا .

والرحال : جمع رحل وهو ما يوضع على البعير من متاع الراكب .

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم المجلد ٧/٣٨٦ .

والمعنى : وقال يوسف — عليه السلام — لفتيانه الكياليين : اجعلوا بضاعتهم التى اشتروا بها الطعام فى أمتعتهم ، وافعلوا ذلك دون أن يشعروا بكم .

وقوله : ﴿ لعلمهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم ﴾ تعليلا لأمر فتياناه بجعل البضاعة فى رحال إخوته . إذ أن معرفتهم بأن بضاعتهم قد ردت إليهم لا تتم إلا بعد رجوعهم وتفريغهم إياها .

وقوله : ﴿ لعلمهم يرجعون ﴾ جواب للأمر .

قال الفخر الرازى ^(١) : " اختلف المفسرون فى السبب الذى لأجله

أمر يوسف بوضع بضاعتهم فى رحالهم على وجوه :

الأول : أنهم متى فتحوا المتاع فوجدوا بضاعتهم فيه ، علموا أن ذلك كان كرما من يوسف وسخاء محضا فيبعثهم ذلك على العود إليه والحرص على معاملته .

الثانى : خاف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى .

الثالث : أراد به التوسعة على أبيه ، لأن الزمان كان زمان القحط .

الرابع : رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته مع شدة حاجتهم إلى الطعام لؤم .

الخامس : قال الفراء : إنهم متى شاهدوا بضاعتهم فى رحالهم . وقع فى قلوبهم أنهم وضعوا تلك البضاعة فى رحالهم على سبيل السهو وهم أنبياء وأولاد الأنبياء فرجعوا ليعرفوا السبب فيه ، أو رجعوا ليردوا المال إلى مالكة .

(١) تفسير الفخر الرازى ١٨/١٦٨ — ١٦٩ .

السادس : أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم به عيب ولا منة .
السابع : مقصوده أن يعرفوا أنه لا يطلب ذلك الأخ لأجل الإيذاء
والظلم ولا لطلب زيادة فى الثمن .

الثامن : أن يعرف أبوه أنه أكرمهم وطلبه له لمزيد الإكرام فلا يتقل
على أبيه ارسال أخيه .

التاسع : أراد أن يكون ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان ، وكان
يخاف اللصوص من قطع الطريق . فوضع تلك الدراهم -
يعنى الفخر الرازى أن البضاعة كانت دراهم - فى رحالهم
حتى تبقى مخفية إلى أن يصلوا إلى أبيهم .

العاشر : أراد أن يقابل مبالغتهم فى الإساءة بمبالغته فى الإحسان إليهم .
وإلى هنا تكون السورة الكريمة قد حدثتنا عما دار بين يوسف
وإخوته بعد أن دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ، وبعد أن طلب
منهم أن يعودوا ومعهم أخوهم لأبيهم ٠٠ فماذا كان بعد ذلك ؟

لقد حكى لنا السورة ما دار بين إخوة يوسف وبين أبيهم من
محاورات طلبوا منه أن يأذن لهم فى اصطحاب " بنيامين " معهم فى
رحلتهم القادمة إلى مصر ، كما حكى ما رد به أبوهم عليهم قال تعالى :

﴿ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل
معنا أخانا نكتل وإنما له لحاظون ﴾ .

المراد بالكيل : الطعام المكيل الذى هم فى حاجة إليه .

ومعنى ﴿ منع منا الكيل ﴾ حيل بيننا وبين الكيل فى المستقبل .

فلا كيل بعد هذه المرة إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين . فالممنوع
هو ابتداء الكيل منهم .

وقرأ حمزه والكسائي " فأرسل معنا أخانا يكتل " — بالياء — ،
لهذا قال الفخر الرازي ^(١) ما ملخصه : " إذا كان بالياء تقوى القول :
أنهم لما طلبوا الطعام لأبيهم وللأخ الباقي عنده منعوا منه ، فقولهم
﴿ منع منا الكيل ﴾ إشارة إليه "

ولكن هذا لا يلزم ، لأن الكلام لا يخلوا من أحد وجهين :
أن يكون المعنى : فأرسل أخانا يكتل معنا ، فيكون للجميع .
أو يكون المعنى : أنهم منعوا جميعا من الكيل إن لم يحضر معهم
أخيهم .

وهذا هو المراد ، لأنه — عليه السلام — قال لهم : ﴿ إن لم تأتونى به
فلا كيل لكم عندى ولا تقربون ﴾ ثم أكدوا لأبيهم حفظهم له فقالوا :
﴿ وإنا له لحافظون ﴾ أى : قالوا : لا تخف عليه سنرده إليك ،
وأكدوا حفظه بالجملة الاسمية الدالة على الثبات وبحرف التوكيد .

ولكن قولهم هذا حرك الأحران والآلام فى نفس يعقوب — عليه
السلام — لأنه تذكر ما قالوه فى شأن يوسف ، قالوا مثل ذلك :
﴿ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ﴾
لذا رد عليهم فى استنكار بقوله :

﴿ قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل . . ﴾
يعنى كيف آمنكم على ولدى بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم وإنكم
ذكرتم مثل هذا الكلام فى يوسف وضمنتم لى حفظه وقلتم وإنا له لحافظون .
فلما لم يحصل الأمان والحفظ هنالك فكيف يحصل هاهنا . فالإستفهام إنكارى
فيه معنى النفى .

(١) تفسير الفخر الرازي ١٦٩/١٨ .

ثم قال : ﴿ فإله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ﴾

قال الشوكاني (١) : " لعل هذا إضمارا . والتقدير : فتوكل يعقوب

على الله ودفعه إليهم ، وقال : فإله خير حافظا . . . ومعنى الآية : أن حفظ الله إياه خير من حفظهم له ، لما وكل يعقوب حفظه إلى الله سبحانه حفظه وأرجعه إليه . ولما قال في يوسف ﴿ وأخاف أن يأكله الذئب ﴾ وقع له الإمتحان ما وقع . "

قال كعب الأخبار : " لما قال يعقوب : ﴿ فإله خير حافظا ﴾ قال

الله تعالى : وعزتي وجلالى لأردن عليك ابنيك كليهما بعد ما توكلت على " (٢) .

قرأ أهل المدينة " حفظا " وهو منصوب على التمييز ، وهى قراءة أبى عمرو وعاصم وابن عامر . وقرأ سائر الكوفيين " حافظا " وهو منصوب على الحال .

وبعد أن طلب من الله الحفظ لولده طلب منه سبحانه الرحمة به

فقال : ﴿ وهو أرحم والراحمين ﴾ أى فأرجوا الله أن يرحمنى بحفظه ولا يجمع على مصيبتين .

" لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين "

الظاهر من قول يعقوب — عليه السلام — ﴿ فإله خير حافظا وهو

أرحم الراحمين ﴾ موافقة على إرسال " بنيامين " مع إخوته ، وبقية القصة تؤكد ذلك . ولكنى أتساءل لم بعثه معهم ؟ وقد شاهد ما شاهد ،

(١) فى فتح القدير ٣/٣٨-٣٩ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ٩/١٤٧ .

وحسرة يوسف ما زالت تحرق قلبه ، فكان عليه أن يحذرهم ويخفف
سوء العاقبة . كما تذكرت حديث رسول الله ﷺ : " لا يلدغ مؤمن من
جحر واحد مرتين " (١) أنا لا أشك في إيمان سيدنا يعقوب ، ولكن
أرى : أن الحلم ليس محمودا مطلقا .

وقد أجاب على ذلك الإمام الخازن (٢) فقال :- " وإنما أرسله معهم
وقد شاهد ما فعلوا بيوسف ، لأنه لم يشاهد بينهم وبين بنيامين من الغفلة
والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف .

أو أن يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فأرسله معهم
أو أن شدة القحط وضيق الوقت أوجه إلى ذلك " .
قلت : بالإضافة إلى ما سبق ، لعل الله تعالى أوحى إليه وظلمه
حفظه وإيصاله إليه .

وبعد ما أخذ أبناء يعقوب - عليه السلام - الموافقة من أبيهم
عن طريق التلميح بإمكانية إرساله معهم وذلك من قوله ﴿ والله خير
حافظا ٠٠٠ ﴾ ، اتجهوا إلى أمتعتهم ليخرجوا ما بها من زاد حملوه
من مصر ، فكانت المفاجأة التي حكاها القرآن الكريم في قوله تعالى :
﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم ٠٠ ﴾
أي : وحين فتحوا أوعيتهم التي بداخلها الطعام الذي اشتروه من
عزيز مصر وجدوا بضاعتهم التي كانوا قد أعطوها ثمنا للطعام قد
ردت إليهم ، فدهشوا وقالوا لأبيهم :

جاءت قائلين

(١) أخرجه البخارى في صحيحه . كتاب الأدب . باب لا يلدغ مؤمن من جحر

مرتين ١٤٦/١٣ - ١٤٧ من الفتح .

ن لا يلدغ مؤمنا

(٢) تفسير الخازن ٢٩٧/٢ .

﴿ يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ﴾ " ما " فى قوله

﴿ ما نبغى ﴾ : يجوز أن تكون " ما " للإستفهام الإنكارى .

والمعنى : لما رأوا أنه رد إليهم بضاعتهم قالوا : ما نبغى بعد هذا ،

أى : أعطانا الطعام ، ثم رد علينا ثمن الطعام على أحسن الوجوه ، فأى

شئ نبغى وراء ذلك ؟

وجوز كون " ما " نافية ، والمعنى : لا نبغى شيئاً آخر ، هذه

بضاعتنا ردت إلينا ، فهى كافية لثمن الطعام فى الذهاب البثانى .

وعلى هذا فالمعنى واحد فى الحالتين ، لأن الاستفهام الإنكارى فى

معنى النفى .

وجملة : ﴿ ونمير أهلنا ﴾ معطوف على محذوف يفهم من الكلام

أى : هذه بضاعتنا ردت إلينا فننتفع ونستعين بها فى معاشنا ونمير أهلنا

أى نأتيهم بالميرة .

والميرة : بكسر الميم وسكون الياء — هى الطعام المجلوب الذى

يؤتى به من مكان إلى آخر .

﴿ ونحفظ أخانا ﴾ مما تخاف عليه حتى نرده إليك . وهى معطوفة

على قوله ﴿ ونمير أهلنا ﴾

﴿ ونزداد كيل بعير ﴾ أى : ويعطينا العزيز حمل بعير من الزواد ،

زيادة على هذه المرة ، لأجل أخينا .

وجملة ﴿ ونزداد كيل بعير ﴾ دليل على حرصهم على سلامة

أخيهم لأن فى سلامته فائدة لهم بازدياد كيل بعير .

قال الشيخ سيد قطب (١) : " ويبدو من قولهم " ونزداد
كيل بعير " أن يوسف - عليه السلام - كان يعطى كل
واحد وسق بعير - وهو قدر معروف ولم يكن يبيع كل
مشتري ما يريد ، وكان ذلك من الحكمة فى سنوات الجذب ،
كى يظل هناك قوت للجميع " أ . هـ —

فهذه الجمل مرتبة ترتيبا بديعا ؛ لأن بعضها متولد عن بعض .
وجملة ﴿ ذلك كيل يسير ﴾ استثنائية وقعت تعليلا لما سبق .

والإشارة ﴿ ذلك ﴾ إلى الطعام الذى فى متاعهم أى : ذلك الطعام
الذى أعطانا إياه عزيز مصر طعام يسير ، لا يكفينا إلا لمدة قليلة من
الزمان ، ويجب ان نعود مرة أخرى إلى مصر لنأتى بطعام آخر .

قال الدكتور / سيد طنطاوى (٢) : " وفى هذه الجمل المتعددة التى
حكاها القرآن عنهم ، تحريض واضح منهم لأبيهم على أن يسمح لهم
باصطحاب " بنيامين " معهم فى رحلتهم القادمة إلى مصر .

ومن مظاهر هذا التحريض : مدحهم لعزيز مصر الذى
رد لهم أثمان مشترياتهم ، وحاجاتهم الملحة إلى استجلاب
طعام جديد ، وتعهدهم بحفظ أخيهم وازدياد الأطعمة بسبب
وجوده معهم " . أ . هـ —

(١) فى ظلال القرآن ٢٠١٧/١٣ .

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر شيخ الأزهر د / سيد طنطاوى
مجلد ٧/٣٩٠-٣٩١ .

أخذ سيدنا يعقوب العهد على أبناءه ليعطيهم " بنيامين "

لما استجاب سيدنا يعقوب — عليه السلام — لأبنائه بأن يرسل معهم " بنيامين " اشترط لهذه الاستجابة بأن يعطوه عهدا مؤكدا بإشهاد الله وقسمه ليرجعن ابنه له ٠٠٠ وقد حكى القرآن الكريم هذا في قوله تعالى :

﴿ قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به إلا أن يحاط بكم ﴾

لقد جاءت ألفاظ القرآن الكريم موافقة لما كانت عليه عادات العرب في الجاهلية ، وذلك في قوله ﴿ تؤتون ﴾ ، قال الشيخ ابن عاشور (١) : " ولعل سبب إطلاق فعل الإعطاء ، أن الحالف كان في العصور القديمة يغطي المحلوف له شيئا تذكرة لليمين مثل سوطه أو خاتمه ، أو أنهم كانوا يضعون عند صاحب الحق ضمانا يكون رهينة عنده " والموثق : العهد الموثق باليمين ، وجمعه موثيق .

وسمى الحلف بالله — تعالى — موثقا ، لأنه مما يؤكد به العهود وتقوى وقد أذن الله — تعالى — بذلك عند وجود ما يقتضى الحلف به سبحانه .

و ﴿ من الله ﴾ صفة ل ﴿ موثقا ﴾ ، و ﴿ من ﴾ للإبتداء ، أى : موثقا صادرا من الله تعالى .

ومعنى ذلك : أن يجعلوا الله شاهدا عليهم فيما وعدوا به بأن يحلفوا بالله فتصير شهادة الله عليهم كتوثق صادر من الله تعالى بهذا الاعتبار . وذلك أن

(١) تفسير التحرير والتنوير المجلد السابع ج ١٣ ص ١٨ .

يقولوا : لك ميثاق الله أو عهد الله أو نحو ذلك ، وبهذا يضاف الميثاق إلى اسم الجلالة كأن الحالف استودع الله ما به التوثق للمحطوف له .

وجملة : ﴿ لتأتني به ﴾ جواب لقسم محذوف دل عليه " موثقا " .

ومعنى : ﴿ يحاط بكم ﴾ يحيط بكم مُحيط . والإحاطة : الأخذ

بأسر أو هلاك مما هو خارج عن قدرتهم .

والإستثناء فى ﴿ إلا أن يحاط بكم ﴾ استثناء من عموم الأحوال

والتقدير : لن أرسله معكم حتى تحلفوا بالله وتقولوا : والله لناأتينك

به معنا عند عودتنا ، فى جميع الأحوال والظروف إلا فى حال

هلاكم أو فى حال عجزكم التام عن مدافعة أمر حال بينكم وبين

الإتيان به معكم .

وقوله : ﴿ فلما أتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل ﴾ أى :

فلما أعطى الأبناء أباهم العهد الموثق باليمين الذى اشترطه عليهم ،

قال : الله شهيد على ما قاله واشترطه ، وعلى ما أجابوه به : أى :

إنه سبحانه رقيب عليه وأمره موكل إليه ، فهو الذى يوفق للوفاء

بالوعد والصدق فيما أعطوه من عهد .

وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه الذاهبين إلى مصر

لم يترك يعقوب - عليه السلام - أبناءه الذاهبين إلى مصر بدون وصية . وهذا شأن الآباء دائما يزودوا أبناءهم بتجاربههم ونصائحهم - فكانت وصيته لهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد ولكن يدخلوها من أبواب متفرقة ، حتى لا يحسدوهم حاسد أو يكيد لهم كائد فيحل بهم مكروه .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨) ﴾ .

قوله ﴿ وقال يا بني ﴾ معطوف على جملة ﴿ قال الله على ما نقول وكيل ﴾ وإعادة فعل ﴿ قال ﴾ للإشارة إلى اختلاف زمن القولين ، فقوله ﴿ يا بني لا تدخلوا من باب واحد ﴾ صادر في وقت إزماعهم الرحيل .

والأبواب : أبواب المدينة بمصر . وكانت مدينة " منفيس " من أعظم مدن العالم فهي ذات أبواب . قال القرطبي (١) : " وكانت مصر لها أربعة أبواب " .

(١) تفسير القرطبي ١٤٨/٩ .

وقد ذكر المفسرون أسبابا متعددة لوصية يعقوب هذه لأبنائه وكلها

لها وجاهاتها ويمكن ان تكون جميعها مقصودة

الأول : أنه خاف عليهم من العين ، وهو قول جمهور المفسرين .

قال الألوسى (١) : " نهاهم - عليه السلام - عن ذلك حذرا من

إصابة العين ، فإنهم كانوا نوى جمال وشارة حسنة ، وقد اشتهروا بين

أهل مصر بالزلفى والكرامة التى لم تكن لغيرهم عند الملك فكانوا مظنة

لأن يعانون إذا دخلوا كوكبة واحدة . "

وقال القرطبى (٢) : " وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر

رجلا لرجل واحد ، وكانوا أهل جمال وكمال وبسطة ؛ قاله ابن عباس

والضحاك وقتادة وغيرهم .

ثم قال : إذا كان هذا معنى الآية فيكون فيها دليل على التحرز

من العين ، والعين حق ؛ وقد قال رسول الله ﷺ : " إن العين لتدخل

الرجل القبر والجمال القدر " وفى تعوذه ﷺ " أعوذ بكلمات الله التامة

من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة " ما يدل على ذلك :

وروى مالك عن محمد بن ابى أمامة بن سهل بن حنيف أنه سمع

أباه يقول : اغتسل أبى سهل بن حنيف بالخرار فنزع جبة كانت عليه ،

وعامر بن ربيعة ينظر ، قال : وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد ،

قال : فقال له عامر بن ربيعة : ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء !

فوعك سهل مكانه واشتد وعكه ، فأتى رسول الله ﷺ فأخبر أن سهلا

وعك . . . فاتاه رسول الله ﷺ فأخبره سهل بالذى كان من شأن

(١) روح المعانى ١٥/١٣ .

(٢) تفسير القرطبى ١٤٨/٩ .

عامر ؛ فقال رسول الله ﷺ : " علام يقتل أحدكم أخاه إلا برّكت إن العين حق توضأ له " فتوضأ عامر ، فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس ؛ وفي رواية " اغتسل " فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخل إزاره في قدح ثم صب عليه ؛ فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس . "

ما هية الحسد :

قال الفخر الرازي (١) : " في الكشف عن ماهيته فنقول : إن أبسا على الجبائي أنكر هذا المعنى إنكارا بليغا ولم يذكر في إنكاره شبهة فضلا عن حجة ، وأما الذين اعترفوا به وأقروا بوجوده فقد ذكروا فيه وجوها منها :

قال الحافظ : إنه يمتد من العين أجزاء فتصل بالشخص المستحسن فتؤثر فيه وتسرى فيه كتأثير اللسع والسم والنار . . "

وقال القرطبي (٢) : " قال الأصمعي : رأيت رجلا عيونا سمع بقرة تحلب فأعجبه شخبها فقال : أيتها هذه ؟ فقالوا : الفلانية لبقرة أخرى يورون عنها ، فهلكنا جميعا ، المورى بها والمورى عنها . وقال الأصمعي : وسمعتة يقول : إذا رأيت الشيء يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني " .

يفهم مما سبق أن العائن يخرج من عينه أشعة تؤثر على المعيون ، وهذا يوافق ما استحدثه العلم وهو ما يعرف بالليزر وهو

(١) تفسير الفخر الرازي ١٨/١٧٣ .

(٢) تفسير القرطبي ٩/١٤٩ .

تجميع أشعة تسلط على الجزء المصاب وليكن حصوات فى جسم الإنسان فتقوم بتفتيتها . وهكذا يقال : " العين فلقت الحجر " وها هى ماهية الحسد .

علاج الحسد :

يجب على كل مسلم أعجبه شئ أن يُبرِّك ، فإنه إذا دعى بالبركة صرف المحذور ولا محالة ، أل ترى قوله - عليه السلام - لعامر : " ألا برُكت " فدل على أن العين لا تضر ولا تعدوا إذا بُرك العائن ، وأنها إنما تعدوا إذا لم يبرك . والتبريك أن يقول : تبارك الله أحسن الخالقين اللهم بارك فيه .

وعلى العائن إذا أصاب بعينه ولم يبرك فإنه يؤمر بالاغتسال ، ويجبر على ذلك إن أباه ، لأن الأمر على الوجوب ، لا سيما هذا ، فإنه قد يخاف على المعين الهلاك ، ولا ينبغي لأحد أن يمنع أخاه ما ينتفع به أخوه ولا يضره هو ، ولا سيما إذا كان بسببه وكان هو الجانى عليه . كما أن الأدعية والرقي من جملة الأسباب لدفع أذى العين .

ومما يدل على نفع الرقية من العين مشروعتها كما تدل عليه الآثار ، وقد جاء فى بعضها أنه ﷺ قال : " لا رقية إلا من عين أو حُمَّة " والمراد منه أنه لا رقية أولى وأنفع من رقية العين والحمة .

وقال الألوسى (١) : " وينبغي لمن علم من نفسه أنه ذو عين أن لا ينظر إلى شئ نظر إعجاب وأن يذكر الله تعالى عند رؤية ما يستحسن . فقد ذكر غير واحد من المجربين أنه إذا فعل ذلك لا

(١) روح المعانى ١٨/١٣ .

يؤثر ، وَنقل الأجهورى أنه يندب أنه يعوذ المعين فيقول : اللهم بارك فيه ولا تضره ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

وقال : وفى تحفة المحتاج أن من أدويتها أى العين المجربة التسى أمر النبى ﷺ بها أن يتوضأ العائن ٠٠٠ وأن يدعو للمعين وأن يقول المعين : ما شاء الله لا قوة إلا بالله حصنت نفسى بالحق القيوم الذى لا يموت أبداً ودفعت عنها السوء بألف لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال : ويسن عند القاضى لمن رأى نفسه سليمة وأحواله معتدلة أن يقول ذلك .

القول الثانى : أنه نهاهم أن يدخلوها من باب واحد خشية ان يسترعى عددهم أبصار أهل المدينة وحراسها وأزيائهم أزياء الغرباء من أهل المدينة أن يوجسوا منهم خيفة من تجسس أو سرقة فربما سجنوهم أو رصدوا الأعين إليهم . فيكون ذلك ضرا لهم وحاتلا دون سرعة وصولهم إلى يوسف — عليه السلام — ودون قضاء حاجتهم . وقد قيل فى الحكمة : استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان .

ولما كان شأن إقامة الحراس والأرصاد أن تكون على أبواب المدينة اقتصر على تحذيرهم من الدخول من باب واحد دون أن يحذروهم من المشى فى سكة واحدة من سكك المدينة ووثق بأنهم عارفون بسكك المدينة فلم يخش ضلالهم فيها (١) .

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير للشيخ / محمد بن عاشور مجلد ٧ ج ١٣ ص

القول الثالث : قال الفخر الرازى (١) : " أنه — عليه السلام — كان عالما بأن ملك مصر هو ولده يوسف إلا أن الله تعالى ما أذن له فى إظهار ذلك فلما بعث أبناءه إليه قال ﴿ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ﴾ وكان غرضه أن يصل بنيامين إلى يوسف فى وقت الخلوة ، وهذا قول ابراهيم النخعى " أ . هـ .
وقيل : طمع بافتراقهم أن يتسمعوا خبر يوسف .
وجملة ﴿ وما اغنى عنكم من الله من شئ ﴾ معترضة فى آخر الكلام ، أى : وإنى بوصيتى هذه لكم ، لا أدفع عنكم شيئا قدره الله عليكم .

فإن دخلوهم من الأبواب المتفرقة ، لن يحول بينهم وبين ما قدره — تعالى — وأراده لهم ، وهذا من الأدب والوقوف عند ما أمر الله ، فإن صادف ما قدره فقد حصل فائدتان ، وإن خالف ما قدره حصلت فائدة امتثال أوامره واقتناع النفس بعدم التفريط .
وجملة ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ فى موضع التعليل لمضمون ﴿ وما اغنى عنكم من الله من شئ ﴾

والحكم : هنا بمعنى التصرف والتقدير ، أى : ما الحكم فى كل شئ إلا لله — تعالى — لا ينازعه فى ذلك منازع . وليس للعبد أن ينازع مراد الله تعالى فى نفس الأمر ، ولكن واجبه أن يتطلب الأمور من أسبابها ، لأن الله أمر بذلك .

(١) تفسير الفخر الرازى ١٧٤/١٨ .

وجملة ﴿ عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ﴾ فى موضع
البيان لجملة ﴿ وما أغنى عنكم من الله من شئ ﴾ ليبين لهم أن وصيته
بأخذ الأسباب مع التنبية على الاعتماد على الله هو معنى التوكل الذى
يضل فى فهمه كثير من الناس .

إذ أن كلام من التوكل والأخذ بالأسباب مطلوب من العبد ، إلا أن
العاقل عندما يأخذ فى الأسباب يجزم بأن الحكم لله وحده فى كل
الأمر ، وأن الأسباب ما هى إلا أمور عادية ، يوجد الله - تعالى -
معها ما يريد فى إيجاده ، ويمنع ما يريد منعه ، فهو الفعال لما يريد .
ويعقوب - عليه السلام - عندما أوصى أبناءه بهذه الوصية ، أراد
بها تعليمهم الاعتماد على توفيق الله ولطفه ، مع الأخذ بالأسباب المعتادة
الظاهرة تادبا مع الله تعالى واضع الأسباب ومقدر الألطاف فى رعاية
الحالين ، لأننا لا نستطيع أن نطلع على مراد الله تعالى .

قال الشيخ محمد بن عاشور ^(١) : " وهذا سر مسألة القدر كما أشلر
إليه قول النبى ﷺ " اعملوا فكل ميسر لما خلق له " ^(٢) وفى الأثر " إذا
أراد الله أمرا يسر أسبابه " قال الله تعالى : ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى
لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ ^(٣) . ذلك أن
شأن الأسباب أن تحصل عندها مسبباتها . وقد يتخلف ذلك بمعارضة
أسباب أخرى مضادة لتلك الأسباب حاصلة فى وقت واحد ، أو لكون

(١) تفسير التحرير والتنوير مجلد ٧ ج ١٣ ص ٢١-٢٢ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب القدر . باب جف القلم ٢٩٣/١٤ -
٢٩٤ من الفتح .

(٣) سورة الإسراء الآية ١٩ .

السبب في مصادفة المسبب المقصود . ولولا نظام الأسباب ومراعاتها لصار المجتمع البشرى هملا وهمجا " . أ . هـ

ثم بين سبحانه أن الأبناء قد امتثلوا أمر أبيهم لهم فقال :

﴿ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من

الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها ﴾

جملة اعتراضية .

وقد أغنت جملة : ﴿ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ﴾

عن جمل كثيرة هي أنهم ارتحلوا ودخلوا من حيث أمرهم أبوهم ، ولما دخلوا من حيث أمرهم سلموا ما كان يخافه عليهم .

وما كان دخولهم من حيث أمرهم يغنى عنهم من الله من

شيء لو قدر الله أن يحاط بهم .

ومعنى : ﴿ ما كان يغنى عنهم من الله من شيء ﴾ أنه

ما كان يرد عنهم قضاء الله لولا أن الله قدر سلامتهم .

وقوله : ﴿ إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها ﴾ أى : إن

يعقوب كان عليما بأن الحذر لا يغنى من القدر ، ولكن كانت

هناك حاجة تدور بخلده ، وهي خوفه عليهم من العين ومن

أن ينالهم مكروه في هذه الرحلة إذا دخلوا من باب واحد .

وتعليمهم الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله .

وجملة ﴿ وإنه لنو علم لما علمناه ﴾ معترضة بين

جملة ﴿ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ﴾ وبين

جملة ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾

والمعنى : وإن يعقوب عليه السلام لنور علم عظيم ، لما علمناه من تأويل الرؤيا الصادقة ، واعتقاده أن الإنسان يجب عليه فى كل أمر يحاوله أن يتخذ له من الأسباب ما يصل به إلى غرضه ، ثم يتوكلى بعد ذلك على الله .

وقوله : ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أى : لا يعلمون ما يعلمه يعقوب — عليه السلام — من أن الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع التوكلى على الله — تعالى — أو : ولكن أكثر الناس لا يعلمون ما أعطاه الله — تعالى — لأنبيائه وأصفياؤه من العلم والمعرفة وحسن التأنى للأمور .

اللقاء الثاني بين يوسف وإخوته وتدبير حيلة لإبقاء أخيه بنيامين عنده

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنَ أَيُّهَا الْعَبِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ (٧١) قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا ظَالَمُونَ (٧٩) فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي

أَوْ يَحْكَمْ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا
يَا أَبَاتِنَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ
حَافِظِينَ (٨١) وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا
وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّيْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّى
عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ
كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ
مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعَلَّمَ مَنِ
اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) يَا بَنِي إِدْرِيْسَ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ
وَلَا تَيْسَرُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْكَافِرُونَ (٨٧) ﴿

اخبار يوسف لأخيه عن ذات نفسه :

قال تعالى : ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا
أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ﴾

ذكر الله تعالى ما كان من أمرهم حين دخلوا بأخيه بنيامين على
شقيقه يوسف ، وإيوائه إليه ، وإخباره له سرا عنهم بأنه أخوه ، وأمره
بكتم ذلك عنهم وسلاهما عما كان منهم من الإساءة إليه .

وقوله ﴿ آوى ﴾ من الإيواء بمعنى الضم . يقال : آوى فلان فلاناً
إذا ضمه إلي نفسه .

وأطلق الإيواء هنا مجازاً على الإنداء والتقريب كأنه إرجاع إلي
ماوى ، وإنما أدناه ليتمكن من الإسرار إليه بقوله ﴿ إني أنا أخوك ﴾ .

وقوله : ﴿ فلا تبتئس ﴾ إفتعال من البؤس وهو الشدة والضر والبؤس : هو الحزن والكدر . أى : فلا يلحقنك بعد الآن بؤس أى مكروه ولا شدة بسبب ما كانوا يعملون من الجفاء وسوء المعاملة بحسدهم لي ولك .

أخرج الطبرى ^(١) عن ابن اسحاق قال : لما دخلوا يعنى ولد يعقوب علي يوسف قالوا : هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به قد جئناك به . فذكر لي أنه قال لهم : قد أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي ثم قال : إني أراكم رجالاً وقد أردت أن أكرمكم ثم أنزل كل رجلين علي حدة ثم أكرمهما وأحسن ضيافتهما .

ثم قال : " إني أري هذا الرجل الذي جئتم به ليس معه ثان ، فأضمه إليّ فيكون منزله معي فأنزلهم رجلين رجلين في منازل شتتي وأنزل أخاه معه فأواه إليه فلما خلا به قال : إني أنا أخوك . أنا يوسف فلا تبتئس بشي فعلوه بنا فيما مضى فإن الله قد أحسن إلينا ولا تعلمهم شيئاً مما أعلمتك " أ . هـ .

وأضاف ابن كثير ^(٢) فقال : " وتواطأ معه أنه سيحتال علي أن يبقيه عنده معزراً مكرماً معظماً " .

أذان المؤذن أن العير قد سرقوا :

ثم بين — سبحانه — ما فعله يوسف — عليه السلام — مع اخوته ، لكي يبقوا أخاه معه فلا يسافر معهم عند رحيلهم فقال :

﴿ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون ﴾ .

(١) تفسير الطبرى ١٠/١٣

(٢) تفسير ابن كثير ٤٦٦/٢

والجهاز كما سبق أن بينا : ما يحتاج إليه المسافر من زاد ومتاع .
والسقاية : إناء من فضة في قول الأكثرين ، وقيل من ذهب . قال
ابن زيد: كان الملك يشرب فيه ، ويكيل للناس به من عزة الطعام إذ ذاك
قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة (١) .

وهذه السقاية هي التي أطلق عليها القرآن بعد ذلك لفظ الصواع .
ويأبى الدكتور/ابراهيم عوض (٢) ويستغرب أن تكون السقاية التي
كان الملك يشرب فيها هي ذلك الصواع الذي كان يستعمل مكياً للقمح .
فقال : " ولعلمهم قالوا هذا ليسوغوا وجوده هناك . ولكن من قال
إن الصواع لا يكون في موضع الأمتيار إلا للكيل ؟ أليس من
الممكن أن الملك كان حاضراً عملية الامتيار وكان معه ساقية
وشرابه وكأسه؟ أليس هذا أقرب إلي العقل من القول بأنهم كانوا
يستخدمون صواع الملك في كيل القمح وكان الدنيا قد خلّت من
المكاييل والآنية فلم يجدوا إلا كأس الملك النفيسة ؟ إليس في هذا
إساءة إلي الملك بكل جلاله وهيلمانه؟ "

وقال أبو حيان (٣): " قيل : كانت الدواب تسقي بها ويكال بها ."
وقال الشيخ : سيد قطب (٤) : " وقيل : إنها كانت تستخدم للشرب ،
ويستخدم قعرها الداخل المجوف من الناحية الأخرى في كيل القمح ،
لندرته وعزته في تلك المجاعة ."

(١) انظر المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٢) سورة يوسف دراسة أسلوبية فنية مقارنة ص ٨٦ .

(٣) تفسير البحر المحيط ٦/٣٠٢ .

(٤) في ظلال القرآن ٤/٢٠١٩ .

ولكنى أميل ألى رأى الدكتور إبراهيم عوض فى تفسيره للصواع .

أما ما قيل إن الملك كان يشرب فىه ويكال به وتسقى الدواب فىها . .
فكل هذا فى رأىى تكلف وإساءة للملك . أىضا كان نصيب كل فرد

بضعة جرامات من القمح وليس حمل بعير .

والعير : اسم للحمولة من إبل وحمير وما عليها من أحمال وما

معها من ركابها ، فهو اسم لمجموع هذه الثلاثة . وأسندت السرقة إالى

جميعهم جرياً على المعتاد من مؤاخذه الجماعة بجرم الواحد منهم ، وقد

يكون للتمويه بعدم معرفتهم للشارق .

قال أبو حيان ^(١) : "ونسبة السرقة إاليهم جميعاً : وإن كان الصواع

إنما وجد فى رجل واحد منهم كما تقول : بنو فلان قتلوا فلاناً ، والقتل

واحد منهم " .

استشكال ودفعة :

قال الخازن : " هل كان هذا النداء - ﴿ إنكم لسارقون ﴾ - بأمر

يوسف أم لا ؟ فإن كان بأمره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف

رتبته من النبوة والرسالة أن يتهم أقواماً وينسبهم إالى السرقة كذباً مع علمه

ببراعتهم من ذلك ، وإن كان ذلك النداء بغير أمره فهلا أظهر براعتهم عن

تلك التهمة التى نسبوا إاليها ؟ .

قال : قلت : ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة :

أحدها : أن يوسف لما أظهر لأخيه أنه أخوه ، قال : لست أفارقك

قال : لا سبيل إالى ذلك إلا بتدبير حيلة أنسبك فىها إالى ما لا

يليق

(١) تفسير البحر المحيط ٣٠٣/٦ .

قال : رضيت بذلك . فعلي هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رضي به فلا يكون ذنباً .

الثاني : أن يكون المعني إنكم لسارقون ليوسف من أبيه إلا أنهم ما أظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض ، وفي المعارض مندوحة عن الكذب .

أقول : إن يوسف - عليه السلام - لم يخبر فتياناه أو المؤذن بأمر إخوته وما كان يلقي منهم قديماً من الأذى ، ولم يكشف لهم أن هؤلاء هم إخوته فكيف يكون قولهم ﴿ إنكم لسارقون ﴾ من المعاريض وهم لم يعلموا شيئاً من أمره ؟ !

الثالث : يحتمل أن يكون المنادى ربما قال ذلك علي سبيل الاستفهام وعلي هذا التقدير لا يكون كذباً .

الرابع : ليس في القرآن ما يدل علي أنهم قالوا ذلك بأمر يوسف وهو الأقرب إلي ظاهر الحال لأنهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب علي ظنهم أنهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء علي غلبة ظنهم .

أقول : كيف غاب علي الإمام الخازن تساوله : . . . " وإن كان ذلك النداء بغير أمره - أي يوسف - فهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة التي نسبوا إليها " حتى يقول : " غلب علي ظنهم أنهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء علي غلبة ظنهم " .

أقول والله أعلم : أن الذي جعل الساقية في رحل أخيه هم فتيان يوسف عليه السلام ، لأن كونه ملكاً فلم يباشر ذلك بنفسه ، بل جعل غيره من فتياناه ، أو غيرهم أن يجعلها في الرحل .

إذن جعل الصواع في رحل أخيه وتأذنين المؤذن كان
بعلمه وبأمره لفتيانه ويدل علي هذا طريقه تفتيش الأوعية ،
وهي البدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة ،
وتمكين الحيلة . كل هذا كان بوحى من الله تعالى إلي
يوسف ، لهذا قال سبحانه ﴿ كذلك كدنا ليوسف ما كان
ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله . . ﴾ (١) .

ثم بين سبحانه ما قاله إخوة يوسف بعد أن سمعوا المؤذن يستوقفهم
ويتهمهم بالسرقه .

فقال تعالى : ﴿ قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ﴾ .

قالوا : أى : إخوة يوسف . وجملة ﴿ وأقبلوا عليهم ﴾ حال من ضمير

" قالوا " والمعنى : قال إخوة يوسف وأقبلوا علي فتيان العزيز في دهشة
وحيرة ماذا تفقدون من أشياء حتى اتهمتمونا بأننا سارقون !؟

وهكذا يكون البرئ من التهمة ، فقد نزل الخبر عليهم — حينما

قالوا لهم إنكم لسارقون — كالصاعقة عليهم ، وقولهم : ﴿ ماذا تفقدون ﴾
أنكروا ضياع شئ ، ولم ينفوا عن أنفسهم سرقه لأنهم يعلمون أنها بعيدة
كل البعد لا تحتاج إلي نفي .

وهنا رد عليهم الفتيان ﴿ قالوا نفقد صواع الملك ﴾ أى : صاعه

الذي يشرب فيه .

﴿ ولمن جاء به حمل بعير ﴾ أى : ولمن دل علي سارقه حمل

بعير من القمح زيادة علي حقه كمكافأة له .

(١) سورة يوسف من الآية ٧٦

﴿ وأنا به زعيم ﴾ أى : وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه إلي من جاء به
وهنا نجد إخوة يوسف يردون عليهم رداً يدل علي استنكارهم لهذه
التهمة وعلي تأكدهم من براءتهم فيقولون : ﴿ قالوا تالله لقد علمتم ما
جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ﴾ .

تالله : التاء بدل من الواو ، ولا تدخل إلا علي لفظ الله من بين
أسمائه تعالى ، لا تقول تالرحمن ولا تالرحيم ، ولكن حكي عن العرب
دخولها علي الرب وعلي الرحمن وعلي حياتك . قالوا تربي الكعبة
وتالرحمن وتحياتك (١) .

قال الخازن (٢) : " قال المفسرون : إن إخوة يوسف حلفوا علي
أمرين :

- أحدهما : أنهم ما جاءوا لأجل الفساد في الأرض .
- والثاني : أنهم ما جاءوا سارقين .

وإنما قالوا هذه المقالة لأنه كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل علي
صدقهم وهو أنهم كانوا مواظبين علي أنواع الخير والطاعة والبر حتى
بلغ من أمرهم كانت أنهم شدوا أفواه دوابهم لئلا تؤذى زرع الناس .
ومن كانت هذه صفته فالفساد في حقه ممتنع .

وأما الثاني : " وهو أنهم ما كانوا سارقين فلأنهم قد كانوا ردوا
البضاعة التي وجدوها في رحالهم ولم يستحلوا أخذها ومن كانت هذه
صفته فليس بسارق فلأجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في
الأرض وما كنا سارقين " أ . هـ

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه تأليف : محي الدين درويش ٢٦/٥ .

(٢) تفسير الخازن ٣٠١/٢ - ٣٠٢ .

ولما تبينت براءتهم من هذه التهمة رد عليهم المنادي وأعوانه بقولهم : ﴿ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ﴾ .

أى : قال المنادي وأعوانه لإخوة يوسف الذين نفوا عن أنفسهم تهمة السرقة نفيًا تاماً .

إذاً فما جزاء وعقاب هذا السارق لصواع الملك في شريعتكم ، إن وجدنا هذا الصواع في حوزتكم ، وكنتم كاذبين في دعواكم أنكم ما كنتم سارقين .

فرد عليهم إخوة يوسف ببيان حكم هذا السارق في شريعتهم بقولهم : ﴿ قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه * كذلك نجزي الظالمين ﴾

أى : قال إخوة يوسف : جزاء هذا السارق الذى يوجد صواع الملك فى رحله ومتاعه أن يسترقت لمدة سنة ، هذا هو جزاؤه فى شريعتنا . قال أبو حيان ^(١) ما ملخصه : " جزاؤه " : مبتدأ ، أى : جزاء سرقة الصاع ، والخبر " من وجد فى رحله " أى : أخذ من وجد فى رحله . والتقدير : جزاء سرقة الصاع أخذ من وجد فى رحله — أى استرقاقه لمدة سنة .

وقولهم : ﴿ فهو جزاؤه ﴾ ، تقرير وتأکید للجملة الأولى . قال الدكتور / سيد طنطاوى ^(٢) : " وقالوا : " جزاؤه من وجد فى رحله " ولم يقولوا : جزاء السارق أو جزاء سرقة ، للإشارة إلى كمال

(١) تفسير البحر المحيط ٢٠٥/٦

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر شيخ الأزهر د / سيد طنطاوى .
المجلد السابع ص ٣٩٨ .

نزاهتهم ، وبراءة ساحتهم فى السرقة ، حتى لكان ألسنتهم لا تطاوعهم بأن ينطقوا بها فى هذا المقام " .

وقوله : ﴿ كذلك نجزي الظالمين ﴾ مؤكدا لما قبله ، أى : مثل ذلك الجزاء ، وهو الاسترقاق نجزي الظالمين أى بالسرقه وهو ديننا وسنتنا فى أهل السرقة .

قال الخازن ^(١) : " وكان فى حكم مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعفى قيمة المسروق وكان هذا فى شرعهم فى ذلك الزمان يجرى مجرى القطع فى شرعنا فأراد يوسف أن يأخذ بحكم أبيه فى السارق ، فلذلك رد الحكم إليهم " .

تفتيش الأوعية :

قال تعالى : ﴿ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم علم عليم ﴾

بعد هذه المحاورة التى دارت بين إخوة يوسف وبين الذين اتهموهم بالسزقة أخبر الأخوة بتفتيش أوعيتهم للبحث عن الصواع بداخلها . حينئذ أقبل يوسف — عليه السلام — فبدأ بتفتيش الإخوة العشرة قبل وعاء أخيه بنيامين .

قال أبو حيان ^(٢) : " فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفسى التهمة ، وتمكين الحيلة ، وإبقاء ظهورها حتى بلغ وعاءه ، فقال : ما

(١) تفسير الخازن ٣٠٢/٢ .

(٢) تفسير ابى حيان ٣٠٦/٦ .

أظن هذا أخذ شيئا فقالوا : والله ما نتركه حتى تنتظر في رحله ، فإنه
أطيب لنفسك وأنفسنا ، فاستخرجوه منه " .

فلما وصل إلى وعاء " بنيامين " وقام بتفتيشه وجد السقاية بداخله ،
فاستخرجها منه على مشهد منهم جميعا .

ويطوى القرآن ما اعتري إخوة يوسف من دهشة وخزي ، بعد أن
وجدت السقاية في رحل " بنيامين " وبعد أن أقسموا بالله على برائتهم من
تهمة السرقة . . . يطوى القرآن كل ذلك ، ليرتك للعقول أن تتصوره . . .

ثم يعقب على ما حدث ببيان الحكمة التي من أجلها ألهم الله -
تعالى - يوسف أن يفعل ما فعل من دس السقاية في رحل أخيه ، ومن
سؤال إخوته عن جزاء السارق في شريعتهم فيقول : ﴿ كذلك كدنا
ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله . . . ﴾ .

وقوله : ﴿ كدنا ﴾ من الكيد وأصله الاحتيال والمكر ، وهو فعل
يتوصل بظاهره إلى مقصد خفي ويكون للخير أو للشر سواء . وإن كان
الشر قد غلب عليه . وظاهر الأمر هنا أنه شر يحل بأخيه وهو شر
يحل بإخوته لإحراجهم أمام أبيه . وهو سوء - ولو مؤقتا - لأبيه فلهذا
اختار تسميته كيدا على اجمال اللفظ .

والكيد هنا : هو الهام يوسف - عليه السلام - لهذ الحيلة المحكمة في
وضع الصواع وتفتيش الرحل وسؤال إخوته عن حكم السارق في شريعتهم .
قال الفخر الرازي ^(١) : " قيل : المراد من هذا الكيد هو انه تعالى
ألقي في قلوب إخوته أن حكموا بأن جزاء السارق هو أن يسترق ، لا

(١) تفسير الفخر الرازي ١٨٢/١٨ .

جرم لما ظهر الصواع في رحله حكموا عليه بالاسترقاق ، وصار ذلك سببا لتمكن يوسف — عليه السلام — من إمساك أخيه عند نفسه " وهذا بيان لمظهر من مظاهر فضل الله — تعالى — على يوسف حيث ألهمه ما يوصله بأحكم أسلوب .

وأسند الكيد إلى الله لأنه ملهمه فهو مسببه . وجعل الكيد لأجل يوسف — عليه السلام — لأنه لفائدته . فاللام في " ليوسف " للنفع لا كاللام في قوله ﴿ فيكيدوا لك كيذا ﴾ فإنها للضرر وهو الشائع . ولما كانت هذه الوسيلة إلى تلك الغاية منكراً في الظاهر لأنها تهمة باطلة حكى الله — تعالى — عن يوسف أنه فعلها بوحى منه وإن فقال : ﴿ ما كان لياخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله . . . ﴾ .

قال الفخر الرازي ^(١) : " والمعنى : أنه كان حكم الملك في السارق أن يضرب ويغرم ضعفي ما سرق ، فما كان يوسف قادراً على حبس أخيه عند نفسه بناء على دين الملك وحكمه ، إلا أنه تعالى كاد له ما جرى على لسان أخوته أن جزاء السارق هو الاسترقاق فقد بينا أن هذا الكلام توصل به إلى أخذ أخيه وحبسه عند نفسه وهو معنى قوله : ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ " .

وقوله ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ أي : " لم يكن يوسف ليتمكن من أخذ أخيه في حال من الأحوال ، إلا في حال مشيئته — تعالى — التي هي عبارة عن ذلك الكيد المذكور . . . " ^(٢)

(١) المرجع السابق .

(٢) تفسير الألويسي ٢٩/١٣ .

قال الخازن^(١) وقوله: ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ يعنى بالعلم كما

رفعنا درجة يوسف علي إخوته .

وفي هذه الآية دلالة علي أن العلم الشريف أشرف المقامات

وأعلي الدرجات لأن الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته علي

إخوته بالعلم وبما ألهمه علي وجه الهداية والصواب في الأمور كلها .

وقوله: ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ قال ابن عباس: فوق

كل عالم عالم إلي أن ينتهي العلم إلي الله تعالى فوق كل عالم لأنه

هو الغني بعلمه عن التعليم . وفي الآية دليل علي أن إخوة يوسف

كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم .

وقال: قال ابن الأنباري: يجب أن يتهم العالم نفسه ويستشعر

التواضع لمواهب ربه تعالى ولا يطمع بنفسه في الغلبة لأنه لا يخلو عالم

من عالم فوقه " أ . هـ

قال الدكتور سيد طنطاوي^(٢): " وقال - سبحانه - " نرفع "

بصيغة الإستقبال ؛ للإشعار بأن ذلك سنة من سننه الإلهية التي لا

تتخلف ولا تتبدل وأن عطاءه - سبحانه - لا يناله إلا الذين تشملهم

إرادته ومشينته كما تقتضى حكمته .

وجاءت كلمة " درجات " بالتنكير ؛ للإشارة إلى عظمها

وكثرتها " .

(١) تفسير الخازن ٣٠٣/٢ .

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم . للإمام شيخ الأزهر / سيد طنطاوي المجلد

السابع ص ٤٠٠ .

قول الإخوة إن أخاه قد سرق من قبل :

﴿ قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في

نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون ﴾ .

أى : قال إخوة يوسف — عليه السلام — بعد هذا الموقف المحرج

لهم . إن هذا الأمر ليس بغريب منه ، فقد سرق أخوه يوسف من قبل ،

فالسرقه جاءت وراثه من أمهما . وكان غرضهم من هذا إنا لسنا على

طريقته ولا على سيرته ، بل هذا وأخوه كان على هذه الطريقة وهذه

السيرة ، لأنهما من أم أخرى غير أمنا .

وفى قولهم هذا إيماء إلى أن الحسد لا يزال كامنا فى قلوبهم ،

لاختلاف الأمهات ، ولمزيد محبة الأب لهما .

واختلف المفسرون فى السرقة التى نسبت إلى يوسف

عليه السلام :

أخرج الطبرى (١) عن قتادة قال : " ذكر أنه سرق صنما لجده

أبى أمه فعيروه بذلك "

وفى رواية أخرى بزيادة " وكان يعبده فأخذه يوسف وكسره وألقاه

فى الطريق لتلا يعبده " (٢) .

وقال مجاهد " إن يوسف جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت

فناولها له " (٣) .

(١) تفسير الطبرى ٢٠/١٣ .

(٢) تفسير الخازن ٣٠٤/٢ .

(٣) المرجع السابق .

وقال سفيان بن عيينة : " أخذ دجاجة من الطير الذى كان فى بيت يعقوب فأعطاها سائلا " . وقال وهب : " كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء (١) .

ويبدو أن هذه الروايات أخذت عن أهل الكتاب ، ولكن النفس غير مستريحة إلى ما قالوه عن سرقة - عليه السلام - الطعام من بيتهم للفقراء ، لأن هذا يوحى بأنه لم يكن بيت كرم ، وإلا فلماذا يسرق الطعام لهم من وراء أهله ؟ إن الطفل الذى يشب على رؤية أبويه يطعمان الضيفان ويكرمان الفقراء لا يفعل هذا ، بل يخبرهما وهو مطمئن إلى أنهما سيهتآن لإعطاء المسكين وجبر حاجة المحتاج .

كما أن هذا القول يتعارض مع ما ورد عن نبينا محمد ﷺ عن يوسف - عليه السلام - " الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم " .

وهذا هو الذى عناه إخوته بقولهم ﴿ إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ﴾ وهذه الروايات لا يوثق بها كما لا يدل شئ منها على سرقة حقيقية .
موقف يوسف - عليه السلام - من مقاتلتهم .

قال تعالى : ﴿ فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون ﴾

قوله ﴿ فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم ﴾ أى : فأضمر مقاتلتهم فى نفسه ولم يجبهم عنها ، ﴿ ولم يبدها لهم ﴾ أى : ولم يؤاخذهم بها لا قولاً ولا فعلاً ، صفحا عنهم وخلما .

(١) المرجع السابق .

أى : سمع يوسف — عليه السلام — ما قاله إخوته فى حقه وفى حق شقيقه فسأه ذلك ، ولكنه كظم غيظه ، ولم يظهر لهم تأثره مما قالوه .

ثم فسر ما أسره بقوله : ﴿ قال أنتم شر مكانا ﴾ أى : قال فى نفسه ، وهو استئناف مبنى على سؤال كأنه قيل : فماذا قال يوسف لما سمع هذه المقالة ؟

﴿ قال أنتم شر مكانا ﴾ أى : شر موضعا ومنزلا ممن نسبتموه إلى السرقة وهو برئ ، فإنكم قد فعلتم ما فعلتم من إلقاء يوسف فى الجب والكذب على أبيكم وقتلتم لقد أكله الذئب .

ثم قال : ﴿ والله أعلم بما تصفون ﴾ به غيركم من الباطل بنسبة السرقة إلى يوسف ، وأنه لا حقيقة لذلك .

طلب الإخوة أن يأخذ أحدهم بدلا من بنيامين :

حاول الإخوة أن يستعطفوا يوسف — عليه السلام — ليطلق لهم أخاه بنيامين فيرجعوا به إلى أبيهم ، لأنه قد أخذ عليهم الميثاق بأن يردوه إليه . حكى — سبحانه — ما قالوه ليوسف فقال جل ذكره :

﴿ قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيئا كبيرا فخذ أحدها إننا نراك من المحسنين ﴾

لما رأى الإخوة أن الموقف خطير ، ولا ينفع فيه إلا الاستعطاف ، قالوا : يا أيها العزيز إن لهذا الأخ أبا شيئا طاعنا فى السن كبير المقام جديرا بالرعاية والعناية ، وهذا الأب يحب هذا الابن حبا جما لا يكاد يستطيع فراقه ، وهو موضع أنسه وعوضه عن ابنه المفقود فخذ أحدها مكانه رحمة بهذا الشيخ الكبير .

ثم عللوا رجاءهم في إجابته بقولهم : ﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾ أى : فلا ترد سؤالنا لأننا نراك من المحسنين إلينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة إلينا ، فسر على طريق هذا الإحسان والإكرام ، وأطلق سراح أخينا ليسافر معنا .

فأجابهم عن مقالتهم : ﴿ قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ﴾ أى : حاش لله أن نأخذ إلا من وجدنا الصواع عنده ، لأننا قد أخذنا بفتواكم ﴿ من وجد في رحلة فهو جزاؤه ﴾ فلا يسوغ لنا أن نخل بموجبها .

ولم يقل : " إلا من سرق متاعنا " اتقاء للكذب ، لأنه يعلم أنه ليس بسارق .

قوله : ﴿ إنا إذا لظالمون ﴾ أى : إنا إذا أخذنا غيره لنكونن من الظالمين لوجهين : مخالفة شرعكم ونص فتواكم ، ومخالفة شريعة الملك ، فهي تأبى الظلم كما تأباه شريعتكم .

بهذا الرد الحاسم ينس إخوة يوسف من محاولة تخليص أخيهم الصغير ، فانصرفوا من عنده ، وطفقوا يفكرون في مصيرهم وفي موقفهم من أبيهم حين يرجعون إليه .

حكى القرآن ذلك بأسلوبه البليغ فقال : ﴿ فلما استياسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف . . . ﴾

﴿ استياسوا ﴾ بمعنى ينسوا ، فالسين والتاء للتأكيد .

و ﴿خلصوا﴾ بمعنى اعتزلوا وانفردوا وتميزوا عن الناس
يتناجون فيما أهمهم (١) .

و ﴿نجيا﴾ اسم من المناجاة ، حال من فاعل خلصوا .

والمعنى : خلا بعضهم ببعض ليس فيهم غيرهم يتناجون
ويتشاورون سرا .

قال الدكتور / سيد طنطاوى (٢) : " هذه الجملة الكريمة وهى -
قوله - تعالى - ﴿ فلما استياسوا منه خلصوا نجيا ﴾ من أبلغ الجمل
التي اشتمل عليها القرآن الكريم ، ومن العلماء الذين أشاروا إلى ذلك
الإمام الثعالبي فى كتاب " الإيجاز والإعجاز " ، فقد قال : من أراد
أن يعرف جوامع الكلم ، ويتتبه لفضل الاختصار ويحيط ببلاغة
الإيجاز ، ويفطن لكفاية الإيجاز ، فليتدبر القرآن وليتأمل علوه على
سائر الكلام .

ثم قال : فمن ذلك قوله - تعالى - فى إخوة يوسف ﴿ فلما
استياسوا منه خلصوا نجيا ﴾ وهذه صفة اعتزالهم جميع الناس ،
وتقليبهم الآراء ظهرا لبطن ، وأخذهم فى تزوير ما يلقون به أباهم
عند عودتهم إليه ، وما يوردون عليه من ذكر الحادث . فتضمنت
تلك الكلمات القصيرة معانى القصة الطويلة "

وقوله : ﴿ قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من
الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف ﴾

(١) لسان العرب لابن منظور ٢٧/٧ .

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم المجلد السابع ص ٤٠٢ .

لم يذكر القرآن اسم كبيرهم ، لأنه لا يتعلق بذكره غرض منهم ،
" وقد ذكر بعض المفسرين هو " روبيل " لأنه الأسن ، وقيل
" يهوذا " لأنه الأوفر عقلا ، وقيل " شمعون " لأنه رئيسهم " (١) .

وجملة : ﴿ قال كبيرهم ﴾ بدل من جملة ﴿ خلصوا نجيا ﴾
وهو بدل اشتمال ، لأن المناجاة تشتمل على أقوال كثيرة منها قول
كبيرهم هذا .

والاستفهام في قوله ﴿ ألم تعلموا ﴾ تقريرى للتذكير بعدم اطمئنان
أبيهم بحفظهم لابنه .

أى : لقد علمتم علما يقينا بعهد أبيكم عليكم بشأن بنيامين ،
وعلمتم علما يقينا بخيانتكم لعهد أبيكم فى شأن يوسف ، فبأى وجه
تعودون إلى أبيكم وليس معكم أخوكم بنيامين ؟
قال الشوكانى (٢) : " قوله ﴿ ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم
موثقا من الله ﴾ أى : عهدا من الله - تعالى - بحفظ ابنه ورده
إليه . ومعنى كونه من الله : أنه بإذنه .

وقوله : ﴿ ومن قبل ما فرطتم فى يوسف ﴾ معطوف على ما
قبله . والتقدير : ألم تعلموا أن أباكم . . . وتعلموا تقريطكم فى
يوسف ، فقوله : ﴿ ومن قبل ﴾ متعلق بتعلموا . أى : تعلموا
تقريطكم فى يوسف من قبل . على أن " ما " مصدرية .

(١) فتح القدير للشوكانى ٤٦/٣ .

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

القرار الذى اتخذه كبيرهم قال :

﴿ فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير

الحاكمين ﴾

قال كبير إخوة يوسف لهم : فلن أفارق أرض مصر .

قال الشيخ محمد عاشور ^(١) : " قرر كبيرهم أن يبقى فى مصر

ليكون بقاءه علامة عند يعقوب — عليه السلام — يعرف بها صدقهم فى سبب تخلف بنيامين ، إذ لا يرضى لنفسه أن يبقى غربيا لولا خوفه من أبيه ، ولا يرضى بقية أشقائه أن يكيدوا له كما يكيدون لغير الشقيق " .

وقال أبو حيان ^(٢) : " ثم غيا بذلك بغايتين :

أحدهما : خاصة وهى قوله : ﴿ حتى يأذن لى أبى ﴾ يعنى فى الانصراف إليه .

والثانية : عامة وهى قوله : ﴿ أو يحكم الله لى ﴾ ، لأن إذن الله له هو من حكم الله له فى مفارقتة أرض مصر .

وكانه لما علق الأمر بالغاية الخاصة رجع إلى نفسه فأتى

بغاية عامة تفويضا لحكم الله تعالى ، ورجوعا إلى من له الحكم حقيقة ، ومقصوده التضييق على نفسه ، كأنه سجنها فى القطر الذى أداه إلى سخط أبيه . .

وحكم الله تعالى له بجميع أنواع العذر كالموت ، وخلص أخيه ،

أو انتصافه من أخذ أخيه "

(١) تفسير التحرير والتنوير مجلد ٧ ج ١٣ ص ٤٠ .

(٢) تفسير البحر المحیط ٣١٢/٦ .

وقال الشيخ محمد عاشور (١) : " وجملة : ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾
تذييل . و ﴿ خير الحاكمين ﴾ إن كان للتعميم ، فهو الذى حُكِمَ لا
جور فيه أو الذى حُكِمَ لا يستطيع أحد نقضه ، وإن كان على إرادة :
وهو خير الحاكمين لى ، فالخبر مستعمل فى الثناء للتعريض بالسؤال
أن يقدر له ما فيه رافة فى رد غربته .

ثم أمرهم أن يقولوا لأبيهم ما يزيلون به التهمة عن أنفسهم فقال :

١ - ﴿ ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق ﴾ أى : صواع
الملك فاسترقه وزيره عملا بشريعتنا .

٢ - وقولوا له : ﴿ وما شهدنا إلا بما علمنا ﴾ أى : وما شهدنا عليه
بالسرقة بسماع أو إشاعة أو تهمة إلا بعلمنا وبقيننا بأنه سرق إذ
رأينا الصواع قد استخرج من متاعه .

٣ - وقولوا له : ﴿ وما كنا للغيب حافظين ﴾ أى : وما كنا نعلم
الغيب بأنه سيسرق حين أعطيناك الموائيق .

٤ - وقولوا أيضا على سبيل زيادة التأكيد ﴿ واسأل القرية التى كنا
فيها ﴾ أى : إن كنت فى شك من قولنا اسأل أهل القرية التى كنا
نمتار فيها ، وهى مصر ، فقد اشتهر فيهم أمر هذه السرقة حتى
لو سئلوا لشهدوا . ﴿ والغير التى أقبلنا فيها ﴾ أى : واسأل
قوافل التجارة التى كنا فيها ، فإن أصحاب هذه القوافل يعلمون ما
حدث من ابنك .

٥ - وقال لهم : ثم أكدوا صدق مقالكم بقولكم : ﴿ وإنا لصادقون ﴾
فيما أخبرناك به . فكن واثقا من صدقتنا .

(١) تفسير التحرير والتنوير مجلد ٧ ج ١٣ ص ٤٠ .

وقد ختم كبيرهم كلامه بهذه الجملة ﴿ وإنا لصادقون ﴾ زيادة في تأكيد صدقهم ، لأن ماضيهم معه يبعث على الريبة والشك ، فهم الذين قالوا له من قبل ذلك في شأن يوسف : ﴿ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ﴾ ثم ألقوا به في الجب " . . .

بعد ذلك عاد الإخوة إلى أبيهم وتركوا بمصر كبيرهم وأخاهم بنيامين .

هل صدقهم أبوهم بعد هذه المقالة التي كلفهم بها أخوهم الكبير ؟

﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم ﴾

لما رجع الإخوة إلى أبيهم وقالوا له ما لقتهم كبيرهم فلم يصدقهم فيما قالوا ، بل قال لهم ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمرا . . . ﴾

قال أبو حيان (١) : " و " بل " للإضراب ، فيقتضى كلاما محذوفا قبلها حتى يصح الإضراب فيها وتقديره : ليس الأمر حقيقة كما أخبرتم ، بل سولت . . . قال ابن عطية : والظاهر أن قوله ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمرا ﴾ ، إنما هو ظن سوء بهم كما كان في قصة يوسف قبل ، فاتفق أن صدق ظنه هناك ، ولم يتحقق هنا .

وقال الزمخشري (٢) : " ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمرا ﴾ أردتموه وإلا فما أدرى ذلك الرجل أن السارق يؤخذ بسرقة لولا فتواكم وتعليمكم " .

(١) البحر المحيط ٦/٣١٣ .

(٢) تفسير الكشاف ٢/٢٧٠ .

وقال ابن كثير (١) : قال لهم حين جاءوا على قميص يوسف بدم كذب ﴿ بل سولت ٠٠ ﴾ قال محمد بن اسحاق : لما جاءوا يعقوب وأخبروه بما جرى اتهمهم فظن أنها كفعلتهم بيوسف فقال : ﴿ بل سولت ﴾ .

وقال بعض الناس : لما كان صنيعهم هذا مرتبا على فعلهم الأول ، سحب حكم الأول عليه ، وصح قوله ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمرا ﴾ . أ . هـ

والخلاصة : أن الذي حمل يعقوب — عليه السلام — على هذا القول لهم ، هو ماضيهم معه ، فإنهم قد سبق لهم أن فجعوه في يوسف بعد أن عاهدوه على المحافظة عليه .

ثم ترجى من الله أن يرد عليه أولاده الثلاثة : يوسف وبنيلامين وكبيرهم الذي أقام بمصر ينتظر أمر الله فيه فقال عليه السلام ﴿ عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم ﴾ أي العليم بحالى . الحكيم فى أفعاله وقضائه وقدره .

يقول الدكتور سيد طنطاوى (٢) : " وهذا القول من يعقوب — عليه السلام — يدل دلالة واضحة على كمال إيمانه ، وحسن صلته بالله — تعالى — وقوة رجائه فى كرمه وعطفه ولطفه — سبحانه — . وكأنه بهذا القول يرى بنور الله الذى غرسه فى قلبه ، ما يراه غيره بحواسه وجوارحه "

(١) تفسير ابن كثير ٤٦٩/٢ .

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم مجلد ٧ ص ٤٠٦ .

وقد جرت في سنته - تعالى - أن الشدة إذا تهاوت جعل وراءها فرجا ، والمصيبة إذا عظمت جعل بعدها المخلص منها ؛ كما قال ﴿ فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا ﴾ (١) .

وجود غشاوة على عيني يعقوب من الحزن :

ثم صور - سبحانه - ما اعترى يعقوب من حزنه على يوسف ، جدها فراق بنيامين له فقال تعالى ﴿ وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف ، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ﴾ قوله : ﴿ يا أسفا على يوسف ﴾ الأسف : المبالغة في الحزن والغضب (٢) .

ونداء الأسف مجاز : نزل الأسف منزلة من يعقل فيقول له : احضر فهذا أوان حضورك .

وإما تأسف على يوسف دون أخويه ، مع أن الحزن الأحدث أشد على النفس ، " لأنه لا يعلم أحى هو أم ميت ؟ بخلاف إخوته . ولأنه كان أصل الزرايا عنده ، إذ تربت عليه ، وكان أحب أولاده إليه ، وكان دائما يذكره ولا ينساه . " (٣) .

قال الزمخشري (٤) : " والتجانس بين لفظتي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير مستعمل فيملح ويبدع ، ونحوه : (اناقلتم إلى الأرض) ،

(١) سورة الشرح الآيتان ٦،٥ .

(٢) لسان العرب ٥/٩ .

(٣) تفسير البحر المحيط ٦/٣١٤ .

(٤) تفسير الكشاف ٢/٢٧١ .

(وهم ينهون عنه وينأون عنه) ، (ويحسبون أنهم يحسنون صنعا) ،
(من سبأ بنياً) .

قوله : ﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ أى : أصابتها غشاوة
بيضاء غطت على البصر فانقلب سواد العين إلى بياض كدر من كثرة
البكاء .

وابيضاض العينين : ضعف البصر . قال أبو حيان ^(١) : " والظاهر
أنه كان عمى لقوله : ﴿ فارتد بصيرا ﴾ وقال : ﴿ وما يستوى الأعمى
والبصير ﴾ ^(٢) فقابل البصير بالأعمى . وقيل : كان يدرك إدراكا
ضعيفا .

ولكنى أرى : أنه لم يكن عمى ولكن ضعف بصر ، لأن تبدل
سوادهما أدى إلى الهزال وابيضاض العينين وهو ما يعرف عند
الأخصائيين فى أمراض العيون بـ " كتاركت " بسبب الحزن مع تقدم
السن .

﴿ فهو كظيم ﴾ مبالغة للكظم . والكظم : الامساك النفسانى ، أى
كاظم للحزن لا يظهره بين الناس .

قال الزمخشري ^(٣) : " فإن قلت : كيف جاز لنبي الله أن يبلغ من
الجزع ذلك المبلغ ؟

قلت : الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن
... ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده ابراهيم ، وقال : القلب يجزع

(١) تفسير أبى حيان ٣١٤/٩ .

(٢) سورة فاطر الآية ١٩ .

(٣) تفسير الكشاف ٢٧١/٢ .

والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنما عليك يا ابراهيم
لمحزونون .

وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم
الصدر والوجوه وتمزيق الثياب .

وعن النبي ﷺ أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل
يا رسول الله : تبكى وقد نهيتنا عن البكاء فقال : ما نهيتكم عن البكاء
وإنما نهيتكم عن صوتين أحمقين صوت عند الفرح وصوت عند
الترح .

وعن الحسن أنه بكى على ولد له أو غيره فقيل له في ذلك ؟
فقال : ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب " أ . هـ

لما سمع أبناء يعقوب - عليه السلام - أسف أبيهم على
يوسف وحزنه العميق عليه ماذا قالوا له ؟

﴿ قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من

الهالكين ﴾

قوله : ﴿ تالله تفتأ تذكر يوسف ﴾ تاء القسم ولفظ الجلالة

مجرور بتاء القسم .

وتفتأ : أى لا تفتأ من أخوات كان ، واسمها مستتر تقديره " أنت "

وجملة تذكر : خبرها ، و " يوسف " : مفعول به .

قال الأستاذ / محي الدين الدرويش ^(١) : " فى قوله : ﴿ تالله تفتأ

تذكر يوسف حتى تكون حرضا ﴾ فن أصيل فى البلاغة وهو ما يسمى

(١) اعراب القرآن الكريم وبيانه ٣٧/٥ ، ٣٩ .

" ائتلاف اللفظ مع المعنى " وهو نسمة الحياة فى الفن ، وعموده الذى يقوم عليه . ويتلخص بأن تكون ألفاظ المعنى متلائمة بعضها مع بعض ليس فيها لفظة نابية أو قلقة عن أخواتها بحيث يمكن استبدالها

وقال : أقسام الألفاظ : والواقع أن الألفاظ تنقسم فى الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ولكل منها مواضع يحسن استعمالها فيه فالجزل يستعمل فى مواقف الشدة وقوارع التهديد والتخويف ، والرقيق تستعمل فى وصف نباريح الأشواق ، ولوعة الفراق والآية التى نحن بصددنا من أروع الأمثلة على ذلك فإنه سبحانه لما أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها وهى التاء ، لأن الواو والباء أكثر دوراناً على الألسنة منها . أتى سبحانه بأغرب صيغ الأفعال الناقصة التى ترفع الأسماء وتتصب الأخبار بالنسبة إلى أخواتها وهى تفتأ وحذف منها حرف النفى زيادة فى الاغراب ولأن المقام لا يلتبث بالاثبات على حد قول امرئ القيس :
فقلت : يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسى ليدك وأوصالى " أ . هـ
أى : لا أبرح قاعداً .

وحرصاً : مصدر حرص . والحارص : الذى قد قارب الهلاك
والحرص : الذى أذابه الحزن أو العشق (١) .

"وقال مجاهد : الحرص: هو ما دون الموت . وقال قتادة :
البالى الهرم . . . وقال ابن اسحاق : الفاسد الذى لا عقل له . وكانهم
قالوا له ذلك على جهة تفنيد رأى أى : لا تزال تذكر يوسف إلى
حال القرب من الهلاك ، أو إلى أن تهلك " (٢)

(١) انظر لسان العرب ٧/١٣٣، ١٣٤ .

(٢) تفسير أبى حيان ٦/٣١٥ .

وهنا يرد الأب على أبنائه الذين لا يشعرون ما به من ألم وأمل .
﴿ قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾

والبث : الحزن والغم الذى تفضى به إلى صاحبك (١) .

قال الشوكاتى (٢) : " والبث : ما يرد على الإنسان من الأشياء التى يعظم حزن صاحبها بها حتى لا يقدر على إخفائها . كذا قال أهل اللغة ، وهو مأخوذ من بثثته : أى فرقته ، فسميت المصيبة بثا مجازا ...

وقد نكر المفسرون أن الإنسان إذا قدر على كتم ما نزل به من المصائب كان ذلك حزنا ، وإن لم يقدر على كتمه كان ذلك بثا ، فالبث على هذا أعظم الحزن وأصعبه .

وقيل : البث : الهم ، وقيل : هو الحاجة ، وعلى هذا القول يكون عطف الحزن على البث واضح المعنى .

وأما على تفسير البث بالحزن العظيم ، فكأنه قال : إنما أشكو حزنى العظيم وما دونه من الحزن إلى الله لا إلى غيره من الناس " أ . هـ .

وقد أعقب كلامه بقوله ﴿ وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ لينبئهم إلى قصور عقولهم عن إدراك المقاصد العالية ليعلموا أنهم دون مرتبة أن يعلموه أو يلوموه .

أى : أنا أعلم علما من عند الله علمنيه لا تعلمونه وهو علم النبوة .

(١) لسان العرب ٢/ ١١٤ .

(٢) فتح التدير ٣/ ٤٩ .

وفى هذا تعريض برد تعرضهم بأنه يطمع فى المحال بأن ما يحسونه محالا سيقع .

قال ابن كثير (١) : " قوله ﴿ وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ أى : أرجوا منه كل خير ، وعن ابن عباس ﴿ وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ يعنى : رؤيا يوسف أنها صدق وأن الله لا بد أن يظهرها ، وقال العوفى عنه فى الآية أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وانى سوف أسجد له .

قال الشيخ سيد قطب (٢) : " وفى هذه الكلمات يتجلى الشعور بحقيقة الألوهية فى هذا القلب الموصول ، كما تتجلى هذه الحقيقة ذاتها بجلالها الغامر ، ولآلتها الباهر .

إن هذا الواقع الظاهر الميئس من يوسف ، وهذا المدى الطويل الذى يقطع الرجاء من حياته فضلا على عودته إلى أبيه ، واستنكار بنيه إن هذا كله لا يؤثر شيئا فى شعور الرجل الصالح بربه . فهو يعلم من حقيقة ربه ومن شأنه ما لا يعلمه هؤلاء المحجوبون عن تلك الحقيقة

وهذه قيمة الإيمان بالله

إن هذه الكلمات ﴿ أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ تجلو هذه الحقيقة بما لا تملك كلماتنا نحن أن تجلوا . وتعرض مذاقا يعرفه من ذاق مثله ، فيدرك ماذا تعنى هذه الكلمات فى نفس العبد الصالح يعقوب والقلب الذى ذاق هذا المذاق ، لا تبلغ الشدائد منه — مهما بلغت — إلا أن يتعمق اللمس والمشاهدة والمذاق "

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٦٩/٢ .

(٢) فى ظلال القرآن ٢٠٢٦/١٣ .

ثم يوجههم يعقوب — عليه السلام — إلى أن يواصلوا البحث عن يوسف وأخيه وألا ييأسوا من رحمة الله ، فى العثور عليهما ، فإن رحمة الله واسعة .

يقول جل ذكره : ﴿ يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾
التحسس : التبحُّث ، وهو شبه التسمع والتبصر (١)

وقيل : " هو طلب الشئ بالحواس ، مأخوذ من الحس ، أو من الاحساس : أى : اذهبوا فتعرفوا خبر يوسف وأخيه وتطلبوه " (٢)
وفى التعبير بقوله ﴿ فتحسسوا ﴾ إشارة إلى أمره لهم بالبحث الجاد الحكيم المتأنى .

والأصل أن يقال : تحسس عن فلان ولا يقال : تحسس من فلان ، ولكن قيل هنا : ﴿ من يوسف ﴾ فأقام " من " مقام " عن " ، لدلالة " من " على التبعض . والمعنى : تحسسوا خبرا من أخبار يوسف ، واستعلموا بعض أخبار يوسف .

وفى خطابهم بوصف البنوة منه ترقيق لهم وتلطف ليكون أبعث على الامتثال .

﴿ ولا تيأسوا من روح الله ﴾ أى : لا تقنطوا من فرجه .
قال الشيخ ابن عاشور (٣) : " والروح — بفتح الراء : النفس — بفتح الفاء — استعير لكشف الكرب لأن الكرب والهَم يطلق عليهما الغم

(١) لسان العرب ٥٠/٦ .

(٢) فتح القدير للشوكانى ٤٩/٣ .

(٣) تفسير التحرير والتنوير المجلد السابع ٤٥/١٣ .

وضيق النفس وضيق الصدر بكذلك يطلق النفس والترويح على ضد ذلك ، ومنه استعارة قولهم : تنفس الصبح إذا زالت ظلمة الليل " وقوله : ﴿ إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ تعليلاً للنهي عن اليأس .

قال الفخر الرازي (١) : " واعلم أن اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات أو ليس بكريم بل هو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر ، فإذا كان اليأس لا يحصل إلا عند حصول أحد هذه الثلاثة ، وكل واحد منهما كفر ثبت أن اليأس لا يحصل إلا لمن كان كافراً والله أعلم " .

أما المؤمنون فإنهم لا يئأسون من فرج الله أبداً ، حتى ولو أحاطت بهم الكروب ، واشتدت عليهم المصائب .

(١) تفسير الفخر الرازي ١٨/١٩٩ .

اللقاء الثالث بين يوسف وإخوته وتعرفهم عليه

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا
الضُرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ
يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ
أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَنْتَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي
قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا
لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ (٩٢) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ جَهْدِ أَبِي يَأْتِ
بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) ﴾

قال تعالى ﴿ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا
الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فآوف لنا الكيل وتصدق علينا ﴾ .
والترجية : دفع الشيء . يقال : أزجيت أيا منى وزجيتها أى :
دافعتها بقوت قليل ^(١) والمزجى : القليل . وبضاعة مزجاة قليلة .
قال أبو السعود ^(٢) : " قوله ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ مدفوعة
يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها من أزجيتها إذا دفعته وطرده
والريح تزجى السحاب . قيل : كانت بضاعتهم من متاع الأعراب

(١) لسان العرب ٣٥٤/١٤ .

(٢) تفسير أبى السعود ٣٠٣/٤ .

صوفاً وسمناً . وقيل : الصنوبر وحب الخضراء ٠٠٠ وقيل : دراهم زيوفاً لا تؤخذ إلا بوضيعة .

وإنما قدموا ذلك ليكون ذريعة إلى إسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك سلسلة المرحلة " أ . هـ .
ثم قالوا : ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ أى : فأتمه كما تعودنا من جميل رعابتك وإحسانك .

﴿ وتصدق علينا ﴾ أى : بما تزيده علي حقنا ببضاعتنا بعد أن تُغْمِضَ عن رداعتها تفضلاً منك وقال أبو السعود (١) : ﴿ وتصدق علينا ﴾ برد أحنينا إلينا . قاله الضحاک وابن جريح ، وهو الأنسب بحالهم نظراً إلى أمر أبيهم ٠٠٠ إنما لم يبدعوا بما أمروا به استجلاباً للرأفة والشفقة ، ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو ٠٠
﴿ إن الله يجزى المتصدقين ﴾ تعليل لاستدعائهم التصدق عليهم .
قال الخازن (٢) : " لم يقولوا : " يجزيك " بل عدلوا إلى الظاهر لشكهم فى إيمانه بل لتيقنهم كفره على عادة ملوك مصر فى ذلك الوقت فعبروا بهذه العبارة المحتملة "

وعندما بلغ الأمر بهم إلى هذا الحد من الاسترحام والضييق والانكسار لم يستطع يوسف - عليه السلام - المضى فى تمثيل دور العزيز ، والتخفى عنهم بحقيقة شخصيته ، فبادرهم بقوله : ﴿ قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذا انتم جاهلون ﴾

(١) تفسير أبى السعود ٤ / ٣٠٣ .

(٢) تفسير الخازن ٢ / ٤٧٨ .

الاستفهام يفيد التوبيخ وتعظيم الواقعة ، ومعناه : ما أعظم ما ارتكبتم فى يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه ، حيث ألقيتم يوسف فى الجب وحيدا عاريا من اللباس ، وما فعلتموه فى أخيه بنيامين من المعاملة الجافة وتعريضه للغم بسبب إفراده عن أخيه لأبيه وأمه ، إذ أنتم جاهلون قبح فعلتكم .

قال الفخر الرازى (١) : " وأما قوله ﴿ إذ أنتم جاهلون ﴾ فهو يجرى مجرى العذر كأنه قال : أنتم إنما أقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر حال ما كنتم فى جهالة الصبا أو فى جهالة الغرور ، يعنى والآن لستم كذلك " أ . هـ

وقوله هذا يدل على سمو أخلاقه حتى لكأنه يلتبس لهم العذر . فله أخلاق الأنبياء ما أوزنها وأرجحها .

وكان سؤاله إياهم عما فعلوه بيوسف وأخيه وهو سؤال العارف بأمرهم فيه من البداية إلى النهاية مصداقا لما أوحاه الله إليه حين ألقوه فى غيابة الجب من قوله : ﴿ وأوحينا إليه لتبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ إذ يبعد أن يعرف هذا سواه ، فأرادوا أن يتثبتوا من ذلك ويستيقنوا به ، فوجهوا إليه سؤالاً هو سؤال المتعجب المستغرب لما يسمع .

﴿ قالوا أئنك لأنت يوسف ﴾ أى : قالوا : من المؤكد قطعاً أنك أنت يوسف .

قال الألوسى (٢) : " واختلفوا — أى أهل التحقيق — فى تعيين سبب معرفتهم إياه — عليه السلام — فقيل : عرفوه بروائه وشمائله وكان قد

(١) تفسير الفخر الرازى ٢٠٣/١٨ .

(٢) تفسير الألوسى ٤٩/١٣ .

أدناهم إليه ولم يدنهم من قبل ، وقيل : كان يكلمهم من وراء حجاب فلما أراد التعرف إليهم رفعه فعرفوه ، وقيل : تبسم فعرفوه بثناياه وكان كالثؤلؤ المنظوم وكان يضى ما حواليه من نور تبسمه ، وقيل : إنه عليه السلام رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه كان ليعقوب ، واسحاق ، وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فعرفوه بذلك ، وينضم إلى كل ذلك علمهم أن ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من نسل ابراهيم — عليه السلام — لا عن بعض أعزاء مصر ، وزعم بعضهم أنهم إنما قالوا ذلك على التوهم ولم يعرفوه حتى أخبر عن نفسه .

لما سألوه أجابهم قائلا :

﴿ قال أنا يوسف ﴾ الذى ظلمتمونى غاية الظلم ، أنا ذلك العاجز الذى أردتم قتله بإلقائه فى غيابة الجب ، ثم صرت إلى ما ترون .
 ﴿ وهذا أخى ﴾ الذى فرقتم بينى وبينه وظلمتموه .

وقال أبو السعود (١) : " وقوله : ﴿ قال أنا يوسف ﴾ جوابا عن مستلتهم وقد زاد عليه قوله ﴿ وهذا أخى ﴾ أى : من أبوى مبالغة فى تعريف نفسه وتفخيما لشأن أخيه وتكملة لما أفاده قوله : ﴿ قد علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه ﴾ حسبما يفيد قوله ﴿ قد من الله علينا ﴾ فكأنه قال : هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والإذلال فأنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا بالخلص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة

(١) تفسير أبى السعود ٣٠٤/٤ .

والعزة بعد الذلة والأنس بعد الوحشة ولا يبعد أن يكون فيه إشارة إلى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بأنه أخی لا أخوكم فلا وجه لطلبكم " . أ . هـ

ثم علل ذلك بما حكاه القرآن عنه في قوله : ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ تعليل لجملة ﴿ من الله علينا ﴾

﴿ من يتق ﴾ : من يخف الله .

﴿ ويصبر ﴾ : عن المعاصى وعلى الطاعات .

﴿ فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ أى : أجرهم .

قال الزمخشري (١) : " إنما وضع ﴿ المحسنين ﴾ موضع

الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين " .

قال الشيخ ابن عاشور (٢) : " أراد يوسف — عليه السلام —

تعليمهم وسائل التعرض إلى نعم الله تعالى ، وحثهم على التقوى والتخلق بالصبر تعريضا بأنهم لم يتقوا الله فيه وفى أخيه ولم يصبروا على إيثار أبيهم إياهم عليهم .

وهذا من أفانين الخطابة أن يغتم الواعظ الفرصة لإلقاء

الموعظة ، وهى فرصة تأثر السامع وانفعاله وظهور شواهد صدق الواعظ فى موعظته "

(١) تفسير الكشاف ٢٧٤/٢ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير المجلد السابع ٤٩/١٣ .

وهنا يتجسد في أذهان إخوة يوسف ما فعلوه معه في الماضى ،
فبنتابهم الخزى والخجل ، حيث قابل إساءتهم إليه بالإحسان عليهم ،
فقالوا له فى استعطاف وتذلل :

﴿ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ﴾ أى : قال

إخوة يوسف له : نقسم بالله لقد فضلك الله علينا وآثرك بالعلم والحلم
والفضل .

أما نحن فقد كنا متعمدين الخطيئة ، ولا عذر لنا فيها عند الله ولا
عند الناس ، ولذلك اعزك الله وأذلنا ، ونرجو منك الصّبح والعفو .

العفو عند المقدرة :

بعد أن قدموا له المعذرة أجابهم بالصفح عما فعلوا والعفو عنهم
فرد يوسف - عليه السلام - بقوله : ﴿ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر
الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ .

قال ابن منظور : الثرب لغة : الشحم الرقيق الذى يغشى الكرش
والأمعاء . الواحد ثرب وجمعها فى القلة : أثرب ، والأثارب : جمع
الجمع .

والتثريب كالتأنيب والتعبير والاستقصاء فى اللوم .

وثرّب عليه : لامه وعيره بذنبه ، ونكّره به (١)

قال الزمخشري (٢) : " ﴿ لا تثريب عليكم ﴾ لا تأنيب عليكم ولا

عتب وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذى هو غاشية الكرش

(١) لسان العرب ١/٢٣٥ .

(٢) تفسير الكشاف ٢/٢٧٤ .

ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذى ليس بعده فضرب مثلاً للتقريع الذى يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه " .

وجملة : ﴿ لا تثريب عليكم ﴾ مقول القول ، و " لا " نافية للجنس ، و " تثريب " : اسمها ، و " عليكم " جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر لا ، و " اليوم " ظرف متعلق بذلك الخبر المحذوف .

أى : لا تقريع ولا تأنيب ثابت أو مستقر عليكم اليوم .

وليس التقييد باليوم لإفادة أن التقريع ثابت فى غيره ، بل المراد نفيه عنهم فى كل ما مضى من الزمان ، لأن الإنسان إذا لم يوبخ صاحبه فى أول لقاء معه على أخطائه فلأن يترك ذلك بعد أول لقاء أولى .

قال الألوسى (١) : " وقال المرتضى : إن ﴿ اليوم ﴾ موضوع

موضع الزمان كله كقوله :

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا

واليوم نتبع من كانوا لنا تبعاً

كأنه أريد بعد اليوم "

ولكن لم يصفح عليه السلام عن إخوته فحسب بل دعا لهم بمغفرة ما فرط منهم فقال : ﴿ يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ أى : يعفو الله لكم عن ذنوبكم وظلمكم ويستره عليكم ، وهو أرحم الراحمين لمن أفلح عن ذنبه وأناب إليه طاعته بالتوبة من معصيته .

وقد تمثل النبى ﷺ بالآية يوم فتح مكة حين طاف بالبيت وصلى ركعتين ، ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتى الباب وقال : " ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : نظن خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : وأنا

(١) تفسير الألوسى ٥٠/١٣ .

أقول كما قال أخى يوسف ﴿ لا تثريب عليكم اليوم ﴾ فخرجوا
كأنما نشروا من القبور " (١)

وفى رواية قال : " يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم ؟
قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء " (٢) .
ثم انتقل يوسف - عليه السلام - من الحديث عن العفو
والصفح إلى الحديث عن أبيه الذى ابيضت عيناه من الحزن فقال :
﴿ اذهبوا بقيصى هذا فألقيه على وجه أبى بات بصيرا وأتوني
بأهلكم أجمعين ﴾

قال المفسرون (٣) : " لما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه
فقالوا : ذهب عيناه ، فأعطاهم قميصه "

قال الشوكاتى (٤) : " قيل : هذا القميص هو القميص الذى
ألبسه الله ابراهيم لما ألقى فى النار وكساه ابراهيم اسحاق وكساه
اسحاق يعقوب وكان يعقوب أدرج هذا القميص فى قضيبته وعلقه
فى عنق يوسف لما كان يخاف عليه من العين ، فأخبر جبريل
يوسف أن يرسل به إلى يعقوب ، ليعود عليه بصره لأن فيه ريح
الجنة ، وريح الجنة لا يقع على سقيم إلا شفى ولا مبتل إلا عوفى "

(١) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس والبيهقى عن أبى هريرة .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٥٥/٤ .

(٣) انظر تفسير الفخر الرازى ٢٠٦/١٨ .

(٤) فتح القدير ٥٣/٣ .

وهذا القول ضعيف ، لقوله تعالى على لسان يعقوب ﴿ إنسى لأجد ريح يوسف ﴾ وهو يدل على أنه — عليه السلام — كان لابسا له .

قال الشيخ محمد بن عاشور ^(١) : " وفائدة إرساله إلى أبيه القميص أن يثق أبوه بحياته ووجوده في مصر ، فلا يظن الدعوة إلى قدومه مكيدة من ملك مصر . ولقصد تعجيل المسرة له .

والأظهر أنه جعل إرسال قميصه علامة على صدق إخوته فيما يبلغونه إلى أبيهم من أمر يوسف — عليه السلام — بجلبه فإن قمصان الملوك والكبراء تنسج إليهم خصيصا ولا توجد أمثالها عند الناس وكلن الملوك يخلعونها على خاصتهم ، فجعل يوسف — عليه السلام — إرسال قميصه علامة لأبيه على صدق اخوته أنهم جاءوا من عند يوسف — عليه السلام — بخبر صدق " . أ . هـ —

وقوله : ﴿ يأت بصيرا ﴾ أى : يصير بصيرا . وقيل : المراد : يأت إلى وهو بصير .

قال الفخر الرازى ^(٢) : " قال المحققون : إنما عرف أن اللقاء ذلك القميص على وجهه يوجب قوة البصر بوحي من الله تعالى ولولا الوحي لما عرف ذلك ، لأن العقل لا يدل عليه .

ويمكن أن يقال : لعل يوسف — عليه السلام — علم أن أباه ما صار أعمى إلا أنه من كثرة البكاء وضيق القلب ضعف بصره فإذا ألقى عليه قميصه فلا بد أن ينشرح صدره وأن يحصل فى قلبه الفرح الشديد ،

(١) تفسير التحرير والتنوير المجلد السابع ج ١٣ ص ٥١ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ٢٠٦/١٨ .

وذلك يقوى الروح ويزيل الضعف عن القوى ، فحينئذ يقوى بصره
ويزول عنه ذلك النقصان ، فهذا القدر مما يمكن معرفته بالقلب فإن
القوانين الطبية تدل على صحة هذا المعنى " أ . هـ
قوله : ﴿ وأتوني بأهلكم أجمعين ﴾ من الرجال والنساء والذراري
وغيرهم مما ينتظمه لفظ الأهل .

قال الألوسى (١) : " قال الكلبي : وكان أولئك الأهل نجوا من
سبعين إنسانا ، وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس أنهم اثنان
وسبعون من ولده وولد ولده ٠٠٠ وقد نموا في مصر فخرجوا منها مع
موسى عليه السلام .

(١) تفسير الألوسى ٥٣/١٣ .

يعقوب وقد جاءه البشير

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَنْقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨) ﴾

قوله : ﴿ فصلت العير ﴾ أى : خرجت من مصر قاصدة مكان يعقوب عليه السلام .

و ﴿ لولا تفندون ﴾ من الفند وهو الخرف وإنكار العقل من الهرم أو المرض . . . قال الفراء : أى : لولا أن تكذبونى وتعجزونى وتضعفونى . . (١)

وجواب " لولا " محذوف أى : لولا تفنيديكم إياى لصدقتمونى .

والمعنى : وحين غادرت الإبل التى تحمل إخوة يوسف حدود مصر وأخذت طريقها إلى الأرض التى يسكنها يعقوب وبنوه ، قال يعقوب — عليه السلام — لمن كان جالسا معه من أهله وأقاربه ، استمعوا إلى ﴿ إني لأجد ريح يوسف ﴾ ولولا أن تنسبونى إلى الفند وضعف العقل لصدقتمونى فى انى أجد رائحته حقيقة ، وأنه حى قد قرب لقائه وبالتمتع برويته .

(١) لسان العرب ٣/٣٣٨ .

قال أبو حيان (١) : " قال ابن عباس : وجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام ، هاجت ريح فحملت عرقه . وقال الحسن وابن جريج : من ثمانين فرسخا ، وكان مدة فرقه منه سبعا وسبعين سنة
وعن أبي أيوب المهروي : أن الريح استأذنت في إيصال عرق يوسف إلى يعقوب ، فأذن لها في ذلك . وقال مجاهد : صفقت الريح القميص فراحت روائح الجنة في الدنيا ، واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة ، فعلم أنه ليس في الدنيا ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص . أ . هـ
وعلى فرض صدق أو كذب الروايات السابقة فقد أثبت العلم حديثا أن الريح تحمل الغبار وما فيه من قارة إلى أخرى ، وهذا ما نشاهده ونسمعه في النشرات الجوية فأحيانا تأتي ريح باردة من أوروبا وأخرى ساخنة من جنوب إفريقيا وهكذا .

ولكن الغريب شم البشر لها من مسافات بعيدة . ومن ثم فإن شم يعقوب — عليه السلام — رائحة يوسف يعتبر من خوارق العادات .
وقد دلت الآية على أن يعقوب — عليه السلام — أخبر أنه وجد رائحة يوسف لما فصلت العير من أرض مصر ، فعلمنا أن نؤمن به لأنه معصوم من الكذب ، وقد تبين صدقه بعد .

ولكن المحيطين بيعقوب الذين قال لهم هذا القول ، لم يشموا ما شمه ، ولم يجدوا ما وجده ، فردوا عليه بقولهم :
﴿ قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم ﴾ أي : قال حاضر مجلسه :
تالله إنك ما زلت غارقا في خطئك القديم الذي لا تريد أن يفارقك وهو حبك ليوسف ، واعتقادك أنه حي يرجى لقاءه .

(١) البحر المحيط ٦/٣٢٣ .

قال قتادة : ﴿ لفي ضللك القديم ﴾ أى : لفي حبك القديم لا تنساه
ولا تذهل عنه وهو كقولهم ﴿ إن أبانا لفي ضلال مبين ﴾ ثم قال
قتادة : قد قالوا كلمة غليظة ولم يكن يجوز أن يقولوها لنبي الله .

وقال الحسن : إنما خاطبوه بذلك لاعتقادهم أن يوسف قد مات وقد
كان يعقوب فى ولوعه بذكره ذاهبا عن الرشد والصواب (١)

تحقق ما وجدته يعقوب من رائحة يوسف :

لقد تحقق ما وجدته يعقوب — عليه السلام — من رائحة ابنه يوسف
فكانت المفاجأة التى حكاها القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم
أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ أى : فلما جاء البشير
وهو أحد أبناءه الذى يحمل القميص من يوسف ألقاه على وجهه
يعقوب فعاد من فوره بصيرا كما كان .

و " أن " فى قوله ﴿ فلما أن جاء البشير ﴾ للتأكيد .

وفائدة التأكيد فى هذه الآية تحقيق هذه الكرامة الحاصلة
ليعقوب — عليه السلام — لأنها خارقة للعادة ، ولذلك لم
يؤت ب " أن " فى نظائر هذه الآية مما لم يكن فيه داع
للتأكيد .

ورد البصر إلى يعقوب — عليه السلام — ليس بعجيب
ولا منكر فكثيرا ما شفى السرور من الأمراض ، والتجارب
شاهد صدق على صحة ذلك .

(١) تفسير الفخر الرازى ٢٠٨/١٨ .

ولكن شفاء سيدنا يعقوب بوضع القميص على وجهه هو معجزة من المعجزات الخارجة عن قدرة الإنسان ، وليس المهم هو القميص أو وضعه على وجهه ، فقد كان ذلك لتسهيل وقع المعجزة على الحاضرين فحسب ، ولكن المهم هو طريقة الشفاء وهى إرادة الله المنحصرة فى ﴿ كن فيكون ﴾ وهى خارجة عن كل السنن الطبيعية التى أمر الإنسان أن يتعلمها ، فعظمة المعجزة ليست فى النتيجة فحسب ولكن فى طريق الشفاء .

وهنا قال يعقوب لأبنائه ولمن أنكر عليه قوله ﴿ إنى لأجد ريح يوسف ﴾ ولمن لاموه بما كان عليه من علم قطعى من ربه .
قوله : ﴿ قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾
أى : ألم أقل لكم حين أرسلتكم إلى مصر وأمرتكم بالتحسس ونهيتكم عن اليأس من روح الله وأعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف .

وهنا طلب الأبناء من أبيهم فى تذلل واستعطاف أن يستغفر لهم ، ونادوه بعنوان الأبوة تحريكا للعطف والشفقة :
﴿ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا ﴾ .
وعللوا ذلك بقولهم ﴿ إنا كنا خاطئين ﴾ فى حقك وفى حق أخويننا . ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويستغفر له .

فكان رد أبيهم عليهم أن وعدهم بالاستغفار فى المستقبل إذ قال : ﴿ سوف أستغفر لكم ربي ﴾

قال ابن جرير الطبري (١) : " اختلف أهل التأويل فى الوقت الذى أحر الدعاء إليه يعقوب لولده بالاستغفار لهم من ذنبهم فقال بعضهم أحر ذلك إلى السحر "

وروى عن ابن عباس أنه قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه على بن أبى طالب فقال : بأبى أنت وأمى تفلت هذا القرآن من صدرى فما أجدنى أقدر عليه ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفكك الله بهن وينفع بهن من علمته ، ويثبت ما تعلمت فى صدرك ؟ قال : أجل يا رسول الله فعلمنى . قال : إذا كان ليلة الجمعة ، فإن استطعت أن تقوم فى ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب ، وقد قال أذى يعقوب لبنيه ﴿ سوف استغفر لكم ربى ﴾ يقول : حتى تأتى ليلة الجمعة . . . " (٢)

وقيل : " إنما وعدهم بالاستغفار فى المستقبل للدلالة على أنه يلزم الاستغفار لهم فى أزمنة المستقبل ، ويعلم منه أنه استغفر لهم فى الحال بدلالة الفحوى ، ولكنه أراد أن ينبههم إلى عظم الذنب وعظمة الله تعالى وأنه سيكرر الاستغفار لهم فى أزمنة مستقبلية " (٣) .

(١) تفسير الطبري ٤٢/١٣ .

(٢) حديث طويل أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الدعوات . باب فى دعاء الحفظ ٥٦٣/٥ - ٥٦٥ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

(٣) تفسير التحرير والتوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ج ١٣ ص ٥٤ .

وعلل هذا بأن ربه واسع المغفرة والرحمة ، لا ينقطع رجاء
المؤمن فيها وإن ظلم وأساء فقال : ﴿ إنه هو الغفور الرحيم ﴾ .
وهكذا صورت لنا السورة الكريمة ما دار بين يوسف وإخوته ،
وبين يعقوب وبنيه فى هذا اللقاء الحافل بالمفاجآت والبشارات .
ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد ، فقد كانت هناك مفاجآت
وبشارات أخرى تحققت معها رؤيا يوسف وهو صغير ، كما تحققت
معها تأويل يعقوب لها فقد رحل يعقوب ببنيه وأهله إلى مصر للقاء
ابنه يوسف ، وهناك اجتمع شملهم .

تأويل رؤيا يوسف من قبل

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ(٩٩) وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(١٠٠) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ(١٠١) ﴾

قوله ﴿ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ٠٠٠ ﴾ فى العبارة حذف وإيجاز يفهم من سياق الكلام ، والمعنى : بعد أن ذهب إخوة يوسف إلى أبيهم وأخبروه بمكانة يوسف فى مصر وأنه الحاكم المستقل فى أمرها ، وأنه يدعوهم كلهم للإقامة معه فيها ، فرحلوا حتى بلغوها ، ولما دخلوا على يوسف وكان قد استقبلهم فى الطريق فى جمع حافل ضم إليه أبويه واعتنقهما .

وظاهر الآية يدل على أن أمه كانت لا تزال حية ورجحاه ابن جرير الطبرى (١) وقال جمع من المفسرين (٢) إن المراد بأبويه أبوه وخالته ، لأن أمه قد ماتت قبل ذلك فتزوج أبوه خالته ، والخاله تنزل منزلة الأم لشفقتها كما ينزل العم منزلة الأب .

(١) انظر تفسير الطبرى ٤٤/١٣ .

(٢) راجع الكشف للزمخشرى ٢٧٥/٢ ، وروح المعانى للكوسى ٥٧/١٣ .

قوله : ﴿ وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ﴾ أى : وقال لهم ادخلوا بلاد مصر إن شاء الله آمنين على أنفسكم وأنعامكم من الجوع والهلاك .

قال الزمخشري (١) : " فإن قلت : ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر ؟

قلت : كأنه حين استقبلهم نزل لهم فى مضرب أو بيت ثم دخلوا عليه وضم إليه أبويه ثم قال لهم ﴿ ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ﴾ أما قوله : ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ قال ابن منظور (٢) : " العرش : سرير الملك يدلك على ذلك سرير ملكة سبأ ، سماه الله عز وجل عرشا فقال عز من قائل ﴿ إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم ﴾ (٣) .
والمراد بالعرش هنا السرير الذى كان يجلس عليه يوسف - عليه السلام - .

والمعنى : وأجلس يوسف أبويه معه على السرير الذى يجلس عليه ، تكريما لهما ، وإعلاء من شأنهما .

﴿ وخرؤا له سجدا ﴾ أى : وخر يعقوب وأسرته ساجدين من أجل يوسف ، وكان السجود تحية الملوك وأضرابهم ، ولم يكن يومئذ ممنوعا فى الشرائع وإنما منعه الإسلام لغير الله تحقيقا لمعنى مساواة الناس فى العبودية .

(١) فى الكشاف ٢/٢٧٥ .

(٢) لسان العرب ٦/٣١٣ .

(٣) سورة النمل الآية ٢٣ .

قال الزمخشري (١) : " فإن قلت : كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله ؟ قلت : كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شہرت في التعظيم والتوقير .

وقيل : ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجداً ياباه .

وقيل : معناه وخرروا لأجل يوسف سجداً لله تعالى شكراً " أ . هـ

والإشارة في قوله : ﴿ يا ايت هذا تاويل رؤياى من قبل ﴾ إشارة إلى سجد أبويه وإخوته له هو مصداق رؤياه الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا سجداً له .

ومعنى : ﴿ قد جعلها ربى حقا ﴾ أنها كانت من الأخبار الرمزية التي يكشف بها العقل الحوادث المغيبة عن الحس ، أى : ولم يجعلها باطلاً من أضغاث الأحلام الناشئة عن غلبة الأخلاط الغذائية .

ثم ذكر يوسف عليه السلام نعمة الله عليه فقال :

﴿ وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى ﴾

ومعنى ﴿ أحسن بى ﴾ أحسن إلى .

النعمة الأولى : إخراجہ من السجن ﴿ إذ أخرجنى من السجن ﴾

قال الخازن (٢) : " إنما ذكر إنعام الله عليه في إخراجہ من السجن وإن كان الحب أصعب منه ، استعمالاً للأدب والكرم لئلا يخجل إخوته

(١) تفسير الكشاف ٢/٢٧٦ .

(٢) تفسير الخازن ٢/٣١٧ .

بعد أن قال لهم لا تثريب عليكم اليوم ، ولأن نعمة الله عليه في إخراجه من السجن كانت أعظم من إخراجه من الجب وسبب ذلك أن خروجه من الجب كان سببا لحصوله في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله إلى الملك .

وقيل : إن دخوله الجب كان لحسد إخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه عليه "٢.هـ

النعمة الثانية : مجئ أهله من البادية ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾

أى يسّر لكم أموركم ، وجمعنى بكم فى مصر بعد الوحشة والانفراد وشوقى إلى لقائكم .

ثم أشار إلى مصائبه السابقة من الإبقاء فى الجب ومشاهدة مكر إخوته به بقوله : ﴿ من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين إخوتى ﴾ فكلمة ﴿ بعد ﴾ اقتضت أن ذلك شئ انقضى أثره . وقد ألم به إجمالا اقتصارا على شكر النعمة وإعراضا عن التذكير بتلك الحوادث المكدرة للصلة بينه وبين إخوته فمر بها مر الكرام وباعدها عنهم بقدر الإمكان إذ أسندها للشيطان .

والنزع : مجاز فى إدخال الفساد فى النفس . شبه بنزع الراكب الداية وهو نخسها ودفعها لتسرع فى سيرها .

وأسند النزع إلى الشيطان ، لأنه هو الموسوس به ، والدافع إليه ، ولأن فى ذلك سترا على إخوته وتادبا معهم .

ثم ذيل النعم بالثناء على الله تعالى فقال : ﴿ إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ﴾

واللطيف : تدبير الملائم .

قال القرطبي (١) : " قال الخطابي : اللطيف هو البر بعباده الذى يلفظ بهم من حيث لا يعلمون ، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون ؛ كقوله تعالى : ﴿ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء ﴾ (٢) وقيل : اللطيف : " العالم بدقائق الأمور . " أ . هـ

والمعنى : " أن حصول الاجتماع بين يوسف وبين أبيه وإخوته مع الألفة والمحبة وطيب العيش كان فى غاية البعد عن العقول إلا أنه تعالى لطيف فإذا أراد حصول شئ سهل أسبابه فحصل وإن كان فى غاية البعد عن الحصول .

وجملة ﴿ إنه هو العليم الحكيم ﴾ تعليل لجملة ﴿ إن ربهى لطيف لما يشاء ﴾ وحرف التوكيد للاهتمام . وتوسط ضمير الفصل " هو " للتقوية ، وزيادة التوكيد .

والمعنى : إنه سبحانه العليم بمصالح عباده الذى يفعل كل شئ على وجه الحكمة . حكيم فى أفعاله مبرأ من العبث والباطل .

قال الألوسى (٣) : " واختلفوا فى مقدار المدة بين الرؤيا وظهور تأويلها .

فقال : ثمانى عشرة سنة ، وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن الحسن أن المدة ثمانون سنة ، وأخرج ابن جرير عن ابن جريح أنها سبع وتسعون سنة ، وعن حذيفة أنها سبعون سنة ، وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة أنها خمس وثلاثون سنة ، وأخرج جماعة عن

(١) تفسير القرطبي ١٧٥/٩ .

(٢) سورة الشورى الآية ١٩ .

(٣) تفسير الألوسى ٦١/١٣ .

سلمان الفارسي أنها أربعون سنة وهو قول الأكثرين ، وقال ابن شداد :
وإلى ذلك ينتهى تأويل الرؤيا والله تعالى أعلم بحقائق الأمور . "

ثم أعقب يوسف — عليه السلام — ذكر نعمة الله عليه بتوجهه إلى
مناجاة ربه بالاعتراف بأعظم نعم الدنيا والآخرة فقال :

﴿ رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر
السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وأحقتنى
بالصالحين ﴾ .

" من " فى قوله : ﴿ من الملك ﴾ و ﴿ من تأويل الأحاديث ﴾
للتبويض ، لأنه لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر
وبعض التأويل .

قال ابن عاشور ^(١) : " وجعل الذى أوتيهِ بعضاً من الملك ومن
التأويل لأن ما أوتيهِ بعض من جنس الملك وبعض من التأويل ، إشعاراً
بأن ذلك فى جانب ملك الله وفى جانب علمه شئ قليل .

وعلى هذا يكون المراد بالملك التصرف العظيم الشبيه بتصرف
الملك إذ كان يوسف — عليه السلام — هو الذى يسير الملك برأيه .

ويجوز أن يراد بالملك حقيقته ويكون التبويض حقيقياً . أى : آتيتنى
بعض الملك لأن الملك مجموع تصرفات فى أمر الرعية ، وكان ليوسف —
عليه السلام — من ذلك الحظ الأوفر ، وكذلك تأويل الأحاديث " .

وقوله : ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ أى : مبدعها وخالقها ،
ونصبه على أنه نعت — لرب — أو بدل أو بيان أو منصوب بأعنى أو
منادى ثان .

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٣ / ٦٠ .

والولى : فى قوله ﴿ أنت ولى فى الدنيا والآخرة ﴾ الناصر أى :
ناصرى ومتولى أمورى فى الدنيا والآخرة .

وجملة ﴿ أنت ولى فى الدنيا والآخرة ﴾ من قبيل الخبر فى إنشاء
الدعاء والمعنى : كن ولى فى الدنيا والآخرة .

أما قوله : ﴿ توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ﴾
فقد ذكر كثير من المفسرين ^(١) أنه لما عد نعم الله عليه تشوق إلى
لقاء ربه ولحاقه بصالحى سلفه .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : ما سأل نبى الوفاة غير
يوسف ^(٢) .

والحق أن رأى الأول هو رأى الصحيح ، والإلجاء فى الدعاء لا
يدل على أنه تمنى الموت ، وهو ما لا وجود له فى الآية . ثم لماذا
يتمنى الموت وقد أسعده الله حينما جمع شمله مع أبويه وإخوته ، وكان
معززا مكرما فى مصر .

وبذلك تنتهى قصة يوسف وأهله .

(١) راجع تفسير الكشاف ٢/٢٧٦ ، وتفسير الطبرى ١٣/٤٨ .
(٢) فتح القدير للشوكانى ٣/٥٧ ، وتفسير البحر المحیط ٦/٣٢٩ .

قصة يوسف وما تشير إليه من أهداف

قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ اجْتَمَعُوا أَمْرُهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (١٠٢) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنَجَّيْنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) ﴿

لقد ذيلت قصة يوسف - عليه السلام - بعدة أهداف وهي :-

- ١ - أن في هذه القصة إثبات لنبوة محمد ﷺ .
- ٢ - تحذير المشركين من إنزال العذاب بهم كما حدث لمن قبلهم .
- ٣ - طريق النبي ﷺ الدعوة إلى التوحيد .
- ٤ - الفرج بعد الشدة .

٥ - فى قصص الرسل عبرة لأولى اللباب .

وتوضيح هذه الأهداف يأتى من خلال شرح هذه الايات .

فالهدف الأول يتحقق فى قوله تعالى :

﴿ ذَلِكْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ وَمَا
تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾
علاقة هذه الآية بما قبلها :

قال أبو حيان (١) : " قال ابن الأنبارى : سألت قريش واليهود

رسول الله ﷺ عن قصة يوسف فنزلت مشروحة شرحاً وافياً ،
وأمل أن يكون ذلك سبباً لإسلامهم ، فخالفوا تأمليه ، فعزاه الله
تعالى بقوله : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ .
الآيات .

والإشارة ب (ذلك) إلى ما قصه الله من قصة يوسف وإخوته .

﴿ وما كنت لديهم ﴾ أى : عند بنى يعقوب حين أجمعوا أمرهم
على أن يجعلوه فى الجب ، ولا حين ألقوه فيه ، ولا حين التقطه
السيارة ، ولا حين بيع . ﴿ وهم يمكرون ﴾ أى : يبيغون الغوائل
ليوسف ، ويتشاورون فيما يفعلون به . أو يمكرون بيعقوب حين
أتوا بالقميص ملطخا بالدم .

(١) البحر المحيط ٦/٣٣٠ - ٣٣١ .

وفى هذا تصريح لقريش بصدق رسول الله ﷺ . وهذا النوع من علم البيان يسمى بالاحتجاج النظرى ٠٠٠ وتقدم نظير ذلك فى آل عمران (١) وفى هود (٢) .

وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه ، لأنه لا يخفى على أحد أنه لم يكن من علم قومه ، فإذا أخبر به وقصه هذا القصص الذى أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة فى أنه ليس منه ، وإنما هو من جهة القرون الخالية " أ . هـ .
ثم انتقل سبحانه من سوق هذه القصة إلى العبرة بتصميم المشركين على التكذيب بعد هذه الدلائل البينة ، وما يبعث على التسلية والتعزية فى قلب النبى ﷺ فقال :

﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾

فالواو للعطف على جملة ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ﴾ باعتبار إفادتها أن هذا القرآن وحى من الله وأنه حقيق بأن يكون داعيا

(١) قوله تعالى فى خلال حديثه عن مريم - عليها السلام - : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصون ﴾ الآية ٤٤ .

(٢) قوله تعالى فى خلال قصة نوح - عليه السلام - ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ الآية ٤٩ . أيضا فى قوله تعالى فى خلال قصة موسى - عليه السلام - ﴿ وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ﴾ سورة القصص الآية ٤٤ .

سامعیه إلى الإيمان بالنبی ﷺ . ولما كان ذلك من شأنه أن يكون مطمعا في إيمانهم عقب بإعلام النبى ﷺ بأن أكثرهم لا يؤمنون .

وفي التعبير بقوله — سبحانه — ﴿ وما أكثر الناس ﴾ إشعار

بأن الذين آمنوا بدعوة الرسول ﷺ دون تردد قلة قليلة من الناس .

وقوله : ﴿ ولو حرصت ﴾ جملة معترضة لبيان أنه مهما بالغ

النبى ﷺ في كشف الحق والدعوة إلى الله فإنهم متمادون في

ضلالهم وكفرهم ، وكأنه إشارة إلى ما ذكره الله تعالى في قوله :

﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم

بالمهتدين ﴾ (١) .

والحرص : شدة الطلب لتحصل الشئ . وتقدم في قوله تعالى :

﴿ حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (٢)

وقوله : ﴿ وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا نكر للعالمين ﴾

زيادة في تسلية الرسول ﷺ وفي إعلاء شأنه .

وضمير الجمع في قوله ﴿ وما تسألهم ﴾ عائد إلى الناس ، أى :

الذين أرسل إليهم النبى ﷺ .

والمعنى : إنك أيها الرسول ما تسألهم أجراً على هذا القرآن

الذى تتلوه عليهم لهدايتهم وسعادتهم . كما يفعل غيرك من الكهان

والأخبار والرهبان ٠٠٠ وإنما تفعل كل هذا ابتغاء رضا الله ونشر

دينه .

(١) سورة القصص الآية : ٥٦ .

(٢) سورة التوبة من الآية ١٢٨ .

وجملة : ﴿ إن هو إلا نذر للعالمين ﴾ تعليل لجملة ﴿ وما تسألهم عليه من أجر ﴾ . وضمير (عليه) عائد إلى القرآن المعلوم من قوله ﴿ ذلك من أنباء الغيب ﴾ .

أما الهدف الثانى : وهو تحذير المشركين من انزال العذاب بهم كما حدث لمن قبلهم —

يتحقق فى قوله تعالى :

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

و ﴿ كآين ﴾ بمعنى : كم الخبرية المفيدة للتكثير .

قال الشوكاتى (١) : " قال الخليل وسيبويه : والأكثرُونَ أن كآين

أصلها " أى " دخل عليها كاف التشبيه ، لكنه انمضى عن الحرفين المعنى الإفرادى ، وصار المجموع كاسم واحد بمعنى كم الخبرية .

و (الآية) : العلامة . والمراد هنا الدالة على وحدانية الله تعالى .

ومعنى ﴿ يمرون عليها ﴾ : يرونها . والمرور مجاز مكنى به

عن التحقق والمشاهدة ، إذ لا يصح حمل المرور على المعنى الحقيقى بالنسبة لآيات السموات .

قال الشوكاتى (٢) : " والمعنى : كم من آية تدلهم على توحيد الله

كائنة فى السموات من كونها منصوبة بغير عمد ، مزينة بالكواكب

(١) فتح القدير ٥٨/٣ .

(٢) المرجع السابق ٥٨/٣ — ٥٩ .

النيرة السيارة والثوابت ، وفى الأرض من جبالها وقفارها وبحارها ونباتها وحيواناتها تدلهم على توحيد الله سبحانه . وأنه الخالق لذلك . الرزاق له المحى والمميت ، ولكن أكثر الناس يمرون على هذه الآيات غير متأملين لها ، ولا مفكرين فيها ، ولا ملتفتين إلى ما تدل عليه من وجود خالقها . وأنه المتفرد بالألوهية مع كونهم مشاهدين لها " أ . هـ

ثم بين سبحانه — أنهم بجانب غفلتهم وجهالتهم ، لا يؤمنون إيماناً صحيحاً فقال تعالى :

﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾

قال الفخر الرازى ^(١) : والمعنى أنهم كانوا مقرين بوجود الإله بدليل قوله : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ ^(٢) إلا أنهم كانوا يثبتون له شريكاً فى العبودية ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الذين يشبهون الله بخلقه ، وعنه أيضاً أنه قال : نزلت هذه الآية فى تلبية مشركى العرب لأنهم كانوا يقولون : لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، وعنه أيضاً أن اهل مكة قالوا : الله ربنا وحده لا شريك له والملائكة بناته فلم يوحدا ، بل أشركوا ، وقال عبدة الأصنام : ربنا الله وحده والأصنام شفاعونا عنده ، وقالت اليهود : ربنا الله وحده وعزيز ابن الله ، وقالت النصارى : ربنا الله وحده لا شريك له والمسيح ابن الله ، وقال عبدة الشمس والقمر : ربنا الله وحده وهؤلاء أربابنا ، وقال المهاجرون والأنصار : ربنا الله وحده ولا شريك معه " أ . هـ

(١) تفسير الفخر الرازى ٢٢٤/١٨ .

(٢) سورة لقمان من الآية ٢٥ ، وسورة الزمر من الآية ٣٨ .

والآية تشمل كل شريك سواء أكان ظاهرا أم خفيا ، كـبـيرا أم صغيرا . وقد ذكر ابن كثير (١) هنا جملة من الأحاديث فى هذا المعنى كلها تنهى عن الشرك أيا كان نوعه .

منها قوله ﷺ : عندما سئل أى الذنب أعظم ؟ قال : " أن تجعل لله ندا وهو خلقك " (٢)

ومنها قوله ﷺ : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء " (٣)

ومنها قوله ﷺ : فيما يرويه عن ربه - عز وجل - : يقول الله تعالى " أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه " (٤)

فالآية الكريمة تنهى عن كل شرك ، وتدعو إلى إخلاص العبادة لله رب العالمين .

ثم هددهم سبحانه بحلول قارعة تدمرهم تدميرا فقال تعالى : ﴿ أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ﴾ .

(١) تفسير ابن كثير ٤٧٦/٢

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب التفسير . باب قوله ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ ٢٣٠/٩ من الفتح .

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٤٢٨/٥ .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب الزهد . باب تحريم الرياء ١١٥/١٨ شرح النووى .

أى : أفأمن هؤلاء الضالون أن تأتيهم عقوبة تغشاهم
وتشملهم أو أن تأتيهم الساعة فجأة دون أن يسبقها ما يدل
عليها ، بحيث لا يشعرون بإتيانها إلا عند قيامها .

قال أبو حيان (١) : " أفأمنوا : استفهام إنكار فيه توبيخ
وتهديد ، غاشية : نقمة تغشاهم أى ، تغطيهم كقوله : ﴿ يوم
يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ (٢) . وقال
الضحاك : يعنى الصواعق والقوارع انتهى .

وإتيان الغاشية يعنى فى الدنيا ، وذلك لمقابلته بقوله
﴿ أو تأتيهم الساعة ﴾ أى : يوم القيامة " أ . هـ

قال الدكتور / سيد طنطاوى (٣) : " إن كانوا قد آمنوا كل
ذلك ، فهم فى غمرة ساهون ، وفى الكفر والطغيان غارقون ،
فإنه ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ (٤)

فآلية الكريمة تحذير للمشركين من انزال العذاب بهم
كما حدث لمن قبلهم أو تأتيهم الساعة فجأة .

(١) البحر المحيط ٦/٣٣٢ .

(٢) سورة العنكبوت من الآية ٥٥ .

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر شيخ الأزهر المجلد السابع ص ٣٩٨ .

(٤) سورة الأعراف من الآية ٩٩ .

أما الهدف الثالث : وهو أن طريق النبي ﷺ الدعوة
إلى التوحيد ويتحقق هذا فى
قوله تعالى :

﴿ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا
نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴾ .

علاقة هذه الآيات بما قبلها :

بعد أن بين سبحانه أن أكثر الناس لا يفكرون فيما فى السموات
والأرض من آيات ، ولا يعتبرون فيما فيها من علامات ٠٠ تدل على
أن الله هو الواحد الأحد ، الفرد الصمد أمر رسوله أن يخبر الناس أن
طريقه على الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده يدعو بها
هو ومن أتبعه على بصيرة وبرهان .

قوله : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾
والسبيل : الطريق والسنة . شُبِهُتِ المعتقدات والشريعة بها لما أن
الإنسان يمر عليها إلى الجنة .

والسبيل يؤنث كما فى هذه الآية ، ويذكر كما فى قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ (١)

(١) الأعراف من الآية ٤٦ .

قال أبو حيان (١) : " قرأ عبد الله : ﴿ قل هذا سبيلي ﴾ على

التذكير .

والمعنى : قل أيها الرسول : هذه الدعوة التي أدعوا إليها والطريقة

التي أنا عليها ، من توحيد الله وإخلاص العبادة له هي سنتي ومنهاجى .

والبصيرة : الحجة الواضحة والبرهان المتيقن .

قال الشوكاتى (٢) : " والبصيرة المعرفة التي يتميز بها الحق من

الباطل "

واسم الإشارة (هذه) مبتدأ . و (سبيلي) خبر ، وجملة

﴿ أدعوا إلى الله على بصيرة ٠٠٠ ﴾ حالية ، وقد جئ بها على

سبيل التفسير للطريقة التي انتهجها الرسول ﷺ في دعوته .

وفى قوله ﴿ على بصيرة ﴾ إيماء إلى أن هذا الدين الحنيف لا

يطلب التسليم بنظرياته ومعتقداته بحكايتها فحسب ، ولكنه دين حجة

وبرهان . كما يدل على أن الدعاء إلى الله تعالى إنما يكون بالدليل

والبرهان .

و" أنا " تأكيد للضمير المستتر فى ﴿ أدعو ﴾ جئ به لتحسين

العطف بقوله ﴿ ومن اتبعنى ﴾ ٠٠ وهو تحسين واجب فى اللغة (٣)

وفى الآية دلالة على أن أصحاب النبى ﷺ والمؤمنين الذين

آمنوا به مأمورون بأن يدعوا إلى الإيمان بما يستطيعون .

(١) ٣٣٣/٦ .

(٢) ٥٩/٣ .

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٦٥/١٣ .

وقد كانت الدعوة إلى الإسلام في صدر زمان البعثة المحمدية واجبا على الأعيان لقول النبي ﷺ : " بلغوا عنى ولو آية " (١) أى بقدر الاستطاعة .

ثم لما ظهر الإسلام وبلغت دعوته الأسماع صارت الدعوة إليه واجبا على الكفاية كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ٠٠ ﴾ (٢)

وقوله : ﴿ وسبحان الله ﴾ عطف على قوله ﴿ ادعوا إلى الله ﴾ أى : ادعوا إلى الله وأنزله عن النقائص التى يشرك بها المشركون من ادعاء الشركاء .

وجملة : ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ تنزيل لما قبلها لأنها تعم ما تضمنته .

ثم بين سبحانه أن رسالته ﷺ ليست بدعا من بين الرسالات السماوية ، وإنما قد سبقه إلى ذلك رجال يشبهونه فى الدعوة إلى الله فقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى ٠٠ ﴾ .

قال الفخر الرازى (٣) : " واعلم أن من جملة شبه منكرى نبوته ﷺ أن الله لو أراد إرسال رسول لبعث ملكا فقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا ٠٠ ﴾ فلما كان الكل هكذا فكيف تعجبوا فى حقك يا محمد . " أ هـ

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب الأنبياء . باب ما نكر عن بنى اسرائيل ٣٠٩/٧ من الفتح .

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٠٤ .

(٣) تفسير الفخر الرازى ١٨ / ٢٢٥ - ٢٢٦ .

وإنما جعل الرسل من الرجال ولم يجعلهم من الملائكة أو من الجن أو من غيرهم ، لأن الجنس إلى جنسه أميل . وأكثرهم تفهما وإدراكا لما يلقي عليه من أبناء جنسه (١)

وقد اصطفاهم من بين أهل القرى والمدائن ، لكونهم أصفى عقولا وأكثر حلما .

قال الفخر الرازي (٢) : " والآية تدل على أن الله ما بعث رسولا إلى الخلق من النسوان وأيضا لم يبعث رسولا من أهل البادية . قال ﷺ " من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل "

ثم نعى سبحانه على هؤلاء المشركين غفلتهم وجهالتهم فقال :

﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ۝ ۰۰ ﴾

علاقة هذه الآية بما قبلها :

هذه الآية تفريع على ما دلت عليه الآية التى قبلها ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا ۝ ۰۰ ﴾ فكذبهم أقوامهم من قبل قومك مثل ما كذبك قومك وكانت عاقبتهم العقاب ، أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الأقسام السابقين ، أى فينظروا آثار آخر أحوالهم من الهلاك والعذاب فيعلم قومك أن عاقبتهم على قياس عاقبة الذين كذبوا الرسل قبلهم كقوم عاد وثمود ولوط وسائر من عذبهم الله من الأمم .

(١) التفسير الوسيط ١٣/٤٢٤ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٨/٢٢٦ .

والاستفهام إنكارى ، فإن مجموع المتحدث عنهم ساروا فى الأرض فرأوا عاقبة المكذبين .

ثم رغب فى العمل للآخرة فقال :

﴿ ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ﴾

قال ابن عاشور (١) : " وجملة : ﴿ ولدار الآخرة خير . . ﴾

معطوفة على الاعتراض فلها حكمة ، وهو اعتراض بالتنشيد وحسن العاقبة للرسول عليهم السلام ومن آمن بهم وهم الذين اتقوا ، وهو تعريض بسلامة عاقبة المتقين فى الدنيا ، وتعريض أيضا بأن دار الآخرة أشد أيضا على الذين من قبلهم من العاقبة التى كانت فى الدنيا فحصل إيجاز بحذف جملتين " . أ . هـ

ثم ذيل سبحانه الآية بقوله : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أى : أفلا

تعقلون أيها المشركون ما خطبناكم به فيحملكم هذا التعقل والتدبر إلى الدخول فى الإيمان ، ونبذ الكفر والطغيان .

(١) تفسير التحرير والتنوير ٦٨/٧ .

الهدف الرابع : الفرغ بعد الشدة :

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأَةٍ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾
حتى : حرف غاية وهى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل :
وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخى نصرهم حتى إذا استيأسوا من
النصر . . .

وفى قوله : ﴿ قد كذبوا ﴾ وردت قراءتان : إحداهما : بتشديد
الذال والثانية بالتخفيف .

قال الفخر الرازى (١) : " اعلم أنه قرأ عاصم وحمزة والكسائى
﴿ كذبوا ﴾ بالتخفيف والباقون ﴿ كذَّبوا ﴾ بالتشديد .

ومعنى التخفيف من وجهين :

أحدهما : أن الظن واقع بالقوم ، أى : حتى إذا استيأس الرسل من إيمان
القوم فظن القوم أن الرسل كذبوا فيما وعدوا من النصر
والظفر .

فإن قيل : لم يجر فيما سبق ذكر المرسل إليهم فكيف يحسن عود
هذا الضمير إليهم .

قلنا : ذكر الرسل يدل على المرسل إليهم وإن شئت قلت : إن
ذكرهم جرى فى قوله ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم ﴾ فيكون الضمير عائدا إلى الذين من قبلهم من
مكذبي الرسل والظن هنا : بمعنى التوهم والحسبان .

(١) تفسير الفخر الرازى ١٨/٢٢٦ - ٢٢٧ .

والوجه الثاني : أن يكون المعنى أن الرسل ظنوا أنهم قد كذبوا فيما وعدوا وهذا التأويل منقول عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضى الله عنهما قالوا : وإنما كان الأمر كذلك لأجل ضعف البشرية . إلا أنه بعيد ، لأن المؤمن لا يجوز أن يظن بالله الكذب ، بل يخرج بذلك عن الإيمان فكيف يجوز مثله على الرسل .

وأما قراءة التشديد ففيها وجهان :

الأول : أن الظن بمعنى اليقين ، أى : وأيقنوا أن الأمم كذبوهم تكذيبا لا يصدر منهم الإيمان بعد ذلك ، فحينئذ دعوا عليهم فهناك أنزل الله سبحانه عليهم عذاب الاستئصال ، وورود الظن بمعنى العلم ~~كثير فى القرآن الكريم قال تعالى :~~ ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقون ربهم ﴾ أى : يتيقنون ذلك .

والثانى : أن يكون الظن بمعنى الحسبان والتقدير : حتى إذا استتأس الرسل من إيمان قومهم فظن الرسل أن الذين آمنوا بهم كذبوهم وهذا التأويل منقول عن عائشة - رضى الله عنها - وهو أحسن الوجوه المذكورة فى الآية ، روى أن ابن أبي مليكة نقل عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال : وظن الرسل أنهم كذبوا ، لأنهم كانوا بشرا ألا ترى قوله ﴿ حتى يقول الرسل والذين آمنوا متى نصر الله ﴾ قال : فذكرت ذلك لعائشة - رضى الله عنها - فأنكرته وقالت : ما وعد الله محمدا ﷺ شيئا إلا وقد علم أنه سيوفيه ولكن البلاء لم يزل بالأنبياء حتى خافوا من أن يكذبهم الذين كانوا قد آمنوا بهم وهذا الرد فى غاية الحسن من عائشة " أ . هـ

ويجوز أن يكون المعنى : ولما أيقن الرسل أن قومهم قد كذبوا على الله بكفرهم جاء الرسل نصرنا .

وفى البخارى (١) : " عن عروة عن عائشة قالت له وهو يسألها عن قول الله عز وجل : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل ﴾ قال : قلت أكذبوا أم كذبوا ؟ قالت عائشة : كذبوا . قلت : فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم فما هو بالظن قالت : أجل لعمرى لقد استيقنوا بذلك ، فقلت لها : وظنوا أنهم قد كذبوا ، قالت : معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها ، قلت : فما هذه الآية ؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وطنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك "

وقال القرطبي (٢) : " وفى قوله تعالى : ﴿ جاءهم نصرنا ﴾

قولان :

أحدهما : جاء الرسل نصر الله ؛ قاله مجاهد .

الثانى : جاء قومهم عذاب الله ؛ قاله ابن عباس "

وقوله تعالى : ﴿ فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم

المجرمين ﴾ معطوف على ما قبله ومتفرع عليه ، لأن نصر الرسل

عليهم السلام هو تأييدهم بعقاب الذين كذبوهم بنزول العذاب وهو

البأس فينجى الله الذين آمنوا ولا يرد البأس عن القوم المجرمين .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب التفسير باب قوله حتى إذا استيأس

الرسل ٤٣٨/٩ - ٤٤١ . فتح البارى .

(٢) تفسير القرطبي ١٨١/٩ .

والمعنى : جاءهم نصرنا الذى وعدناهم به ، بأن أنزلنا العذاب على أعدائهم ، فجا من نشاء إنجاءه وهم المؤمنون بالرسل لأنهم هم الذين يستحقون النجاة دون غيرهم كما قال تعالى : ﴿ قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها ﴾ (١) .

هذا بالنسبة للمؤمنين أما الكفار المجرمون فلا يرد عقابنا وبطشنا عن هؤلاء الذين أجرموا وكفروا بالله وكذبوا رسله .

ومن الأهداف التى تشير إليها قصة يوسف – عليه

السلام – أنها عبرة لأولى الألباب . قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

هذا من رد العجز على الصدر ، فهى مرتبطة بقوله تعالى : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ﴾ (٢) وهى بمنزلة البيان لما تضمنه معنى الإشارة فى قوله ﴿ ذلك من أنباء الغيب ﴾ .

والضمير فى " قصصهم " يعود على الرسل ، أو على يوسف و أبويه وإخوته ، أو عليهم وعلى الرسل .

قال الزمخشري (١) : "الضمير فى " قصصهم " للرسول وينصره قراءة من قرأ فى " قصصهم " بكسر القاف . وقيل : هو راجع إلى يوسف وإخوته "

(١) سورة الشمس الآيتان ٩، ١٠ .

(٢) سورة يوسف من الآية ١٠٢ .

وأرى : أن الضمير يعود على قصة يوسف - عليه السلام -
حيث إن الحديث كله يدور حوله وحول أبيه وإخوته وهذه القصة
نموذج من قصص المرسلين فيها عبرة لمن يعقل ، وفيها تصديق لما
جاءت به الكتب المنزلة من قبل ، على غير صلة بين محمد ﷺ وهذه
الكتب . فما كان يمكن أن يكون ما جاء به حديثا مفترى . فالأكاذيب لا
يصدق بعضها بعضا ولا تحقق هداية .

قال أبو حيان (١) : " والاعتبار بقصصهم من وجوه :

- اعزاز يوسف - عليه السلام - بعد إلقائه في الجب .
- واعلاؤه بعد حبسه في السجن .
- وتملكه مصر بعد استعباده .
- واجتماعه مع والديه وإخوته بعد الفرقة الطويلة " .

**واللب : العقل . وإنما خص أولو الألباب لأنهم هم الذين ينتفعون
بالعبر .**

**وجملة ﴿ ما كان حديثا مفترى ﴾ ٠٠ إلى آخرها تعليل لجملة
﴿ لقد كان في قصصهم عبرة ﴾ أى : لأن ذلك القصص خبر صدق
مطابق للواقع وما هو بقصة خيالية مخترعة .
ووجه التعليل أن الاعتبار بالقصة لا يحصل إلا إذا كانت خبرا عن
أمر حصل في الواقع .**

قال الفخر الرازي (٢) : " واعلم أنه تعالى وصف هذه القصة بصفات :

(١) البحر المحيط ٦/٣٣٧ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٨/٢٢٨ - ٢٢٩ .

الصفة الأولى : كونها ﴿ عبرة لأولى الأبواب ﴾ وقد سبق تقريره .

الصفة الثانية : قوله : ﴿ ما كان حديثا يفترى ﴾ وفيه قولان :

الأول : أن المراد الذى جاء به وهو محمد ﷺ لا يصح منه أن يفترى لأنه لم يقرأ الكتب ولم يتلمذ لأحد ولم يخالط العلماء فمن المحال أن يفترى هذه القصة بحيث تكون مطابقة لما ورد فى التوراة من غير تفاوت .

الثانى : أن المراد أنه ليس يكذب فى نفسه لأنه لا يصح الكذب منه ، ثم إنه تعالى أكد كونه غير مفترى فقال : ﴿ ولكن تصديق الذى بين يديه ﴾ وهو إشارة إلى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما فى التوراة وسائر الكتب الألهية . ونصب تصديقا على تقدير : ولكن كان تصديق الذى بين يديه كقوله تعالى : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله ﴾ قاله الفراء والزجاج ؛ ثم قال : ويجوز رفعه فى قياس النحو على معنى : ولكن هو تصديق الذى بين يديه .

الصفة الثالثة : قوله : ﴿ وتفصيل كل شئ ﴾ وفيه قولان :

الأول : المراد وتفصيل كل شئ من واقعة يوسف — عليه السلام — مع أبيه وإخوته .

الثانى : أنه عائد إلى القرآن كقوله ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شئ ﴾ فإن جعل هذا الوصف وصفا لكل القرآن أليق من جعله وصفا لقصة يوسف وحدها ويكون المراد : ما يتضمن من الحلال والحرام وسائر ما يتصل بالدين .

(١) تفسير الفخر الرازى ٢٢٨/١٨ — ٢٢٩ .

الصفة الرابعة والخامسة : كونها هدى فى الدنيا وسببا لحصول
الرحمة فى القيامة لقوم يؤمنون خصهم بالذكر لأنهم هم الذين
انتفعوا به " .

وهكذا يتوافق المطلع والختام فى السورة ، كما توافق المطلع
والختام فى القصة ٠٠ .

وقد بدأت القصة وانتهت فى سورة واحدة ، لأن طبيعتها تستلزم
هذا اللون من الأداء . فهى رؤيا تتحقق رويدا رويدا ، ويوما بعد يوم ،
ومرحلة بعد مرحلة . فلا تتم العبرة إلا بأن يتأبع السياق خطوات القصة
ومراحلها حتى نهايتها . وأفراد حلقة واحدة منها فى موضع لا يحقق
شيئا من هذا كله كما يحققه افراد بعض الحلقات فى قصص الرسل
الآخرين . كقصة سليمان مع بلقيس . أو حلقة قصة مولد مريم . أو
حلقة قصة مولد عيسى . أو حلقة قصة نوح والطوفان ٠٠٠ الخ فهذه
الحلقات تفى بالعرض منها كاملا فى مواضعها . أما قصة يوسف
فتقتضى أن تتلى كلها متوالية حلقاتها ومشاهدها ، من بدئها إلى
نهايتها (١) .

(١) فى ظلال القرآن الكريم ١٣/٢٠٣٧ .

وبعد هذا العرض التحليلي لهذه السورة الكريمة نجدها

قد أهتمت بأمور من أهمها ما يأتي :

أولاً : إبراز الحقائق والهدايات بأسلوب المحاورات منها :

المحاورات التي دارت بين إخوة يوسف في شأن الانتقام منه

والتي منها قوله تعالى : ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا

منا ونحن عصابة إن أبانا لفي ضلال مبين ٠٠ ﴾

والمحاورات التي دارت بينهم وبين أبيهم في شأن اصطحابهم

ليوسف ، والتي منها قوله تعالى : ﴿ قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا

على يوسف وإنا له لناصحون ٠٠٠ ﴾

والمحاورات التي دارت بين يوسف وإخوته بعد أن عرفهم

وهم له منكرون ٠٠ والتي منها قوله تعالى : ﴿ فلما دخلوا عليه

قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة

فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ٠٠ ﴾ .

وهكذا نجد السورة الكريمة زاخرة بأسلوب المحاورات . تارة

بين يوسف وأبيه وتارة بين إخوته فيما بينهم ، وتارة بينهم وبين

أبيهم ، وتارة بين يوسف وإخوته ، وتارة بين يوسف وامرأة العزيز ،

وتارة بينه وبين ملك مصر .

وهذا الأسلوب في عرض الحقائق من الأساليب التي تعين

القارئ على حفظ القرآن الكريم ، وعلى تدبر معانيه ٠٠

ثانيا : الاهتمام بشرح أحوال النفس البشرية وتحليل ما يصدر عنها فى حال رضاها وغضبها ، وفى حال صلاحها وانحرافها ، وفى حال غناها وفقرها ، وفى حال عسرها ويسرها ، وفى حال صفاتها وحقدتها . . .

قال الدكتور / سيد طنطاوى ^(١) ما ملخصه : " وقد حدثتنا عن الشخصيات التى وردت فيها حديثا صادقا أميناً كشفت لنا فيه عن جوانب متعددة من أخلاقهم وسلوكهم . . . وأعطت كل واحد منهم حقه فى الحديث عنه

(١) - فيوسف - عليه السلام - وهو الشخصية الرئيسية فى القصة حدثتنا عنه حديثا مستفيضا نستطيع من خلاله ، أن نرى له - عليه السلام - مناقب ومزايا متنوعة من أهمها ما يأتى :

١ - امتلاكه لنفسه ولشهوته مهما كانت المغريات ، بسبب خوفه لمقام ربه ، ونهيه لنفسه عن الهوى .

ولا أدل على ذلك من قوله تعالى : ﴿ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون . . . ﴾

قال الشيخ القاسمى : قال الإمام ابن القيم ما ملخصه : " لقد كانت دواعى متعددة تدعوا يوسف إلى الاستجابة لطلب امرأة العزيز منها : ما ركبه الله فى طبع الرجل من ميله إلى المرأة . . . ومنها : أنه كان شابا غير متزوج . . .

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم المجلد السابع ص ٣٠٨ - ٣١٠ .

ومنها : أنها كانت ذات منصب وجمال .. وأنها كانت غير أبية
ولا ممتنعة .. بل هي التي طلبت وأرادت وبذلت الجهد ..
ومنها : أنه كان في دارها وتحت سلطانها .. فلا يخشى أن تتم
عليه .

ومنها : أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتتيال فأردته إياهن ،
وشكت حالها إليهن ..

ومنها : أنها توعدته بالسجن والصغار إن لم يفعل ما تأمره به ..
ومنها : أن الزوج لم يظهر من الغيرة والقوة ما يجعله يفرق بينه
وبينها ..

ومع كل هذه الدواعي ، فقد أثر يوسف مرضاة الله ومراقبته ، وحمله
خوفه من خالقه على أن يختار السجن على ارتكاب ما يغضبه .. " (١)

٢- صبره الجميل على المحن والبلايا ، ولجوؤه إلى ربه ليستجير به من
كيد امرأة العزيز وصواحبها : ﴿ قال رب السجن أحب إلي مما
يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من
الجاهلين .. ﴾

٣- نشره للدين الحق ، ودعوته لعبادة الله وحده حتى وهو بين
جدران السجن ، فهو القائل لمن معه في السجن : ﴿ يا صاحبي
السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار .. ﴾

٤- حسن تدبيره للأمر .. وحرصه الشديد على انقاذ الأمة مما
يضرها ويعرضها للهلاك ، ﴿ قال تزرعون سبع سنين دأبا فما
حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تاكلون .. ﴾

(١) تفسير القاسمي ٣٥٥٥/٩ .

٥- عزة نفسه ، وسمو خلقه ، فقد أبى أن يذهب لمقابلة الملك إلا بعد إعلان براءته ﴿ وقال الملك انتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة الاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عظيم ٠٠ ﴾

٦- تحدثه بنعمة الله ، ومعرفته لنفسه قدرها ، وطلبه المنصب الذى يناسبه ، ويثق بقدرته على القيام بحقوقه : ﴿ قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم ﴾

٧- ذكأؤه وفطنته ، فقد تعرف على إخوته مع طول فراقه لهم : ﴿ وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ﴾

٨- عفوه وصفحه عن أساء إليه ﴿ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ٠٠ ﴾

٩- وفاؤه لأسرته ولعشيرته ﴿ اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين ﴾

١٠- شكر الله تعالى على نعمه ومننه ﴿ رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وأحقتنى بالصالحين ﴾ .

هذا جانب من حديث السورة الكريمة عن يوسف - عليه السلام - وهو حديث يدل على أنه كان فى الذروة العليا من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ٠٠ "

(٢) كما تحدثت السورة الكريمة عن يعقوب — عليه السلام — فذكرت من بين ما ذكرت عنه ، اتصافه بالصبر الجميل ، وحرصه على سلامة أبنائه من كل ما يؤذيهم حتى ولو أساءوا إليه .

يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ﴾

(٣) وتحدثت السورة عن إخوة يوسف وكشفت عن غيرتهم منه وحسداهم له ، وتأمراهم على حياته ، وحقداهم عليه حتى وهو بعيد عنهم .

(٤) كما كشفت عن حال امرأة العزيز وكيف حطمت كل الموانع النفسية والاجتماعية من أجل الحصول على رغبتها .

(٥) كما كشفت عن تبدل شعور العزيز ، مع إيقانه بخطأ امرأته فلم يزد على أن قال ليوسف ولها : ﴿ يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾

وهكذا فقد حدثتنا السورة الكريمة عن نماذج من البشر ووصفت كل نموذج بما يناسبه من صفات بصدق وأمانة .

وأخيراً . . نستخلص من هذه القصة الأمور التالية :

- ١- أنها صورة من صور الكفاح والجهاد ، فهي قصة إنسان تمرس من طفولته بأفات الطبائع البشرية من حسد الأخوة إلى غواية المرأة إلى ظلم السجن إلى تكاليف الولاية وتدبير المصالح فى إبان الشدة والمجاعة .
- ٢- أن النقم قد تكون زريعة لكثير من النعم ، ففي بدء القصة أحداث أحزان أعقبها نتائج كلها أفرح .
- ٣- أن الإخوة لأب قد توجد بينهم ضغائن وأحقاد ربما تصل إلى تمنى الموت أو الهلاك .
- ٤- أن العفة والأمانة والاستقامة تكون مصدر الخير والبركة لمن تحلى بها .
- ٥- أن أس الزنى والرزية والفساد الخلقى هو خلوة الرجل بالمرأة ، ومن أجل هذا حرم الدين خلوة الرجل بالمرأة قال ﷺ " لا يخلون رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما ثالثهما " (١) .
- ٦- أنه لا دافع لقضاء الله تعالى ، وأنه تعالى إذا قضى للإنسان بخير ومكرمة واجتمع أهل العالم على دفعه لم يقدرُوا على دفعه .
- ٧- كما تدل هذه القصة على أن الحسد سبب الخذلان والنقصان ، وأن الصبر مفتاح الفرج كما فى حق يعقوب - عليه السلام - فإنه لما صبر فاز بمقصوده ، وكذلك فى حق يوسف - عليه السلام - .

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الفتن . باب ما جاء فى لزوم الجماعة ٤/٤٦٥ -

٤٦٦ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

٨- أيضا فى هذه القصة دروس وعبر ينتفع بها الهداة ودعاة
الإصلاح . وتهدأ بها نفس من قرأها .
هدانا الله إلى سبيل الفلاح ، وسدد خطانا إلى طريق النجاح ، إنه نعم
المولى ونعم النصير . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم .

تم تفسير هذه السورة الكريمة

بمحمد (الله) تعالى يوم الجمعة

٤ جمادى الأولى ١٤٢١ هـ

٤ من أغسطس ٢٠٠٠ م

ط . عفاف النجار

فهرس المراجع

- القرآن الكريم .
- أسرار ترتيب القرآن : للحافظ جلال الدين السيوطى . دراسة
وتحقيق عبد القادر أحمد عطا . الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ — —
١٩٧٨ م . دار الاعتصام .
- إعداد الرسول ﷺ لتحمل أعباء الرسالة فى القرآن الكريم
والسنة النبوية : د / عفاف النجار . مكتبة ومطبعة الغد
للنشر والتوزيع . ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩ م .
- أنوار التنزيل للقاضى ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى
المتوفى سنة ٦٩٢ هـ .
- اعراب القرآن الكريم وبيانه : تأليف محى الدين الدرويش : دار
الارشاد . حمص — سوريا ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨ م .
- الاتقان فى علوم القرآن : للحافظ جلال الدين السيوطى .
تحقيق . محمد أبو الفضل ابراهيم . الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ —
١٩٦٧ م مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى .
- البحر المحيط : لأبى حيان . مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٩ هـ .
- البرهان فى تفسير القرآن : للزرركشى . تحقيق محمد أبو الفضل
ابراهيم دار الفكر . الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠ م .
- التحبير فى علم التفسير : للسيوطى . تحقيق : د / فتحى عبد
القادر فريد دار المنار ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦ م .

- التفسير الواضح : للدكتور حجازى • دار الجيل — بيروت
 الطبعة العاشرة ١٤١٣هـ — ١٩٩٣م •
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم • للإمام الأكبر شيخ الأزهر د /
 محمد سيد طنطاوى نهضة مصر للطباعة والتوزيع •
- الجامع لأحكام القرآن . للقرطبي . دار الكتب العلمية — بيروت
 الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ •
- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : للحافظ جلال الدين
 السيوطى دار الكتب العلمية • بيروت — لبنان • الطبعة
 الأولى ١٤١١هـ — ١٩٩٠م •
- الرؤيا فى الكتاب والسنة للدكتور / الحسينى أبو فرحة ١٤١٧ هـ —
 ١٩٩٧م •
- الفتوحات الإلهية : تأليف سليمان بن عمر العجيل الشهير
 بالجمال • مطبعة عيسى البابى الحلبي •
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : وضعه محمد فؤاد عبد
 الباقي دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م •
- المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية ١٤١١هـ — ١٩٩١م •
- تفسير أبى السعود : لأبى السعود محمد بن محمد العمادى •
 دار احياء التراث العربى بيروت • الطبعة الثانية •
- تفسير التحرير والتنوير . تأليف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور
 دار سحنون للنشر والتوزيع تونس •

- تفسير الخازن . المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل . لعلاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى . الشهير بالخازن . الطبعة ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م . مطبعة مصطفى البابى الحلبي .
- تفسير الفخر الرازى (التفسير الكبير) للإمام الرازى . دار احياء التراث العربى . بيروت . الطبعة الثانية .
- تفسير القرآن العظيم : لابن كثير . مؤسسة الكتب الثقافية . الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ — ١٩٩٣ م .
- تفسير الكشاف : للزمخشري . المعرفة بيروت .
- تفسير المراغى : للأستاذ الكبير المرحوم أحمد مصطفى المراغى . دار احياء التراث العربى — بيروت .
- تفسير المنار : للإمام محمد رشيد رضا — دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- تفسير النسفى : للإمام أبى بكر البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى دار احياء الكتب العربية . عيسى البابى الحلبي .
- تهذيب التهذيب : للإمام ابن حجر العسقلانى — المتوفى سنة ٨٥٢ هـ .
- جامع البيان فى تفسير القرآن : لأبى جعفر بن جرير الطبرى . دار الحديث بالقاهرة ١٤٠٧ هـ .
- جواهر البلاغة فى المعانى والبيان البديع : للسيد أحمد الهاشمى دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . نضعة السادسة .

- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : تأليف : محمد بن علان
الصدیقی الشافعی الأشعری المتوفى سنة ١٠٥٧ هـ — دار
الكتب العلمية • بيروت • لبنان •
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :
للأوسى . دار احياء التراث العربى . بيروت . الطبعة الرابعة
١٤٠٩ هـ .
- سنن ابن ماجه • القاهرة دار احياء التراث العربى • بيروت •
- سنن الترمذى : القاهرة • المكتبة الإسلامية ١٩٦٢ م .
- شرح النووى على صحيح مسلم • دار احياء التراث العربى
بيروت — لبنان • الطبعة الثالثة •
- صحيح البخارى : دار التراث العربى ١٩٥٨ م .
- صحيح مسلم : دار احياء التراث العربى ١٩٥٦ م .
- غرائب القرآن و رغائب الفرقان على مصحف التهجد : للإمام
النيسابورى المتوفى سنة ٧٢٨ هـ • الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ —
— ١٩٩٥ م •
- فتح البارى : لابن حجر • مطبعة مصطفى البابى الحلبي •
الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م .
- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير :
للشوكانى . دار احياء التراث العربى — بيروت .
- فى ظلال القرآن : للشيخ سيد قطب • الطبعة الرابعة والعشرون
١٤١٥ هـ — ١٩٩٥ م • دار الشروق •

- قصص الأنبياء : لابن كثير . تحقيق أبي عمار مراد بن عبد الله .
دار العنان . الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ — ١٩٩٩م .
- لسان العرب : لابن منظور . دار صادر بيروت .
- محاسن التأويل : للعلامة محمد جمال الدين القاسمي — تحقيق
محمد فؤاد عبد الباقي . طبعة . دار إحياء الكتب العربية .
- مختار الصحاح : لأبي بكر الرازي . دار الكتب العربية —
بيروت .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل . القاهرة ١٣١٣هـ .
- مناهل العرفان في علوم القرآن : للأستاذ الشيخ محمد عبد العظيم
الزرقاني دار احياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . للبقاعي .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٢١	بين يدى السورة
٤٤	قصص يوسف عليه السلام أحسن القصص
٥٩	يوسف فى دور الطفولة مع أبيه وقد رأى رؤيا ونُصح أبيه له
٧٨	يوسف وإخوته وما كان منهم
١٠٠	يوسف مع السيارة
١٠٦	يوسف فى بيت عزيز مصر
١١٢	يوسف مع امرأة العزيز وكيف كانت محنته
١٣٩	شيوخ الخبر فى المدينة وما ترتب على ذلك
١٤٩	دخول يوسف عليه السلام السجن
١٦٥	تأويل يوسف لرؤيا صاحبيه
١٦٩	تأويل يوسف لرؤيا ملك مصر ودعوته للإلتقاء به
١٨٣	طلب الملك ليوسف وتريثه فى الإجابة
١٩٣	النفس أمارة بالسوء
١٩٧	تولية يوسف رئيسا لحكومة مصر ومهمنا على ماليتها

الصفحة	الموضوع
٢٠٥	اللقاء الأول بين يوسف وإخوته وطلبه أن يحضروا أخيهم من أبيهم
٢٢٠	وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه الذاهبين إلى مصر
٢٢٩	اللقاء الثانى بين يوسف وإخوته وتدبير حيلة لإبقاء أخيه بنيامين عنده
٢٦٠	اللقاء الثالث بين يوسف وإخوته وتعرفهم عليه ...
٢٧٠	يعقوب وقد جاءه البشير
٢٧٦	تأويل رؤيا يوسف من قبل
٢٨٣	قصة يوسف وما تشير إليه من أهداف
٣٠٣	أهم الأمور التى اهتمت بها سورة يوسف
٣٠٨	الأمور المستخلصة من هذه القصة
٣١١	فهرس المراجع
٣١٧	فهرس الموضوعات

مكتب أبو عمر للكمبيوتر
والتجهيزات الفنية ت / ٥١٠٥٩٨٠

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٠ / ١٤١٩١